المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

# أثر الدولة العثمانية في انتشار الإسلام في أوربا

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث



إعداد
فائقة محمد حمزة عبد الصمد بحري



إشراف الأستاذ الدكتور
يوسف علي رابع الثقفي

١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى أمي الغالية متعها الله بالصحة والعافية

أهدي ثمرة جهدي .

# المقدمة

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمدلله رب العالمين ،والصلاة والسلام على خاتم الانبيــــاء والمرسلين ،سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،ومــن أهتــدى بهداه إلى يوم الدين ،وسبحانه الذي علم بالقلم ،علم الإنسان مالــم يعلــم .

أما بعد : فإن الدولة العثمانية ،كان لها دورها العظيم في حمل رآية الدين الحنيف ،إلى جنوب شرق أوربــا ،ورعايتها للمسلمين فــي تلك المناطق ،وتوفير جميع السبل التي سهلت نشر الإسلام فــى أوربــا ، فالدولة العثمانية انبثقت من امارة صغيرة فى شرق الأناضول ،ولم تلبــث أن اتسعت فى قارات ثلاث وأصبحت دولة لهاوزنها ،وعملت على نشر الإســلام ، بماقامت به من مجهودات عظيمة في ذلك المجال ،من بناء المساجــد ، وكفالتها للحرية الدينية ،مما أدى إلى اتساع نطاق الاسلام .

ولذلك فان اختيار موضوع ( أثر الدولة العثمانية فى نشر الاسلام فى أوربا ) لهذه الدراسة التي أتقدم بها لنيل درجة الماجستيــر لــه أهمية عظيمة لاسيما وأن المكتبة العربية تعاني من قلة ماكتب عــن الدولة العثمانية في هذا المجال ،إضافة إلى أن مثل هذه الدراســة ستلقى الضوء على كثير من المواقف والحقائق والمفتريات ،ضد الدولــة العثمانية ،وتحليل تلك المواقف على أساس من الموضوعية والبعد عــن الاهواء الشخصيـــة .

وهذه الدراسة – التي أرجو الله أن أكون قد وفقت فى اختيارها – تشتمل على أربعة فصول على النحو التالى :-

الفصل التمهيدى : بعنوان " النشأة والتكوين " ويتضمن ثلاثة مباحث يتضمن الأول منها أصل الاتراك العثمانيين ،وأقوال المؤرخين فى ذلــك كما جاء فى الكثير مــن المصادر والمراجــع ،العربية وغير العربيــة

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فيتعلق باسلام العثمانيين ،وإسلام زعيمهم ،ثم انتشار الإسلام بعد ذلك بين القبائل التركية ،ووصولهم إلى الاناضول - من أواسط قارة آسيا - تحت زعامة أرطغرل واستقرارهم بها ، ومن ثم عملهم على القيام بالفتوحات في شبة جزيرة الأناضول والجانب الشرقى من أوربا ،وتمكنهم من فتح عدد من المناطق الخاضعة للدولة البيزنطية ،والمبحث الثالث فهو بعنوان " العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم " منذ تأسيس إمارتهم على يد السلطان العثمانى ، المؤسس الأول للدولة العثمانية ،الى اتساع الدولة على أيدى سلاطين آل عثمان وماقاموا به من فتوحات في الأناضول وأوربا حتي تطورت الإمارة الصغيرة إلى دولة واسعة ضمت ممالك متعدده في أسيا وافريقيا وأوربا .

أما الفصل الذي يلي الفصل التمهيدي فهو الفصل الأول وهو بعنوان " الوجود الإسلامى العثماني في أوربا " ويتضمن أربعة مباحث الأول منها حول دخول الإسلام إلى شرق أوربا بطرق مختلفة ،مثل طريق الرحلات التجارية إلى تلك البقاع ،والفتوحات العثمانية ،أما المبحث الثانى فهو عن الأوضاع السائدة في المناطق الأوربية " مثل تفكك الوحدة السياسية في البلقان ،والحروب بين صغار الأمراء على الحكم وانهيار البنيان الإقتصادى ،والاجتماعي في تلك البلاد ،والمنافسة الدينية التي كانت على أشدها بين الكنيستين الشرقية والغربية ،والمبحث الثالث في هذا الفصل فهو يتعلق " بالنظم العثمانية في الولايات الأوربية " وماقام به السلاطين العثمانيون من إصلاحات ونظم ،ونشر الإسلام ،وحماية المسلمين ،وتعبيد الطرق ،وإقرار الأوضاع هناك ،أما المبحث الرابع فهو عن " أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام في شرق أوربا " .

والفصل الثاني في هذه الدراسة عنوانه " موقف الدول الاوربية من

الدولة العثمانية " وهو ينقسم أيضاً الى أربعة مباحث : الأول منها يتعلق " بموقف روسيا من الدولة العثمانية " ،خاصة فيما يتعلق بأطماعها في المضايق ومحاولاتها الحصول على امتيازات خاصة بها في المناطق الأوربية التابعة للدولة العثمانية ،واثارة القلاقل والفتن ،ضد الدولة العثمانية ،ويشمل المبحث الثاني " موقف دولة النمسا من الدولة العثمانية " ،ذلك الموقف العدائي - على الرغم من عدم وجود حدود مباشرة بينها وبين الدولة العثمانية - ولكنها على الرغم من ذلك خوفاً وحرصاً على مصالحها كانت تثير دول البلقان وتمدها بالأسلحة والأموال للثورة ضد العثمانيين ،أما " موقف فرنسا من الدولة العثمانية " فقد كان موضوع المبحث الثالث ، وفيه تناولت العلاقات بين فرنسا والدولة العثمانية ،سلباً وإيجاباً ،لأن فرنسا - مثلها مثل الدول الأوربية الأخرى - تنظر إلى أملاك الدولة العثمانية - وبخاصة تلك القريبة منها في الشمال الأفريقي - نظرة أطماع ومصالح ،والمبحث الرابع يتضمن "موقف بريطانيا من الدولة العثمانية " ،ذلك الموقف الذي لايختلف عن مواقف الدول الأوربية الأخرى ،وذلك لأنها لاتشارك الدولة العثمانية في الحدود ، لهذا كانت أطماعها لاتخرج عن تحقيق مناطق نفوذ في الشرق الأوسط، إضافة إلى منافسة بعض الدول الأوربية الأخرى في تحقيق مايخدم مصالحها التجارية في المنطقة .

أما الفصل الثالث فهو بعنوان : " ردود الفعل الأوربية على الوجود العثماني في أوربا " فقد عالجت فيه : الرأي الأوربي العام وآراء المؤرخين في الدولة العثمانية ،حيث انقسموا إلى فئتين : الفئة الاولى هي فئة معتدلة - بعض الشيء - في موقفها من الدولة العثمانية ولكن وراء ذلك الإعتدال بعض

الأمور التي لاتخلو من نوايا الحقد والخبث ،والفئة الثانية فهي التي أعلنت الحرب ضد الدولة العثمانية ، فأشاعت بأن الدولة العثمانية وصلت إلى ماوصلت إليه بالبطش والدمار والإرهاب ،وتسليط السيوف على الرقاب ،وأرجعت انتصارات الدولة العثمانية إلى الضعف الذي انتاب ممالك أوربا في تلك الفترة ،وعالجت في هذا الفصل أيضاً بعضاً من حملات التشهير ضد الدولة العثمانية المدفوعة بالحقد والبغضاء على الدولة العثمانية ،لأنها وصلت إلى أوربا باسم الإسلام ،وحملت رآية الجهاد حتى دقت أبواب فينا في عهد السلطان سليمان القانوني سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م • وكان من بعض الحملات التي ناقشتها ، إطلاق بعض المسميات للتشهير بالدولة العثمانية كمسمى " الرجل المريض" الذى لايرجى شفاؤه ، والزعم بأن الدولة العثمانية عملت على " عزلة العالم العربي " والقول بأن " الدولة العثمانية حرمت البلاد العربية من علمائها البارزين" ،وعالجت أيضا في هذا الفصل التضاؤل العثمانى في أوربا وكيف بدأ التراجع ؟ نتيجة لأسباب داخلية وخارجية أدت في النهاية إلى ضياع ممتلكات الدولة واحدة إثر الأخرى ،حتي لم يبق سوى ما آلت اليه الدولة من دولة أناضولية ،بعد أن كانت تمتد في قارات ثلاث •

وأخيراً ذيلت الفصول السالفة الذكر بخاتمة موجزة تضمنت ما أثبتته هذه الدراسة من نتائج ،وكذلك بعدد من الملاحق الهامة •

أما مراجع الدراسة فقد اعتمدت على مجموعة من المخطوطات والوثائق والمصادر والمراجع العربية ،والتركية والإنجليزية التي لها صلة بالموضوع ،وقد حصلت على البعض منها من مكتبة الحرم المكي ومكتبة جامعة أم القرى ،ودارة الملك عبد العزيز ،كما زرت

مكتبة الطوب قابى سراى باسطنبول ،ومكتبة جامعة اسطنبول والمكتبة السليمانية ،والمكتبات الخاصة بتركيا ،كما قمت بزيارة معهد المخطوطات بالقاهرة ،ودار الوثائق القومية ،والهيئة العامة للكتاب ،وساقنى البحث إلى الوصول إلى لندن والإطلاع على المصادر في الوزارة الهندية ( India Office ) حيث حصلت منه على بعض المراجع الهامة التى لها علاقة بموضوع الدراسة .

ولا أنسى فى هذا المقام حصولى على الكثير من المصادر التى زودنى بها المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور / يوسف الثقفى فله منى الشكر على ما بذله من مجهود يشكر في هذا المجال ،وله مني الشكر والعرفان علي توجيهه وإرشاده خلال سير البحث . وأشكر المسؤلين في كلية الشريعة وقسم الدراسات العليا للتاريخ والحضارة الاسلامية .

كما أشكر جميع المؤسسات العلمية التي زودتني بالمادة العلمية وأخص بالشكر الدكتور / عابد باشاة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى على ماقدمه لي من المساعدة النافعة ،كما أشكر الدكتور نبيل رضوان على تعاونه معي واسهامه ببعض المراجع ،كما أشكر أخي عبد الصمد بحري ،على مابذله من جهد في جلب الكثير من المصادر الإنجليزية ومساعدتى في إنجاز البحث ،كذلك أشكر أخي عادل وأختى نجاح لمرافقتهما لي في رحلاتى الى تركيا ومصر ولندن وباقي أفراد أسرتي على جهودهم الطيبة والموفقة . وأخيراً أشكر عضوي المناقشة لإسهامهما معي في قراءة هذه الرسالة العلمية وإبداء مرشياتهما وملاحظاتهما القيمة وأسأل الله العلى القدير أن يديم عزة الاسلام ويوفقنا جميعا الى مافيه خدمة الدين والوطن .

" والله من وراء القصد وهو الهادي الى سواء السبيل "

فائقة محمد حمزة بحري

# الفصل التمهيدي

## النشأة والتكوين

١- أصل الأتراك العثمانيين.

٢- إسلام العثمانيين.

٣- العثمانيون يوسعون رقعة بلادهم.

قال الحسن البصري : رضى الله عنه : ( أصل الترك من ولد يافث بن نوح عليه السلام ،فيافث هو أبو الترك ،ويأجوج ومأجوج بنوعم الترك، وسبب تسمية الترك تركاً : أن الإسكندر ذا القرنيين لما بنى السد على يأجوج ومأجوج كان منهم طائفة غائبة وقت بناء السد ولم يعلموا ببنائه فتركوا خارجاً عنه ،فسميت هذه الطائفه تركاً لكونهم تركوا خارج السد ...)(١)،ولكن مؤرخى الدولة العثمانية من الاتراك – وهم بلاشك – أعلم بأصل سلاطينهم من غيرهم من المؤرخين مثل جودت باشا في مؤلفه ( تاريخ جودت )(٢)،وطه زاده عمر فاروق في تاريخ ( أبو الفاروق )(٣)،وغير أولئك من مؤرخى الترك ،كلهم أجمعوا إلى أن اصل شجرة آل عثمان – التى ابتدأت سلطنتهممن عهد الغازى عثمان خان – يتصل فرعها بيافث بن نوح عليه السلام ،( لان عثمان هو ابن الأمير أرطغرل بن سليمان شاه ،بن قيالب ،بن قزل بوغا،بن باتيمورء ابن قايلعة ،بن طغرا ،بن قرانيو ،بن ماينغر ،بن يولعاي بايسنقور ،بن توفتحور ،بن ياسان ،بن حميده ،بن افتلق،بن قارى جلتمور ،بن طورج ،بن قزل بوغا،بن باشبوى ،بن جورمز ،بن بايو،بن طغرا ،بن سونج ،بن جارينا ،بن تورلست ،بن فورخان ،بن بالحق ،بن خاس، بن قراعلان ،بن سليمان شاه ،بن فرحلق ،بن بورلوعان ،بن تيمور بن تورمسن بن كولوالب ،بن ادعون بن مورخان بن قابي خان،بن ابو لجاى، بن ماجية بن أبى الحارث ،بن يافث بن نوح .(٤)

---

(١) ابن اياس ،بدائع الزهور في وقائع الدهور ،القسم الأول ،ص ٢٨ .

(٢) جودت باشا تاريخ جودت ( شمس مطبعة س مخطط مصور رقم ١٣٢٨/ ١٣٢٦ ، ص ٣٢ .

(٣) طه زاده عمر فاروق ،تاريخ أبو الفاروق ،المجلد الاول ،ص ٧ – ١٠.

(٤) اسماعيل سرهنك ،حقائق الاخبار عن دول البحار ،ج ١ ،ص ٤٨٢ – ٤٨٣

هذا وقد ورد الحديث عن أصل شجرة الأتراك العثمانيين في الكثير من المصادر كالقطبي في ( الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ) الذى يري بأن أصل الأتراك يعود إلى يافث بن نوح عليه السلام حيث يذكر ( أن عثمان يتصل نسبه بيافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الأربعون للسلطان سليم خان بن بايزيد خان يرحمهم الله ..)[1] وكذلك ورد مثل هذا القول في كتاب ( التحفة السنية )[2]

هذا وقد ورد ذكر أصل آل عثمان فى كثير من المراجع وأن أصلهم من قبيلة أو عشيرة تركية هي قابي خان ،وروى ذلك العديد من المؤرخين مثل ساطع الحصري [3]،والسعيد سليمان[4] ،ومحمود زيادة[5] وكارل بركلمان [6] ،كما أثبت هذا النسب عدد من المصادر الاوربية .[7]

واستناداً لماسبق ذكره في المصادر والمراجع مؤيدا بماورد فى المصادر التركية ،فان أصل الاتراك العثمانيين يعود الى يافث بن نوح عليه السلام ومن المصادر التركية التى أثبتت هذا الاصل كتاب محمد فؤاد كوبرلي [8]،وابن فضلان الذي يقول : ( وأفضينا الى قبيلة

---

(١) قطب الدين النهروالي ، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ،ص : ١١٤ — ١١٥ .
(٢) سليمان خليل جاويش ،التحفة السنية في تاريخ القسطنطينية ،ج٢، ص ٤٢ ؛كامل باشا ،دولت عليه المجلد الأول ص ٢ .
(٣) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ،ص ١٣-١٦.
(٤) أحمد السعيد سليمان ،تاريخ الدولة الاسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ج ٢ ،ص ٤٤١ .
(٥) محمود محمود زيادة ،دراسات في التاريخ الاسلامى ،ص ٥١٣-٥١٤
(٦) كارل بروكلمان ، الاتراك العثمانيون وحضارتهم ،ج ٣ ،ص ١٣ .
(٧) Robinson, Stewart, The Traditional Near Feast, PP, 97-98.
(٨) محمد فؤاد كوبرلى ،قيام الدولة العثمانية ،ص ١١٩ .

من الاتراك يعرفون بالغزية ..)[1] مما يجعل ما أوردته المصادر المعاصرة حول نسب آل عثمان شيئاً مقبولاً متفقاً مع الحقيقة .

وهذه القبيلة التركية هاجرت من موطنها الأصلي في أواسط اسيا إلى الأناضول نتيجة لضغط المغول [2] واستوطنوا بها تحت سلطان السلاجقة ،وقد سنحت الفرصة أمام زعيمهم عثمان بن أرطغرل بعد وفاة علاء الدين السلجوقي حيث أخذ يضم إليه ماقرب من المناطق ويواصل فتوحاته على حساب جيرانه إلى أن توسعت الدولة [3] .

---

(١) أحمد بن فضلان ( رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنه ٣٠٩ هـ / ٩٢١م ) ،ص ٩١ .
(٢) مجلة الاوقاف ،نشريات مديرية الاوقاف العامة العدد الثاني أنقرة ١٩٤٢م ،ص ٥٩ – ٦١ .
(٣) محمد فريد بك . تاريخ الدولة العلية ،ص ١١٨ .

أما عن إسلام الأتراك العثمانيين فهو ماستتطرق إليه في الصفحات التالية فقد تهيأ للمسلمين في منتصف القرن الثاني الهجرى ان يبسطوا نفوذهم على البلاد ماوراء النهر ،وبذلك اعتنق الكثيرون من أهلهـا الإسلام ،وقد تعاون من أسلم من أهل تلك البلاد مع المسلمين لنشر الإسلام ورد اعتداء من لم يسلم من الترك أنفسهم .

كان قائد الجيوش الإسلامية في تلك البلاد ،القائد المسلم قتيبة ابن مسلم الباهلي ،ووجد من الترك الكثير من العناد والصمود ،حيث عرفوا بالشدة والقوة ،ولكن المسلمين بفضل الله ثم بالايمان بمبدأ الجهاد فى سبيل الله ونشر دعوة الإسلام ،استطاعوا فتح عدد من المدن مثل سمرقند ،وبخارى ،الصغد ،وفرغانه ،وعندما شرح الله قلوب الترك للإسلام ،تركوا ماكانوا فيه من خزعبلات وأباطيل ،وأضحى للحياة مفاهيم جديده حيث أصبحوا هم أنفسهم من المدافعين عن الإسلام ،بعد أن كانوا بعيدين عنه ،ومنذ القرن الثالث الهجرى خرجت أمور المسلمين من يد العرب لتكون طوع يد الترك ،الذين حسن إسلامهم وكانوا على المذهب السني وتركوا المذاهب المبتدعة .(١)

لم يمض على ظهور الإسلام نحو قرن ،حتى خفقت رآيات الإسلام على مقربة من حدود الصين ،مما كان له أثر عظيم في إنتشار الإسلام في مناطق واسعة .(٢)

(١) حسن مجيب المصري ،صلات العرب والفرس والترك دراسة تاريخية ص ٢٢٨ – ٢٣٠ .

(٢) أحمد راسم ،عثمانلي تاريخي ،ص ٣ ، عبد الرحمن زكي، المسلمون في العالم اليوم ،ص ١٢١ .

أن العثمانيين أراد الله لهم أن يحملوا لواء الإسلام ويتجهوا في فتوحاتهم نحو القسطنطينية ( عاصمة الدولة البيزنطية ) ويتمكنوا من فتحها ، ورفع رآية الإسلام خفاقة في أجوائها.

وعلى العموم فالأتراك نزحوا من موطنهم الأصلي في أواسط قارة آسيا ، ثم نزلوا في بلاد فارس حيث اعتنقوا الإسلام ، وهناك اندمجوا مع السلاجقة الذين ينتمون اليهم بالنسب (١)، والمراجع الأوربية توضح ذلك ، فبينما كان السلاجقة مسلمين منذ قرون كان العثمانيون لايزالون على دينهم القديم ، وأسطورة زواج زعيمهم عثمان ابن رئيسهم أرطغرل يجعلنا نعلم أن الأتراك العثمانيين لم يعتنقوا الإسلام الا بعد وصولهم إلى آسيا الصغرى حيث وجدوا بيئة إسلامية في ظل الأتراك السلاجقة وسلطانهم علاء الدين السلجوقي (٢).

---

(١) فيليب حتى ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ،ص ٢٢٩ ،أحمد راسم ، عثمانلي تاريخي ، ص ٣ .

(٢) Robinson, Op.,Cit., PP. 97 - 98 .

أما عن توسع العثمانيون ، فقد استقروا أولاً في آسيا الصغرى في ظل السلطان السلجوقي علاء الدين ، آخر سلاطين السلاجقة ، تحت زعامة أرطغرل ، وبعد وفاة ( أرطغرل ) تولى الحكم إبنه عثمان ، موءسس الدولة العثمانية وإليه تنسب (١) .

ولد عثمان بن أرطغرل سنة ( ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م )وتولى زمام الحكم سنة (٢) ( ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م ) وكانت وفاته سنة ( ٧٢٥ هـ / ١٣٢٦م ) ، أو في عام ( ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م ) (٣) وفي تاريخ جودت المجلد الأول إشارة (٤) إلى أنه كان على فراش الموت عند فتح بورصة سنة ( ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م )، وهذا هو الأرجح .

وقد إنفتح المجال أمام عثمان بعد مقتل علاء الدين السلجوقي (٥) فاستأثر بجميع الأراضي المقطعة له ، وإتخذ من مدينة ( يكي شهر ) (*) قاعدة لملكه ، وعمل على تحصينها وتجميلها ، ومن ثم واصل توسيع رقعة بلاده ، وبعث إلى جميع الأمراء من الروم يخيرهم بين الإسلام أو الجزية أو الحرب كعادة المسلمين دائماً في حروبهم ، فانضم إليه البعض وأسلم من أسلم ،واستعان عليه البعض الآخر بالتتار ، ولكن

---

(١) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٣ .

(٢) قطب الدين النهروالي ، الإعلام ، ص ١١٤ ؛ تاريخ نعيما ، ج ١ ، ص ٣ .

(٣) محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ١٢٢ .

(٤) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٣ .

(٥) إبراهيم أفندي الطيب ، مصباح الساري ونزهة القاري ، ص ٨١-٨٢ ؛ أحمد مختار ، فتح جليل قسطنطينية ، ص ٤ .

(*) يكي شهر : تلفظ الكاف نون فهي يني شهر معناها البلد الحديث ويكتبها الأتراك Yenisehir وتقع إلى الشمال الشرقي من بورصة ( محمد فريد بك ص ١١٨ ؛ تاريخ نعيما ، ج ١ ، ص ٣ - ٤ ) .

عثمان ندب اليهم ابنه ، أورخان(١) فشتت شملهم ، وتمكن من الانتصار على الأعداء،وأصبحت هذه المدينة الحصينة من أملاك الدولة العثمانية وقد دام حصار السلطان أورخان لمدينة بورصة مايقرب من عشر سنوات فيكون فتحها على الأرجح في عام (٧٢٦هـ/١٣٢٦م)(٢) وذلك لأنها فتحت ووالده على فراش الموت حيث توفى عثمان سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٦م) هذا وقد اتخذ أورخان من بورصة بعد ذلك مقراً وعاصمة له(٣) ،وقد تميزت مدينة بورصة بحصانتها وقوتها ، مما جعلها تستعصي على الفتح ، فصمدت في وجه الحصار مايقرب من عشرسنوات حتى سقطت أخيراً في يد أورخان(٤) (أنظر الخريطةص١٤)

إن الدولة العثمانية منذ قيامها اتخذت من الشريعة الإسلامية نبراساً لها، وأقامت شرع الله في أحكامها،وكان سلاطينها الأوائل ابتداء من عثمان(*) يولون الشريعة الإسلامية إهتماماً كبيراً، ووضعوا نصب أعينهم القيام بمهمة الفتوح باسم الإسلام(٥) •

واستمرت مسيرة الفتح والعمران في عهد خلفة أورخان،الذى آل إليه الحكم في عام (٧٢٦هـ/١٣٢٦م) على أثر وفاة والده،وقد كان قبل ذلك على رأس الجيوش الفاتحة في عهد والده ، حيث فتح بورصة وأزينق، وفي عهده وبعد أن تولى الحكم بعث جيشاً بقيادة إبنه سليمان إلى بلاد الروم

(١) Robinson, Op, Cit., P, 98.

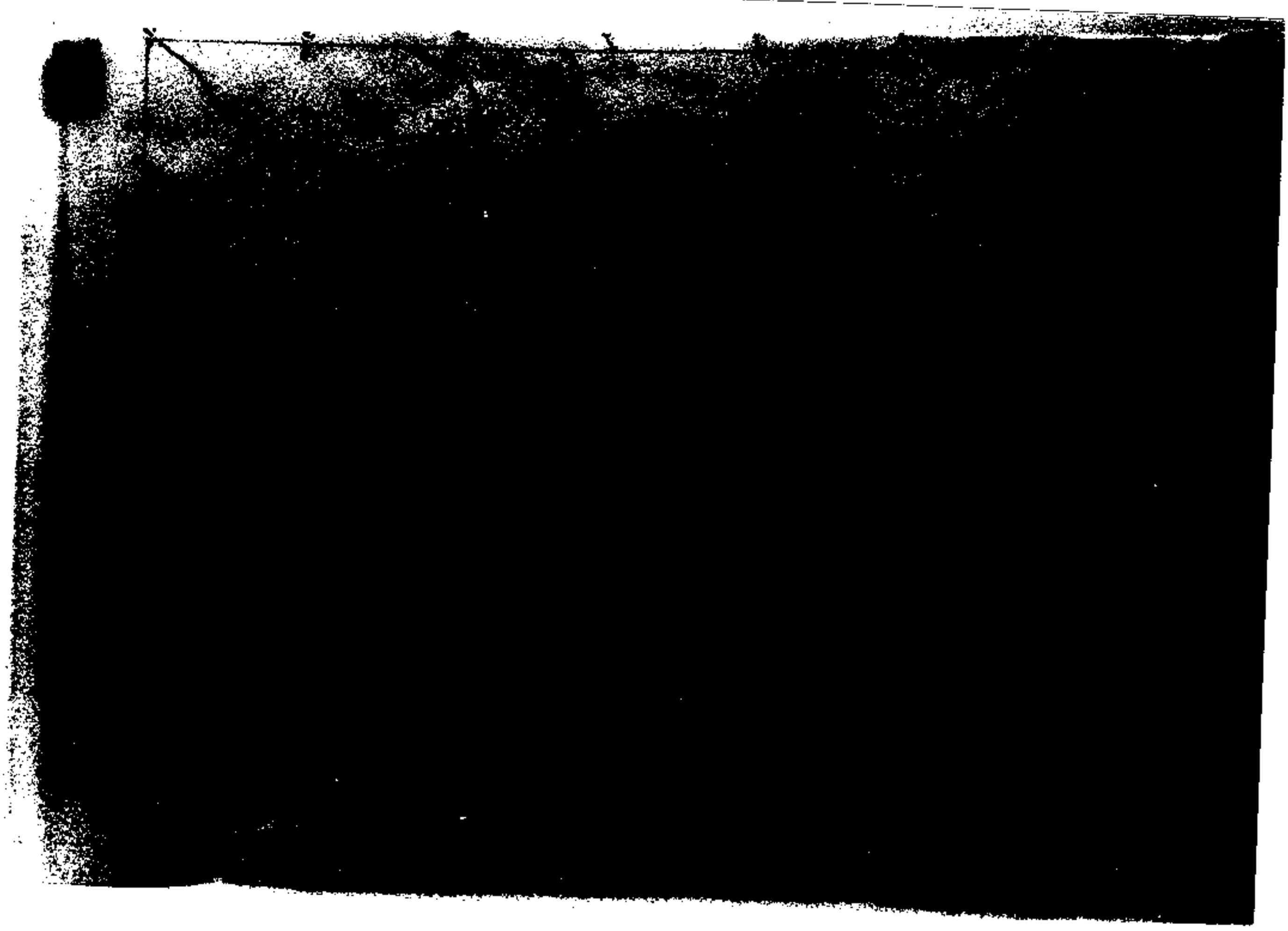
(٢) نشأنجي محمدباشا، سير أنبياي عظام وأحوال خلفاءكرام،ص ١٠١•

(٣) محمد فريد بك ،الدولة العلية ،ص ١١٩ – ١٢٠ •

(٤) زبيدة عطا،الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم العثمانيون ، ص ١٥٨ •

(*) عرف السلطان عثمان بتقريب العلماء والفقهاء إلى مجلسه ،ومن جلسائه ، الشيخ أده بالي،وهو شيخ جليل، تفقه على مشائخ الشام،وقرأ التفسير والحديث ، وكان السلطان يرجع إليه في شؤون الدولة الدينية، (طاشكبري زاده ،الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية،مخطوط تحت رقم ١٥٠٨ دارالكتب المصرية ، ص ٦ ) •

(٥) نفس المخطوط السابق ص ٦ ؛ إبراهيم أفندي،مصباح الساري ونزهة القاري،ص ٦٧ – ٦٨ •



ففتح كلا من قلعة ملعزة ، وأبسالةويولاير،ووزه (١) ،كما أن السلطان أورخان هو أول من سك العملة من الفضة ، فكتب على أحدوجوهها محمدرسول اللّه وعلى الوجه الآخر اسمه في بورصةسنة (٧٢٨هـ/١٣٢٧م) (٢)،وهو أول من رتب طبقات الجند في جيشه (٣)، وجعل الجيش دائماً، بعد أن كان يجمع وقت الحرب ثم يصرف ، وقد سمي هذا الجيش ( يني تشاري ) أي الجيش الجديد ثم عرف فيما بعدبالإنكشارية (٤) وهي أول فرقةمن المشاة يشكل منها جيش شرقي، وهم من رعايا الدولةالمسيحيين من الأطفال الذين يؤخذون وهم صغار السن ويوضعون في ثكنات خاصة ، ويعلمون طبقاً لادق قانون إسلامي ويدربون تدريباًعسكرياً، ويحاربون بالقوس والسيف ، ويتمتعون ببنية متينة ،ولم يعرف عن أحد منهم أنه اعتزل أو ارتد إلى المسيحية (٥) .

يذكر بعض المؤرخين أن السلطان مراد هو أول من أتخذ المماليك وسماهم ينكجرية ( العسكرالجديد ) (٦) أو يكي جري (٧) ولكن كل المصادر تجمع على أن أورخان هو أول من اتخذ الإنشكارية ، وقد يكون تطور نظام الإنكشارية وتقدمه في عهد السلطان مراد.

ونلاحظ أن الجيش الإنكشاري ، كان من أكبر عوامل النصر في عهد قوةالدولة ، وتروى ماري باتريك في كتابها ( سلاطين آل عثمان ) أن هذا الجيش هو جيش الأرقاء لخدمة السلاطين (٨) فتصفهمبهذه الصفة لأنهم

---

(١) عبدالملك بن حسين العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، ج ٤ ، ص٦٠ – ٦١ .

(٢) Halil Inalick, The Ottoman Impire, P, 88.

(٣) تاريخ جودت ، المجلد الأول ، ص ٣٤ – ٣٥ .

(٤) محمد فريد بك ،الدولةالعلية ،ص ١٢٤ – ١٢٥.

(٥) أومان، الإمبراطورية البيزنطية ،ص ١٤٨.

(٦) قطب الدين النهروالي ، الإعلام ص ١١٧؛ أحمد زيني دحلان،الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ،ص ١٣٢.

(٧) طه زاده عمر فاروق ، تاريخ أبو الفاروق ،المجلد الأول ،ص٧٠ – ٧١ .

(٨) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان الخمسة ، ص ٢٣.

ليسوا من أبناء الشعب التركي ،وإنما هم أبناء أسر مسيحية ،ينخرطون في خدمة الدولة ،وهذا ليس مبتدعاً ،فقد اتخذت الدول السابقة للدولة العثمانية الجنود من غير شعوبها ،كالفرس والترك وغيرهم ،كذلك فإن الدولة عندما تشرف على الضعف أو الإنهيار فإنها تتخذ جنوداً من غير جلدتها حفاظاً على استمرارها ،وهذا ما أورده ابن خلدون في مقدمته حيث قال : " إن الدولة إذا طرقها الهرم والضعف تتخذ جنوداً من غير جلدتها ،ممن تربوا على الخشونة ،فيكونون أصبر على الحرب من غيرهم ممن تربوا في نعيم العيش "(١).

من ذلك نستدل على أن معظم الدول والممالك ،قد اتخذت الجنود من غير شعبها للخدمة في الجيش والحرب وليس ذلك بدعة ،ولم يقتصر ذلك على الدولة العثمانية بل فعلت ذلك الدول الأوربية ،فقد أتخذت المرتزقة والمأجورين للإنخراط في سلك الجندية .

واستكمالاً لأعمال السلطان أورخان الحربية ،نلاحظ أن ابنه سليمان باشا تمكن من الإستيلاء على قلعة تراقيا ،وأعقب ذلك زلزال في هذه المنطقة أدى إلى تلف جزء من أسوار مدينة غاليبولي (*) ،فانتهز سليمان تلك الفرصة ودخل غاليبولي سنه ( ٧٥٨ هـ / ١٣٥٦ م ) دون مقاومة ، واستدعى على الفور جماعة من العثمانيين من شبه جزيرة آسيا الصغرى

---

(١) عبد الرحمن بن خلدون ،مقدمة ابن خلدون ،ص ١٦٩ – ١٧٠ .

(*) غاليبولي مدينة واقعة على الشاطئ الأوربي،وتابعة لولاية أدرنة وتبعد عن القسطنطينية بـ ٢١٢ كم جنوبا وهي أول مدينة استولى عليها المسلمون في أوربا ،وقد شيدفيها السلطان بايزيد برجاً عظيماً ،( إسماعيل سرهنك ،حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ١ ، ص ٤٦٤ ) .

للإستقرار بها وتبع ذلك احتلال كل من ملاقرا ،بولار ،والسهل الأوربي (١) المطل على بحر مرمرة (٢) .

ومجمل القول فان مدينة غاليبولي على الشاطئ الأوربي هي أول مدينة على البر الأوربي تطأها الجيوش العثمانية في أوربا ،عن طريق هذه المدينة فتح المجال أمام المسلمين لنشر رآيات الإسلام خفاقة في شرق أوربا ،وبسط قواعد الدين الإسلامي أمام شعوب تلك البلاد لأن فتح غاليبولي كان قبيل سقوط القسطنطينية ،لذلك أصبحت قاعدة الإنطلاق الإسلامية الأولى لنشر الإسلام في تلك الأصقاع ،ويقول في ذلك محمد فؤاد كوبرلي : وقد كانت إقامتهم في غاليبولي عاملاً من عوامل تقوية بنيان الدولة ،وذلك أن كثيراً من العناصر البدوية وفقراء الدولة جاءوا ليتوطنوا الأراضي الخصبة الخالية .(٣)

ومما قام به أورخان أيضا ،بناء مدرسة في أزنيق وعين للتدريس بها الشيخ داود القرماني ،الذي تفقه على يد علماء مصر وأخذ عنهم التفسير والحديث والأصول (٤) ،وتبرز أهمية هذا السلطان ( أورخان ) إلى أنه شهد أول استقرار إسلامي للعثمانيين في أوربا من جهة البلقان، وأول من وضع أساس نظام عسكري جديد أرعب أوربا لمدة أربعة قرون وثبت كيان إمارة قوية امتدت من أنقرة إلى تراقيا (٥) ،وبعد هذه

---

(١) محمد فؤاد كوبرلي ،قيام الدولة العثمانية ،ص ١٨٧ .
(٢) محمد أنيس ،الدولة العثمانية والشرق العربي ،ص ٢٨ – ٢٩ .
(٣) محمد فؤاد كوبرلي ،قيام الدولة العثمانية ،ص ١٨٧ ؛طه زاده عمر فاروق ،تاريخ أبو الفاروق ،المجلد الأول ،ص ٨٢ – ٨٤ .
(٤) طاشكبري ،الشقائق النعمانية ،مخطوط رقم ١٥٠٨،ص ٨ .
(٥) عبد العزيز نوار ،الشعوب الإسلامية – الأتراك العثمانيون – الفرس ومسلمو الهند ،ص ٢٤ .

الإنتصارات توفي آورخان سنة ( ٧٦١ هـ / ١٣٥٩م ) في بورصة بعد أن أنجز ما أنجز من الأعمال وآل الحكم بعده إلى إبنه مراد سنة ( ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م ) في بورصة وكان له من العمر ٣٤ عاماً ،واستمرت مدة حكمه ٣١ عاماً حيث كانت وفاته ( ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م ) (١) وفي عهد السلطان مراد ،كانت الإمارات المتاخمة له تنظر إليه بعين الخوف نظراً لنمو الإماره العثمانية ،على هذا النحو السريع ومنها إمارة قرمان التركية ،ولكن شجاعة السلطان مكنته من أن يوجه إلى خصومة ضربات موجعه ،أقعدتهم عن التحرك ضده ،وفي القسطنطينية كان الإمبراطور البيزنطي آمانويل باليولوج يسعى للإنقضاض عليه ،ولكن السلطان لم يمهلهم واستولى على آدرنة سنة ( ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م ) ،وجعل منها عاصمة له (٢) ، وكان لذلك صدى سيئاً في أنحاء العواصم الأوربية ،خاصة لدى البابا أربانوس الخامس في روما الذي دعى إلى قيام حروب صليبية ضد العثمانيين ،وقد تمكن السلطان من الإستيلاء على سالونيك (*) وكان ذلك سبباً في تحالف صليبى ضد القوى العثمانية (٣) ،وبفضل اللّه تمكن السلطان مراد الأول فى معركة قوصوه سنة ( ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩م ) من صد هذا التحالف واستولى قبل نهاية القرن الرابع عشر الميلادي على معظم ممتلكات بيزنطية فى أوربا ( أنظر الملحق رقم ١ )

---

(١) العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٢) نشأنجي باشا ، سير أنبياي عظام ،ص ٧٠٥ - ٧٠٧ .

(*) سالونيك:أو سلانيك هي مقر ولاية تعرف باسمها ،تبعد عن القسطنطينية ٥٢٠ كم من الثغور المهمة تجارياً ،واشتهرت بحسن المنظر ،وجمال جوامعها ،وبها آثار قديمة ،وذات تجارة واسعة ،يخرج منها خط حديدي يتصل بالأستانه وقد وسعها الإسكندر المقدونى سنه (٣١٥ق٠م ) وسماها سالونكي على اسم زوجته ،وفتحها السلطان مراد الثانى ٨٣٥ هـ وهي أهم ثغر تجاري بعد القسطنطينية . ( إسماعيل سرهنك ،حقائق الأخبار ج ١ ،ص : ٤٦٦ ) .

(٣) عبدالعزيز نوار ،الشعوب الإسلامية - الأتراك العثمانيون - الغرب ومسلموا الهند ،ص ٢٤ .

ـ باستثناء القسطنطينية ـ حيث تم فتح بلغاريا وجزء من صربيا والبوسنة، ووصل إلى هنغاريا وتمكن العثمانيون في نيقوبولس في بلغاريا سنة ( ٧٩١ هـ / ١٣٨٨ م ) من هزيمة جيش أوربي ضم ملك البلغار سيسمان ولازار ملك الصرب (١)، هذا وقد سقط السلطان شهيداً بعد معركة قوصوة سنة ( ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م ) (٢)، بعد أن عين الولاة والقضاة حيث عين على قضاء بورصة القاضي المولى محمود وكان عالماً، صالحاً، ورعاً، أحبه الناس لزهده وعلمه (٣)، وقد سار على هذه العادة، من تعيين الولاة والقضاة كل سلاطين آل عثمان لإقامة الشريعة الإسلامية ومساندة السلاطين (٤).

توالت بعد ذلك الفتوحات الإسلامية العثمانية، وسيطرتها على مناطق البلقان، إلى أن كان الفتح العظيم الذي تحقق على يد السلطان محمد الفاتح بن مراد بن بايزيد بن عثمان محي الدين، وصاحب القسطنطينية وفاتحها (٥) والذي أنشد الشيخ شهاب الدين الكوراني فيه قصيدة منها :-

لمياءُ اذ سفَرتْ عَن ثغرها الشَنبُ
سَارتْ بلبنى وأسرى بعده أدبي

فهذهِ حَالتي بالعينِ تَنظرها
القلبُ في صعدٍ والعينُ في حلبِ

سُلطَاننا الباهرُ له شَرف
يَسموُ علَى البدرِ والجَوزاءِ والشهبِ

---

(١) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون، ص ٣٤؛ محمد فريد بك، ص ١٣٤-١٣٥
(٢) قطب الدين النهروالي، الإعلام، ص ١١٧ .
(٣) طاشكبري، الشقائق النعمانية، مخطوط رقم ١٥٠٨، ص ١٢ .
(٤) نفس المخطوط السابق، ص ١٢ .
(٥) جلال الدين السيوطي، نظم العقيان في أعيان الأعيان، مخطوط رقم ١١١١، ص ١٧٣ .

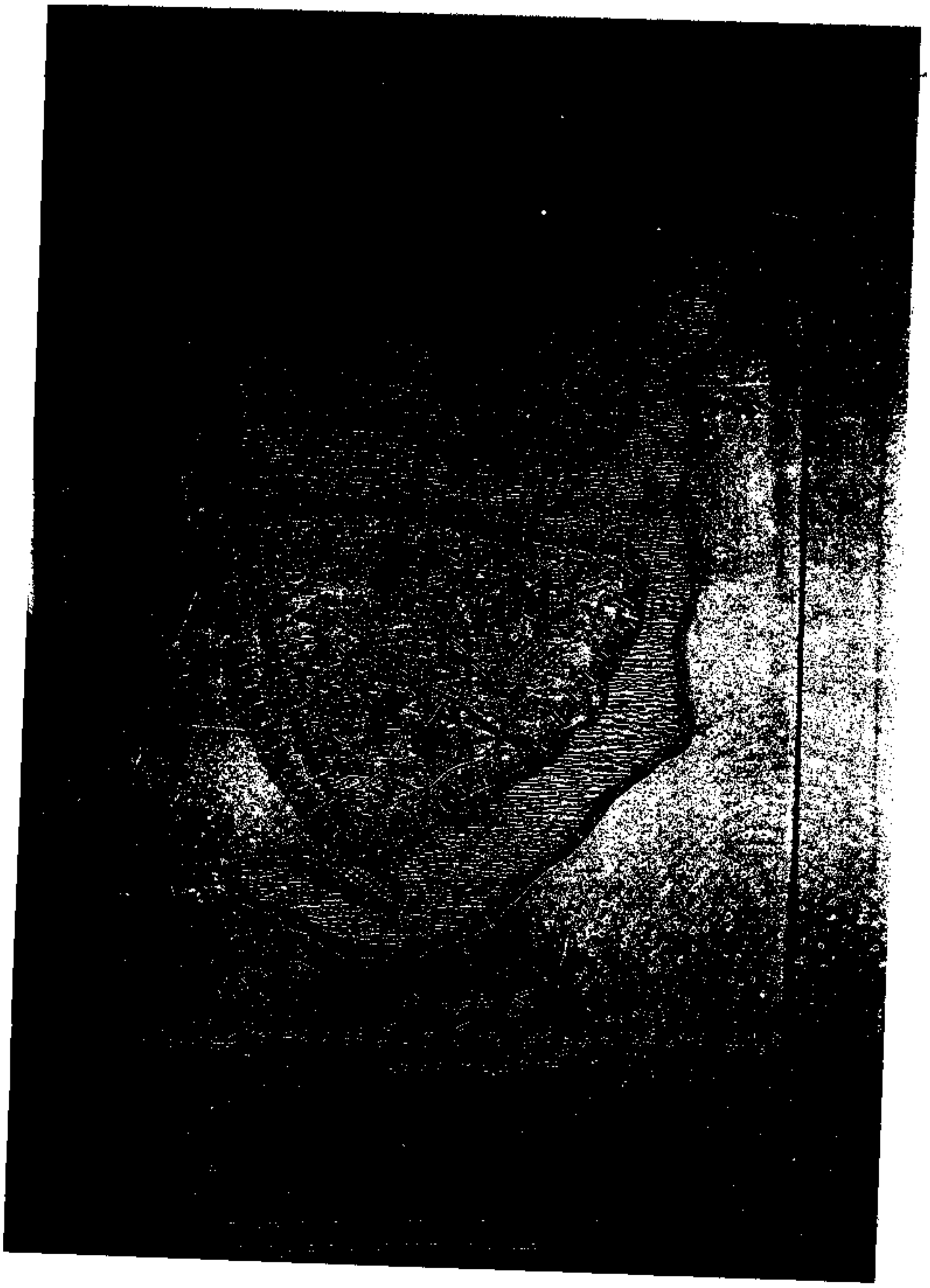
مُحمدٌ أَنْتَ فخْرُ القَومِ قاطِبةً
سُمِّيتَ بدْرَ السمَاءِ أنجُم العَرَبِ

رياض مدحك أزهار مفتحةٌ
وصَوتُ شِعري لها كالبُلبلِ الطَرِبِ (١)

وقد تعرضت القسطنطينية للحصار تسعاً وعشرين مرة ،وأخذت سبع مرات ،آخرها عندما سقطت في يد السلطان محمد الثاني،الذي ضمها إلى ممتلكاته ،وأصبحت قصبة المملكة ،(٢) وقد تمتعت القسطنطينية بأهمية كبرى منذ أن أنشأها قسطنطين الأول ( ٣٠٦ هـ / ٣٣٧ م ) ونقل كرسي الإمبراطورية من روما على ضفاف التيبر ،إلى روما الجديدة التي شيدت على ضفاف البسفور ،وقد شيد عاصمته الجديدة محل بلدة بيزنطة القديمة (٣) • أنظر الشكل ( ٢١ ) •

وقد تمتعت القسطنطينية بحصانة كبيرة حيث كانت تحيط بها المياه من ثلاث جهات ، من الشمال مياه القرن الذهبي ، ومن الشرق مياه البسفور ، ومن الجنوب بحر مرمرة ، فكانت بذلك على درجة كبيرة من المنعة لسيطرتها على المضايق التي تربط البحر الأسود بالبحر المتوسط ، وقد أطلق عليها قسطنطين إسمه ، وعمل على تجميلها حيث شيد بها القصر الإمبراطوري وسوقاً ومحاكم ، وحمامات وملعباً (٤)•

(١) نفس المخطوط السابق ،ص ١٧٣ •
(٢) سليمان بن خليل جاويش ،التحفة السنية ،ج ١ ،ص ١٠ •
(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ،أوربا العصور الوسطى ،ج ١ ،ص ٢٧ •
(٤) نفس المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٧ — ٢٩ •



---

خارطة اسطنبول القديمة :

إن النسخة الأصلية من هذه الخارطة التي تصور أحوال اسطنبول المسمى بيزنطة قديما في عهد القياصرة ، محفوظة في باريس .

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية .

وكان للمسلمين محاولات عديدة لفتح تلك المدينة ( القسطنطينية ) منذ العهد الأموي إلى العهد العثماني ، فكانت أولى هذه المحاولات في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان عام ( ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ) حيث سير إليها جيشاً بقيادة سفيان بن عوف ، ثم أمده بجيش قاده يزيد بن معاوية وبمعيته عبد اللّه بن عباس ، وعبد اللّه بن عمر ، وعبد اللّه بن الزبير وأبو أيوب الأنصاري (١) الذي استشهد تحت أسوار القسطنطينية بعد أن قال قولته المشهورة : ( إذ مت فاركب بي ، ثم سغ بي في أرض العدو ما وجدت مساغاً ، فإذا لم تجد مساغاً فادفني ثم ارجع ، فلما مات ركب به يزيد بن معاوية في أرض العدو ما وجد مساغاً ثم دفنه ورجع ) ، ودفن أبو الأنصاري هناك بعد أن استشهد وعاد بعد ذلك الجيش دون أن يحقق نصراً (٢) .

ثم حدث أن حاول المسلمون فتح القسطنطينية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، الذي وجه جيشاً لفتحها سنة ( ٨٦ – ٩٦ هـ / ٧٠٥ – ٧١٤ م ) وكان على رأس ذلك الجيش مسلمة بن عبد الملك ، ولقد ظل الجيش الذي أرسله الوليد محاصراً للقسطنطينية إثني عشر شهراً، ولاقى الكثير من المصاعب ، بسبب دخول الشتاء ، ونقص المؤن واستخدام الروم للنار الإغريقية ، وبعد وفاة الخليفة، سليمان

(١) إبن الأثير ، الكامل في التاريخ ، جـ ٣ ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨ .
(٢) إبن سعد ، الطبقات الكبرى ، جـ ٣ ، ص ٤٨٤ – ٤٨٥ ؛ إبن كثير البداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٦٤ .

بن عبد الملك أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز برفع الحصار وعودة الجيش (١) .

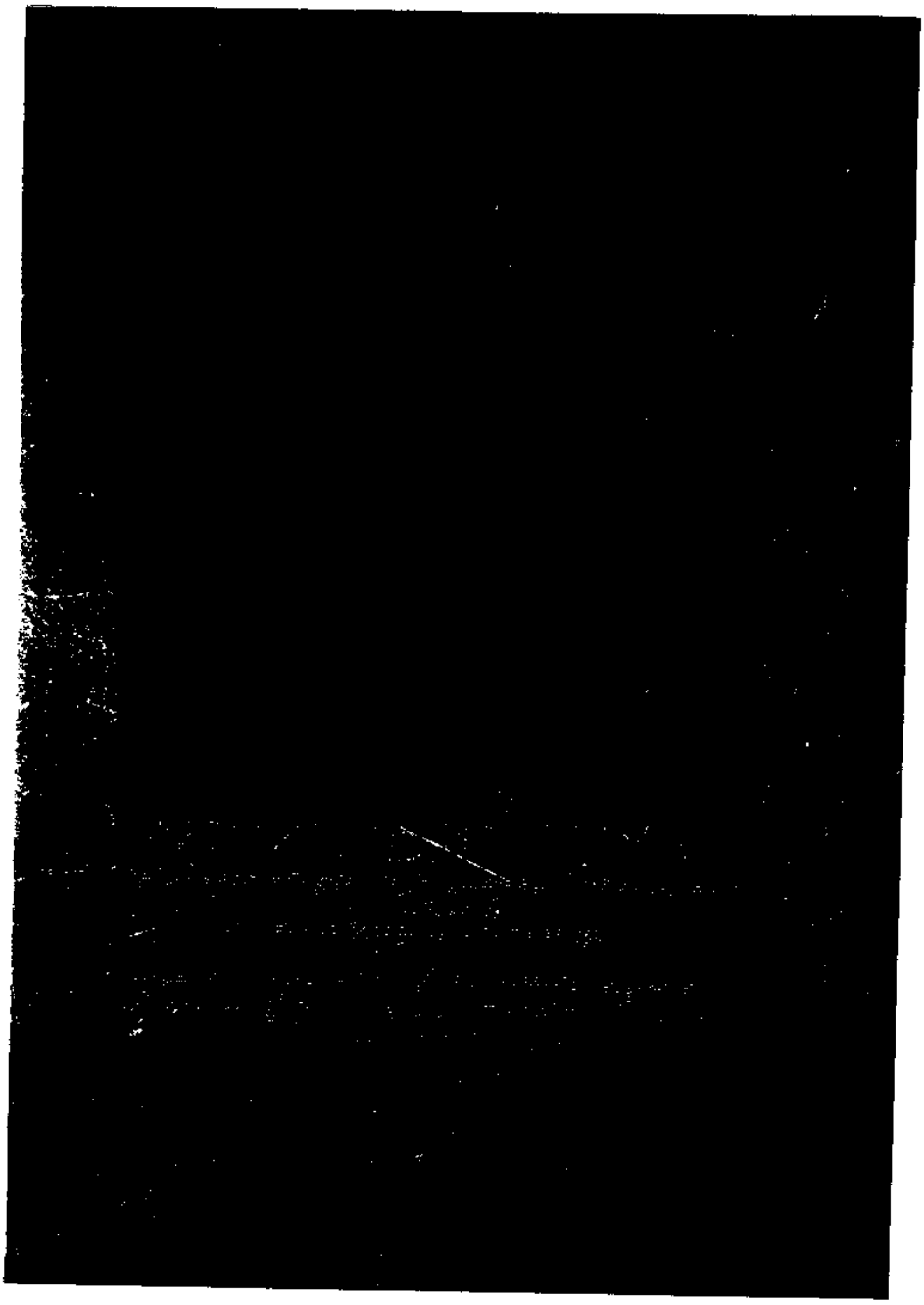
كذلك واصل العباسيون الجهاد ضد القوى البيزنطية ، ونالوا منهم الكثير ، فقد تمكن الخليفة هارون الرشيد من جعل الملكة إيريني تدفع الجزية للخلافة العباسية ، كما أنه خرج على رأس جيش لمحاربة خليفتها نقفور فوقاس ، وهزمه وأجبره من جديد على دفع جزية مضاعفة لخليفة المسلمين ، وقد أكمل السلاجقة ـ الذين ظهروا على مسرح الأحداث والذين قاموا بدور عظيم في الجهاد ضد البيزنطيين ـ المسيرة فقد تمكن ألب أرسلان ( ٥٥٥ – ٥٦٥ هـ / ١١٦٠ – ١١٦٩ م ) من هزيمة الإمبراطور البيزنطي رومانيوس ديوجنيوس في موقعة ملاذكرد وأسره ، كما قام في قونية فرع آخر من السلاجقة سموا بسلاجقة الروم وكان لهم الفضل في تفتيت قوة الدولة الرومانية الشرقية ، حيث وصلوا إلى سواحل بحر أيجه (٢) . أنظر شكل ص ( ٢٤ ) .

وفي العهد العثماني كانت هناك محاولات لفتح القسطنطينية قبل عام ( ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م ) وهو عام الفتح ، قبل ذلك حاصر السلطان بايزيد الأول

---

(١) عمادالدين اسماعيل بن أيوب ،تقويم البلدان،ص ٢٠٠،عبدالسلام فهمي ، السلطان الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهرالروم،٨٣٣هـ – ١٤٢٩م، ١٤٨١م، ص ٦٦ – ٦٨ .

(٢) عبدالسلام فهمي ، السلطان محمد الفاتح ، ص ٦٨ .



الأحوال القديمة القسطنطينية :

الخارطةالتي تصور لنا أحوال اسطنبول وتقسيماتها الداخلية وماحولها وذلك في القرون الوسطي ( اثناء محاصرتها الأخيرة ) • (١) القصر الملكي على رأى ( HERTZBERG ) (٢) أيا صوفيا• (٣) هيبودروم (ملعب الخيل والسباق )• (٤)كنيسةسن سه رزئةبافكوس (٥) كنيسة الحواريين• (٦) باب سينة كوميقع على الخليج• (٧) عمود قسطنطين •

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية •

( ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م )[1] القسطنطينية وكادت أن تقع في يده لولا قدوم تيمور لنك لقتاله وفي ذلك يورد إبن عربشاه : ( فعندما علم إبن عثمان ( بايزيد ) بقدوم تيمور لنك وأنه قادم لقتاله، استعد لاستقباله وكان على رأس استانبول محاصراً اثامها وكفارها ،وقد قارب على أن يفتحها لولا أن دهم خطر التتار .. ولكن نزلت به الهزيمة على يد تيمورلنك وقبض عليه وبعث به إلى بورصة بطائفة من الجند والأعوان عملوا على أخذ مابها من أموال ابن عثمان وخدمة ... ) .[2]

لولا هذا الخطر المفاجىء الذي لم يحسب حسابه ،والذي داهم السلطان بايزيد ،أثناء حصاره للقسطنطينية لفتحت ،منذ تلك الفترة ولما تأخر ذلك الفتح إلى سنة ( ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م ) .

وجاءت اللحظة الحاسمة ،ودقت ساعة الفتح ،وكانت الخطوة الجرئية الفعّالة والتي دكت أسوار القسطنطينية دكاً ،وأسقطت ذلك الحصن الذي استعصى على الغزاة والفاتحين ،ولم يصمد أمام قوة الإيمان ،وتصميم الرجال ،وخر ذلك الحصن على يد السلطان محمد الثاني يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثمانمائة .[3]

---

(١) سليمان خليل جاويش ،التحفة السنية ،ج١،ص ١٥؛أحمد مختار ،فتح جليل قسطنطينية ص ٥ ؛تاريخ تيمور لنك ،ص ١٤٧ .

(٢) ابن عربشاة محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي ،عجائب المقدور في نوائب تيمور ،ص ١٩٢- ١٩٥،١٩٨؛تاريخ تيمور ،ص ١٤٧.

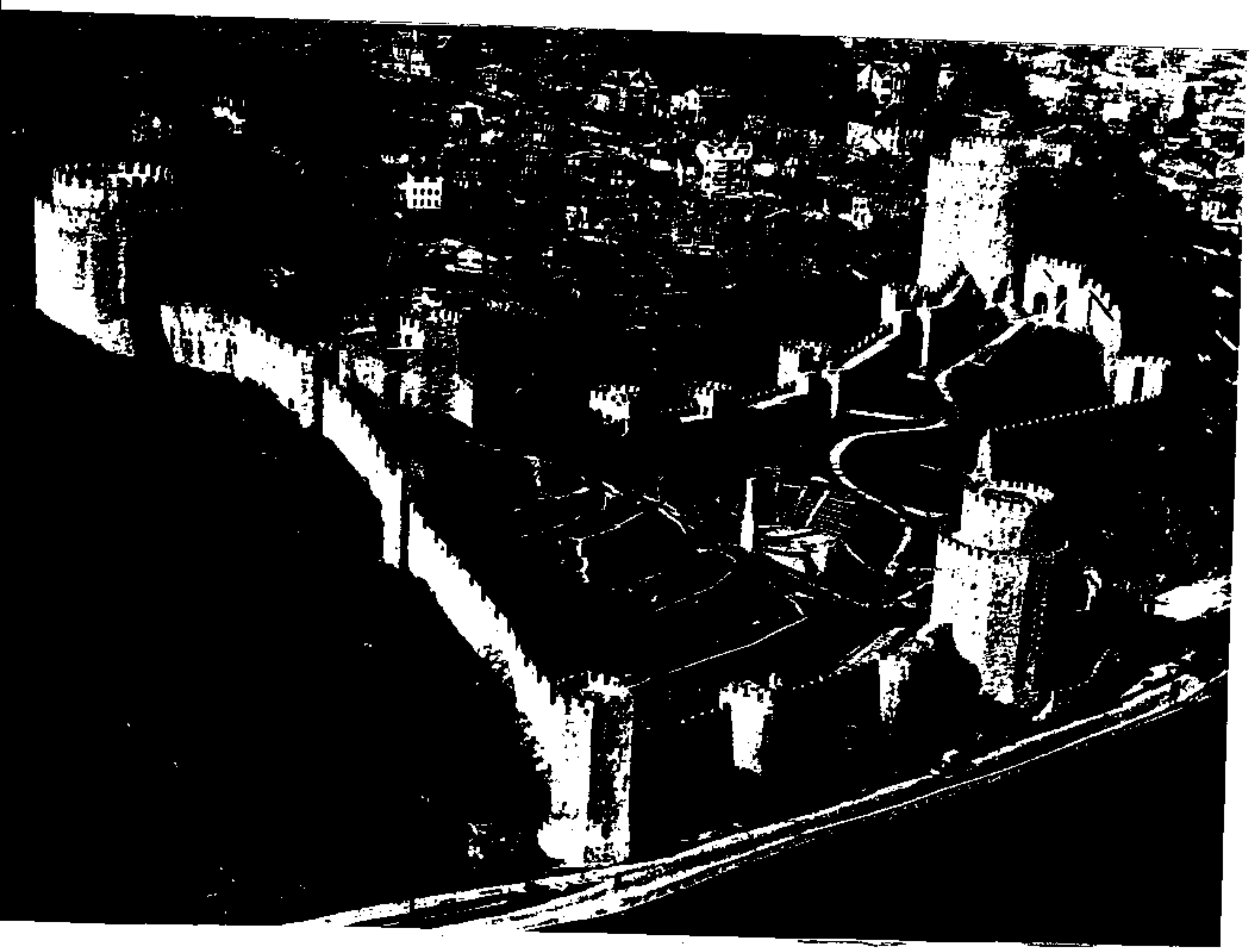
(٣) جمال الدين أبي المحاسن تغرى بردي ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ،ج ١٦ ،ص ٧٠ ؛أحمد مختار ،فتح جليل قسطنطينية ص ٢٨٨ .

يعتبر المؤرخون سقوط القسطنطينية من أهم الأحداث في القرن الخامس عشر الميلادي التاسع الهجري ،ويمثل هذا الحدث نهاية العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة ،والقسطنطينية هي عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ، التي فقدت معظم أراضيها وممتلكاتها أمام ضربات المسلمين وغدت من أصغر الدول القائمة في شبه جزيرة البلقان .(١)

وكان أول عمل قام به السلطان محمد الفاتح هو بناء قلعة روم حصار الحصينة على بعد سبعة كيلو مترات من أبواب القسطنطينية ( أنظر الشكل ص ٢٧ ) وقد حاول قسطنطين الحادي عشر استنفار أوربا ودعم البابا بيوس الثانى ،للوقوف أمام الفتح العثمانى ،ونجدة المدينة الوحيدة المتبقية في أيدى المسيحيين ،(٢) وكرد فعل لذلك فقد شرع السلطان محمد في عقد المعاهدات والإتفاقيات مع كل من المجر وصربيا وولاشيا والبندقية وجنوة ،وذلك لضمان عدم تدخلهم ،ولتأمين القوات العثمانية عند مهاجمتها للقسطنطينية ،وكان السلطان محمد على رأس الجيش .(٣)

ومن أجل تحقيق النصر ،لجأ السلطان لخطة ذكية وهي أنه تمكن من إنزال مايقرب من ثمانين سفينة عثمانية إلى مياه القرن الذهبي ، والذي كانت تحميه سلسلة ضخمه ،حيث مهد طريق من الخشب دهنه بالشحوم

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور ،الحركة الصليبية ،ج ١ ،ص ٢٤٥ .
(٢) إدورد جيبون ،إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ،ج٣،ص ٣٤٤.
(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور ،الحركة الصليبية ،ج ١ ،ص ٢٤٥ .



حصار بوغاز كسن:

صورة عن روم ايلى حصارى المسمى[1] ببوغازكسن حصاري وقد أنشأها السلطان محمد خان الثاني الفاتح ،على أن يسد مضيق البحر الأسود ، وأنشىء هذا الحصار في ساحل روم ايلي .

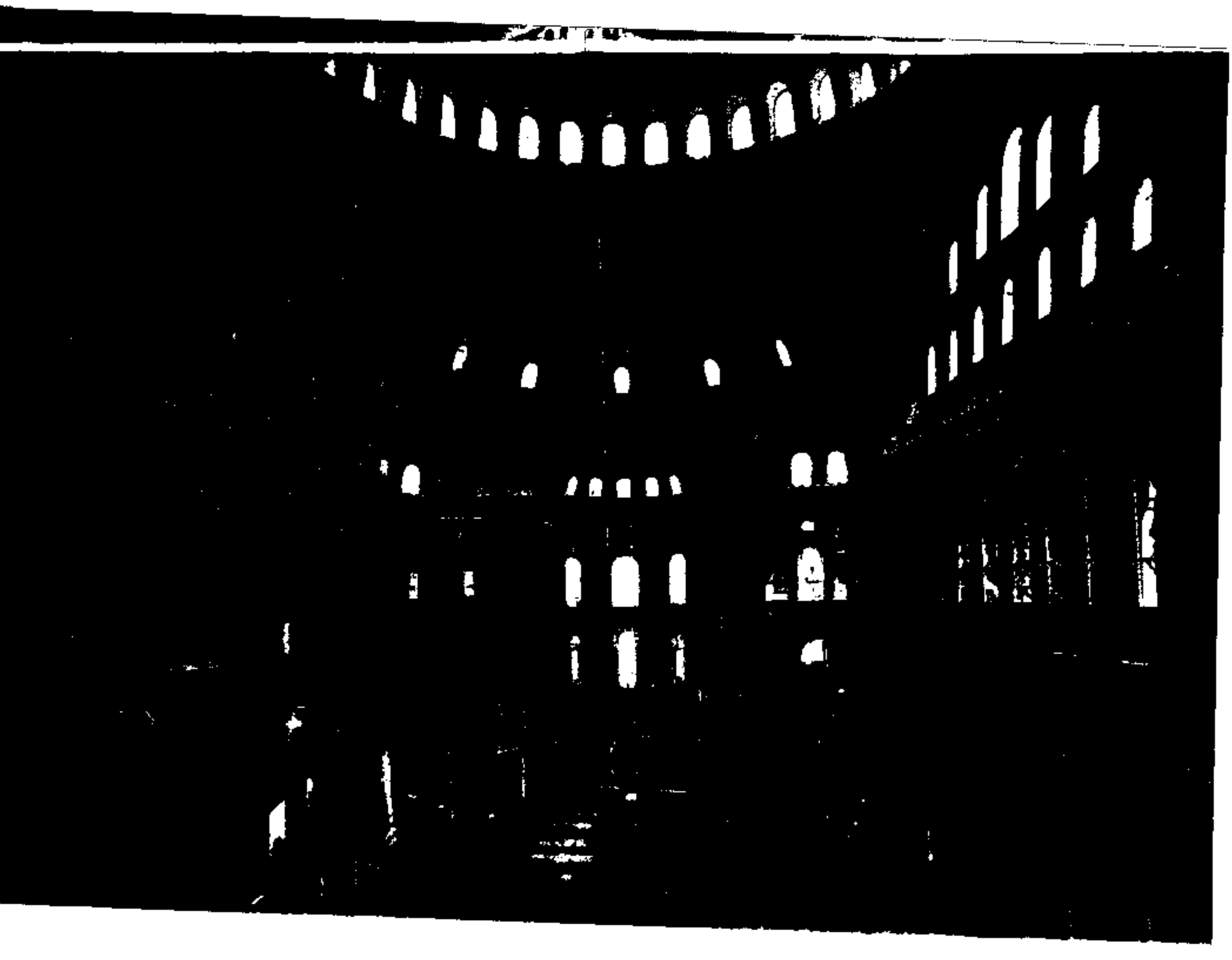
يسهل إنزلاق السفن فتصل إلى مياه القرن الذهبي ،وبينما كان هو يقوم بهذه المهمة كانت القوات البرية مشتبكة مع الجيش البيزنطي (١) وبعد ذلك بدأت القوات البرية والبحرية في قصف المدينة براً وبحراً واندفع المقاتلون العثمانيون نحو المدينة (٢) ،وقد ورد ذكر الفتح في تاريخ أبو الفاروق على النحو التالي : ( أحطنا بهم وحاربناهم وحاربونا ،وقاتلناهم وقاتلونا ،وجرى بيننا وبينهم القتال أربعة وخمسين يوماً وليلة .. فمتى طلع الصبح الصادق من يوم الثلاثاء يوم العشرين من جمادى الأولى هجمنا مثل النجوم رجوماً لجنود الشياطين،سخرها الحاكم الصديقي ببركة العدل ... )(٣)

وفي أثناء القتال قتل الإمبراطور البيزنطي قسطنطين ،كما قتل الآلاف من جنده ،وقد حافظ السلطان على المدينة ولم يدمرها ،أو يقتل أهلها ،كما حدث عندما استولى الصليبيون على بيت المقدس ،فقد قاموا بمذبحة رهيبة ضد المسلمين فيها (٤) ،بل أن السلطان محمد الفاتح أظهر الكثير من التسامح ،ودخل المدينة في موكب النصر مع جنده وتفقد أحوالها (٥) . ومن أهم أعمال السلطان محمد الفاتح تحويل كنيسة أياصوفيا إلى مسجد (٦) ،فأقام على أركانها الأربعة أربع مآذن باذخة الطول ،وأضاف إلى بنائها أبنية ذات طابع إسلامي جميل ،ووشت جدرانها بآيات من

(١) إبن تغري بردى ،النجوم الزاهرة ،ج٥،ص : ١٤٨ ،بسام العسلي الفاتح القائد ،ص ٧٧ — ٧٨ .
(٢) أحمد مختار ،فتح جليل قسطنطينية ،ج ١ ،ص ٢٩٥ .
(٣) طه زاده عمر فاروق ،تاريخ أبو الفاروق ،المجلد ٢ ،ص ١١ — ١٤ .
(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور ،الحركة الصليبية ،ج ١ ،ص ٢٤٥ .
(٥) طاشكبري ،الشقائق النعمانية ،مخطوط رقم ١٥٠٨،ص ٧٠ .
(٦) كامل باشا . تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ،ج ١ ،ص ٨٧ .

القرآن الكريم [(١)]، ( أنظر الشكل ص : ٣٠ ) ووضع على قضاء القسطنطينية المولى حضر بك ،ولما توفي أعطى قضاءها مع خواصها وقضاء غلطة لمونا خسرو وضم إليه التدريس في مدرسة أيا صوفيا وقد كان عالماً وقوراً حميد الأخلاق ،وقد قال السلطان عنه : " أنظروا هذا أبو حنيفة زمانه " [(٢)] وحولت العديد من الكنائس إلى مساجد ،واتخذ السلطان من القسطنطينية عاصمة للدولة العثمانية ،وأصبح إسمها ( إسلام بول ) أى مدينة الإسلام وأعطى الحرية الدينية للمسيحيين وأعاد ماتهدم من أسوار المدينة أثناء الحصار ،وبنى عند بحر مرمرة قلعة عظيمة اشتهرت باسم قلعة الأبراج ،كما أنه عني بالأسطول فأنشأ داراً لصناعة السفن ،كما شيد مدرسة القصر [(٣)] ،وللسلطان مآثر عديدة من مدارس وزوايا وجوامع [(٤)] ،وقد بعث السلطان بالبشرى إلى سلاطين العالم الإسلامي ،ومنهم الشريف بركات بن الحسن شريف مكة [(٥)] ،كما أرسل بالبشرى إلى سلطان مصر المملوكي [(٦)] ،وقد أورد ابن إياس نص الرسالة المرسلة لسلطان مصر حيث يقول : ( وصل قاصد ملك الروم محمد بن عثمان ،يخبر السلطان بفتح القسطنطينية ،العظمى وقد صنع المكائد في فتحها وكان يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى من هذه السنة ( ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م ) فلما بلغ السلطان ذلك دقت البشائر في القلعة ونودي في القاهرة بالزينة ،ثم أن السلطان عين برشباي أمير أخور ثاني رسولاً إلى ابن عثمان يهنئه بهذا الفتح العظيم فخرج برشباي وتوجه إلى بلاد إبن عثمان ) [(٧)] ،وقد تناقل المسلمون أخبار هذا النصر ،

(١) مجلة عالم السعودية ،العدد الأول ،المجلد الثامن يناير ١٩٨٩م ،ص ٢٤.
(٢) طاشكبرى زاده ،الشقائق النعمانية مخطوط رقم ١٥٠٨،ص ٧٠ - ٧١ .
(٣) محمد كمال الدسوقي ،الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ،ص ٣٣ - ٣٧، ٤١ - ٤٦؛ إدورد جيبون ،ج ٣ ،ص ٣٤٥ .
(٤) السخاوي ،الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،ج ١٠ ،ص ٤٧ .
(٥) فريد بك ،منشآت الملوك والسلاطين ،ج١،ص ٢٣٩؛ أحمد دحلان ،خلاصة الكلام في أمراء بلد الله الحرام ،ج١،ص ٤٣؛ إبراهيم رفعت مرآة الحرمين،ج١ ص ٣٦٣ .
(٦) فتح جليل قسطنطينية ،ص ٢٩٤ - ٢٩٥؛ كامل باشا،تاريخ سياسي ،ج١،ص٨٧.
(٧) إبن اياس ،بدائع الزهور في وقائع الدهور ،ج ٢ ،ص ٣١٦ .



صورة من الداخل لمسجـــد أيـا صوفيـا .

حيث يذكر ابن تغرى بردي أن القاهرة دقت الباشر وزينت أياماً[1]،وأشار المؤرخ العثماني فريدون بك أحمد إلى عدد من رسائل التهنئة التي وصلت إلى السلطان محمد من الدول المجاورة لدولته إنذاك تعبيراً عن تأييدهم ومؤزرتهم للدولة العثمانية[2] ٠ ( أنظر الملحق رقم ( ٢ ) )٠

أتاح فتح القسطنطينية للقوى الإسلامية العثمانية أن تتجه إلى باقي أوربا ،إلى رومانيا ،وبلغاريا ،واليونان ،ويوغسلافيا ،وألبانيا والمجر وبذلك قلبت الدولة العثمانية ميزان القوى ،فبعد أن كان العالم الإسلامي يقف موقف الدفاع ،والعالم الأوربي يتخذ موقف الهجوم انعكس الوضع حيث ظلت أوربا منذ ذلك التاريخ ( ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م ) وإلى ثلاثة قرون متصلة تقف موقف الدفاع في وجه الفتح العثماني[3] ٠

بهذا الإنجاز الباهر العظيم ،سقط أهم معاقل المسيحية في الشرق ( القسطنطينية ) التي صمدت مايقرب من ألف عام أمام القوة الإسلامية بعد سقوط الإمبراطورية الغربية سنة ( ٤٧٦م ) ،وبعد سقوط القسطنطينية انفتح المجال أمام الفتح الإسلامي نحو أوربا ٠

بعد هذا النصر المؤزر أخضع السلطان محمد الثاني كل من المورة والصرب والبوسنة[4] واقترب إلى كل من المجر ،والمانيا ،وإيطاليا ،ودانت له

---

(١) إبن تغرى بردي ،النجوم الزاهرة ،ص ٧٠ – ٧١ ٠
(٢) فريدون بك ،منشآت الملوك والسلاطين ، ص ١٥٠ – ١٥٨ ٠
(٣) أنور الجندى ،الإسلام وحركة التاريخ ،ص ٣٠٧ ٠
(٤) طه زاده عمر فاروق ،تاريخ ابو الفاروق ،المجلد الثانى ،ص ٤١
بسام العسلى ،الفاتح القائد ،ص ٨١ – ٨٣ ٠

طرابزون ،والقرم في آسيـــا . ( انظر خريطـة ص : ٣٣ ) .(١)

وفى سنة ( ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤م ) سار السلطان محمد الفاتح إلى بغداد فخاف رئيسهم وهرب فدخل السلطان البلاد وأسر من أسر وأجبر ستيفان على دفع الجزية ،كما أنه فى عام ( ٨٨٥هـ/١٤٨٠م ) حاصر رودس ثلاثة أشهـر ولم يتمكن من فتحها لحصانتها ،(٢) وقد توفي السلطان بعد ذلك سنـة ست وثمانين وثمانمائة عندما توجه إلى بورصة ثم نقل جثمانه إلى اسطنبول.(٣)

تولى الحكم بعده إبنه بايزيد الثاني ( ٨٨٦ – ٩١٨هـ/ ١٤٨١– ١٥١٢م) وكان والياً على أماسيا(*) عندما توفي والده ،وعندما وصل إليه الخبـر توجه إلى اسطنبول ،فوجد الإنكشارية شقوا عصا الطاعة ،ونهبوا الكثيـر من المنازل ،فعندما وصل بايزيد عمل على تهدئتهم ووعدهم بالعطايـا والهدايا ومن ذلك الوقت وجدت عادة العطايا والهبات عند توليـة اي سلطان جديد .وفى عهد السلطان بايزيد توقفت الفتوحات نظراً للمشاكـل التي واجهته من جهة أخيـه ( جم )(*) في داخل الدولة بالإضافة إلى مشكلات

(١) موفق المرجة ،صحوة الرجل المريض ،ص ٤٠ .
(٢) أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ،ج ٢ ،ص ١٤٧ .
(٣) السخاوى ،الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ،ج ١٠ ،ص ٤٧ .
(*) أماسيا : تقع في شمال شرق الأناضول جنوب صامسون ،الواقعة في شمال تركيا على البحر الأسود ،وهناك بلدة أخرى باسم أماسيا تقع إلـى الجنوب الشرقي من أزمير والثانية هى المقصودة هنا لأن أماسيا الأولى لم تكن داخلة فيملك آل عثمان ( محمد فريد بك ،تاريخ الدولـة العلية ،ص ١٢٣).
(*) جم أحد اخوة السلطان بايزيد ،وقد سار إلى بورصة بعد وفاة والده، وهزم ألفي إنكشاري ثم أرسل إلى أخيه يعرض الصلح ،بشرط تقسيم المملكة بينهما ،فيختص جم بولايات آسيا،وبايزيد بأوربا ،فلم يقبل بايزيد ذلك ،فحاربه وهزمه ،فالتجأ جم إلى مصر ،وحاول بعد ذلك إشارة رئيس فرسان القديس حنا ضد أخيه ،ولكن فرسان القديس يوحنا بالإتفاق مـع بايزيد قبضوا عليه ،مقابل مبلغ من المال يدفعه له السلطان بايزيـد ( محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية ،ص ١٨٠ – ١٨٢ ) .



الحدود بينه وبين دولة المماليك وقد التزمت الدولة في عهدة جانب السلم ولم يخلو الأمر من الفتن والمشاكل الداخلية (١) ،كما ابتدآت في عهدة العلاقات مع دول أوربا ،حيث قامت علاقة بينه وبين الروس ففي سنة ( ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢م ) وصل إلى القسطنطينية أول سفير روسي ومعه هدايا للسلطان بايزيد الثاني وبعد ذلك بأربع سنوات وصل سفير آخر حصل على امتيازات للتجار الروس كما ربطت الدولة العثمانية في عهده صداقة مع مملكة بولونيا ،حيث عقد بينهما معاهدة سنة (٨٩٦هـ/١٤٩٠م) وتجددت تلك المعاهدة سنة ( ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م ) (٢) •

وابتدآت الإتصالات في عهده بينه وبين البابا إسكندر السادس وملك نابولي ،ودولة ميلانو ،وجمهورية فلورنسا ،وقد تكدر صفو حياة السلطان بسبب عصيان أبنائه فاستقال في ثمانية من صفر سنة ( ٩٨١ هـ ـ ١٥١٢ م ) ،متنازلاً لابنه سليم بالحكم (٣) وكان سليم حاكماً على أماسيا سنة ( ٨٧٢ هـ / ١٤٦٧ م ) وجلس على عرش السلطنة سنة ( ٩١٨ هـ / ١٥١٢ م ) وكانت مدة حكمة تسع سنوات ولقد قام بمحاربة الشاة إسماعيل الصفوي وهزمه في تبريز (٤) ،وأكمل مسيرة الفتح فحارب المماليك في بلاد الشام وانتصر عليهم في معركة مرج دابق سنة ( ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م ) حيث هزم السلطان الغوري وبعد أن استتب الأمر له في الشام (٥) ،سار إلى مصرفي أول محرم سنة ( ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م ) وقد

---

(١) إسماعيل سرهنك ،حقائق الأخبار ،جـ ١ ،ص ٥١٩ ـ ٥٢٣ •
(٢) نشانجي باشا ،سير أنبياي عظام ،ص ١٦١ •
(٣) تاريخ جودت باشا ، المجلد الأول ،ص ٣٨ ـ ٣٩ •
(٤) نفس المصدر السابق ،المجلد الأول ،ص ٣٩ •
(٥) إبن زنبل ،آخر المماليك واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، مخطوط رقم ٤٨ ،ص ١٤١ •

اجتمع المماليك الجراكسة في مصر على طومان باي الذي هُزم في الريدانية وأُلقي القبض عليه وأمر السلطان العثماني بشنقه على باب زويله، وبقتلة انتهت دولة الجراكسة في مصر والشام، وابتدأ نجم العثمانيين يلوح في الأُفق، وقد دعى للسلطان سليم على المنابر (١)، ولقب بخادم الحرمين الشريفين (٢).

وقد قام السلطان سليم بإجراء الرواتب للأيتام والشيوخ المقعدين وقرر المرتبات للأوقاف، والخيرات وغلال الحرمين الشريفين، وقد اصطحب السلطان معه من مصر من أصحاب الصنائع التي لم توجد في بلاده، بحيث أفقد مصر نيفاً وخمسين صنعة (٣)، ولكن هؤلاء الصناع الذين رحلهم السلطان إلى إسطنبول سنة ( ٩٢٣ هـ ) لم يطل بعدهم عن مصر أكثر من ثلاث سنوات، هذه مدة قصيرة لاتؤثر على مستوى البلد المهني، حيث توفي السلطان بعد ذلك بثلاث سنوات، وأمر السلطان سليمان بن سليم بعودتهم إلى مصر وعندما رفض الصناع العودة إلى مصر، أصدر قانوناً يقضي بعودتهم وفي ذلك يورد إبن اياس في حوادث شهر جمادي الأُولى عام (٩٢٧هـ) حيث يقول : "وفي هذا الشهر حضر جماعة كبيرة من اسطنبول ممن كان السلطان سليم شاة أسرهم وآخرجهم من مصر، فلما مات سليم شاة بن عثمان واستقر ولده سليمان أصدر مرسوماً بعودة الأسرى قاطبة إلى بلادهم، ورأف عليهم وأظهر العدل فيهم" (٤).

---

(١) البكري، عيون الاخبار ونزهة الأبصار، مخطوط رقم ٧٢، ص ١٠٢ – ١٠٣

(٢) طه زاده عمر فاروق – تاريخ أبو الفاروق، المجلد ٢، ص ٢٩٦ .

(٣) عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الاثار في التراجم والاخبار، ص ٦٤– ٦٥

(٤) ابن اياس، بدائع الزهور، جـ ٥، ص ٣٩٧ – ٩٧٤ .

وقد توفي السلطان سليم الأول سنة ( ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م ) وخلفه ابنه سليمان الثاني، تولى الحكم سنة ( ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م ) [1] وكان له من العمر ستة وعشرون عاماً وحكم لمدة ثمانية وأربعون عاما وهي أطول فترة حكم قضاها سلطان عثماني وتوفي وله العمر أربعة وسبعون عاماً [2] .

يعتبر عصر السلطان سليمان الأول من أزهى العصور في العهد العثماني[3] حيث وفق في فتوحاته في الجانب الغربي كما وفق في فتوحاته شرقاً، واتبع هذا السلطان في سياسته مع أوربا سياسة مخالفة لمن سبقوه، فيما يتعلق باستمرار القتال بين المسلمين والمسيحيين وقد أطلق عليه العثمانيون إسم سليمان القانوني [4]، وذلك لكثرة القوانين والنظم التي صدرت في عهدة، كما أطلق عليه الأوربيون لقب العظم، ويرجع السبب في ذلك إلى أنه بالإضافة لشجاعته، فقد استطاع أن يحتفظ بهيبته في عصر كان يعيش فيه الكثير من المشاهير [5]، أمثال فرنسو الأول ملك فرنسا، وهنري الثامن ملك انجلترا، والإمبراطور شارل الخامس ملك أسبانيا والمانيا، وأمانويل ملك البرتغال، وإيوان الثالث ملك روسيا، وإسيل الثالث .[6]

وقد واكب شهرة هؤلاء الملوك وجود شخصيات تركية ذات أهمية أمثال

---

(١) سليمان خليل جاويش، التحفة السنية، جا، ص ١٥ ؛كامل باشا، تاريخ دولت علية، ج ١، ص : ١٦٣ .
(٢) تاريخ جودت باشا، المجلد الأول، ص ٤٠ .
(٣) طه زاده عمر فاروق، تاريخ آلوالفاروق، المجلد ٣ ، ص ٣ – ٦ .
(٤) محمود زيادة دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ٥٥٧؛ يوسف آصاف سلاطين آل عثمان ص ٧٢ .
(٥) السعيد سليمان، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج٢، ص ٤٤٤
(٦) على بك حليم، التحفةالحليميةفي تاريخ الدولة العلية، ص ٩٥ .

سنان باشا ،وهو من أعظم رجال المعمار ،وكمال باشا زاده مفتي الدولة ومن رجال البحر أمثال طرغود ،وخير الدين بربروسا وأخوه عروج وصادفت أيام السلطان القانوني نهضة شاملة في أوربا في القرن السادس عشر الميلادي ،وسايرهم العثمانيون في ذلك بل فاقوهم في هذا المضمار الحربي ،ولم يوجد في أوربا في عهده من يفوقه حربياً أو سياسياً أو إدارياً ،وقد أطنب الشعراء في الدول الأجنبية في وصف السلطان سليمان القانوني ،ومايدل عليه مظهره من أنه ولد ليكون سلطاناً لماتمتع به من الذكاء والثقافة العالية ،حيث كان ينظم الشعر بالفارسية وإن لم يصل إلى ما وصل إليه والده،وكان ورعاً تقياً كتب ثمانية مصاحف بيده ولاتزال موجودة في الجامع السليماني باسطنبول .(١)

أما فتوحاته فلم تكن بأقل من فتوحات والده حيث تمكن من فتح بلغراد في ( ٢٦ رمضان ٩٢٦هـ/١٥٢١م) ( أنظر الملحق رقم(٣) )،وفتح رودس من فرسان القديس يوحنا في ( ٥ صفر ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م ) كما غزا بلاد المجر ،والتقى بجيوشهم في معركة موهاكس ( ٩٣٢هـ/١٥٢٦م) وقتل ملكهم لويس الثاني ،وفتح العديد من القلاع ،كما حاصر فينا عشرين يوماً عام ( ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م ) ولم يتمكن من فتحها ،فأرتد عنها ،وكان هذا أول فشل يلحق به في أوربا ،وقد اتسعت البلاد في عهده ،حيث امتدت من بودابست على نهر الطونة إلى أسوان بالقرب من شلالات النيل ومن نهر الفرات إلى مسافة قريبة من جبل طارق كما أصبحت الجزائر في عهدة

---

(١) تاريخ جودت ، المجلد الأول ،ص ٤٢ .

(٢) تاريخ بجوي ،ص ٦٨ .

ولاية عثمانية تابعة لدولته ،وكان لخير الدين بربروسا وأخاه عروج دورهما في البحر المتوسط وحماية شواطئه (١) ،وبلغ الحكم العثماني في عهده أوجه (٢) . ( أنظر خريطة ص ٣٩ ) .

جاء إلى الحكم بعده ابنه سليم الثاني سنة (٩٧٤ – ١٥٦٦م ) وله من العمر خمسة وأربعون عاماً ،وقد عمل السلطان سليم على إتمام فتح ممالك اليمن ،وكان والده قد بدأ في فتح اليمن فأكمل هو فتح ذلك القطر (٣) ،كما تمكن من الإستيلاء على جزيرة قبرص (٤) ،كما أرسل السلطان نجدة لمسلمي غرناطة – في الأندلس – الذين أرسلوا يستنجدوا بالسلطان سليم خان سنة ( ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩م ) ضد مسيحي أسبانيا حيث لبىٰ السلطان طلبهم بأن أرسل لأمير أمراء الجزائر بأن يبعث النجدة والمعونة لهم (٥) .

( أنظر الملحق رقم ٤ ) .

وفي عهد السلطان سليم الثاني مني الأسطول العثماني بهزيمة بحرية في معركة ليبانتو عام (٩٧٩ هـ / ١٥٧١م ) وعلى الرغم من سيطرت الدولة العثمانية على قبرص كما ذكرت آنفاً ،وهزيمتهم للنمساويين سنة ( ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦م ) في سهل واج إلا أنهم لم يعودا يشكلون خطراً على أوربا (٦) .

---

(١) محمد باشا ،الدرة المنيرة في بيان ماجرى حين أغارت على الجزائر جنوس الكفرة ،مخطوط رقم ٩٧٥١ ،ص ٣ .

(٢) Halil Inalick , Op, Cit., P, 35 .

(٣) عبد الواسع اليماني ،تاريخ اليمن ،ص ٢١٧ – ٢١٩ .

(٤) مهمة دفتري رقم ٩ صفحة ٧٧ حكم رقم ٢٠٤ بتاريخ ٢٣ شوال سنة ٩٧٧هـ ؛ تاريخ سلانيك المجلد التاسع ،ص ١٠٠ – ١٠١ .

(٥) مهمة دفتري رقم ٩صفحة ٨٩ حكم رقم ٢٣١ بتاريخ ٢٤ شوال سنة ٩٧٧هـ .

(٦) كامل باشا . تاريخ سياسي دولت عليه عثمانية ،المجلد الأول ص ٢٧٢؛ السعيد سليمان ،تاريخ الدول الإسلامية ،ص ٤٤٥ .



من خلال دراستنا للصفحات السابقة ،رأينا كيف أن الدولة العثمانية انبثقت من إمارة صغيرة في شرق الأناضول إلى أن اتسعت في ثلاث قارات هي آسيا وإفريقيا ،والذي يهمنا هو فتوحاتها في القارة الأوربية وفي الجانب الجنوبي الشرقي الذي يضم الدولة الرومانية الشرقية ( الإمبراطورية البيزنطية ) هذه الدولة التي استنزفت الكثير والكثير من جهود المسلمين وكانت معقلاً من معاقل الوثنية والشرك ،وظلت ألف عام تقريباً تدافع عن أوربا ،وتحول دون انطلاق أنوار الحق إلى تلك البلاد ،فكانت بمثابة الحصن المنيع الذي حمى أوربا كل تلك الفترة - ولكن شاءت عناية الله أن يدك ذلك الحصن ويسقط منهاراً أمام ضربات المسلمين وبقوة الإيمان على يد السلطان محمد الفاتح حيث كان دعماً للإسلام الذي انطلق منها مبشراً بدين الحق والنور ،وأصبحت القسطنطينية معقلاً من معاقل الإسلام بعد أن كانت شوكة في جنب المسلمين ،وبؤرة فساد .

بعد ذلك توالت الفتوحات والإنتصارات ضد التكتلات والزعامات الأوربية الصليبية ،وأخذ جند الإسلام يسيرون والنصر في ركابهم ينشرون الإسلام في جنوب شرق أوربا ووصلت الجيوش العثمانية إلى أبواب فينا وكانت فينا هي أقصى اتساع للدولة العثمانية في أوربا ،ولايخفى أن أنتشار الإسلام رافق الفتوحات التي قام بها آل عثمان في أوربا حتى أنهم لم يعرفوا في ذلك التاريخ بالترك لدى الشعوب الأوربية بل جند الإسلام .

# الفصل الأول

## الوجود الإسلامي العثماني في أوربا

١- دخول الإسلام إلى شرق أوربا.

٢- الأوضاع السائدة في المناطق الأوربية.

٣- النظم العثمانية في الولايات الأوربية.

٤- أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام.

تحدثنا في الفصل السابق عن نشأة الدولة العثمانية، وأصل الأتراك ، وتوسيعهم لرقعة بلادهم •

بدأنا نسمع لأول مرة عن العثمانيين في بداية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، وذلك عندما نزحوا من بلادهم ، في قارة آسيا أمام غارات المغول ، ثم تقدموا نحو آسيا الصغرى (١) ، وقد أسدوا خدمة للسلطان علاء الدين السلجوقي ، الذي أقطعهم ولاية في الشمال الغربي من آسيا الصغرى ، مكافأة لهم ، وقد كانت هذه الولاية نواة للدولة العثمانية (٢) •

أما عن دخول الإسلام إلى جنوب شرق أوربا ، فقد انتشر على مراحل متعددة المرحلة الأولى منها عن طريق التجار المسلمين ، الذين عرفوا برحلاتهم التجارية في مختلف أنحاء العالم ، فقد ارتادوا تلك الأماكن للتجارة تجارة الفراء وكافة السلع الأخرى التي كانوا يحصلون عليها من البلاد الشمالية ، وبفضل التجار المسلمين وتوغلهم في تلك البلاد واستقرار البعض كان له أثر في دخول المسيحيين في الإسلام ، إذ اجتذب التاجر المسلم بسبب أمانته وإخلاصه ، وصدقه في المعاملة ، وحسن الخلق الذي حض عليه الدين الإسلامي الحنيف ، اجتذب كثيراً من سكان تلك البلاد إلى الإسلام (٣) •

---

(١) محمد السيد غلاب ، البلدان الإسلامية ، ص ٢٠٥ •

(٢) محمد فريد بك الدولة العلية ، ص ١١٨ ؛ أحمد مختار ، فتح جليل قسطنينية ، ص ٤ •

(٣) أحمد بن عباس بن فضلان ، رحلة إبن فضلان ، ص ٩١ •

ففي نهاية القرن ( الثالث الهجري وأوائل الرابع / التاسع الميلادي وأوائل العاشر ) . عاش جماعة من قبائل البلغار على نهر الفولجا ووصل اليهم الدين الإسلامي ، عن طريق التجار المسلمين الذين يتاجرون بالفراء ، وهم أول جماعة اعتنقت الإسلام ، وقد أرسل إليهم الخليفة العباسي المقتدر ، قائده أحمد بن عباس المعروف بابن فضلان ليفقههم في الدين بعد أن وطلت جماعة منهم ( البلغار ) إليه تطلب ذلك وقد تحدث ابن فضلان عن تلك الرحلة ووصفها وصفاً دقيقاً ، وذكر بأن الغاية منها دعوة البلغار إلى الدين وتعليمهم الإسلام وشعائره (١) وأشار إبن فضلان في وصفه إلى اعتناق أحد ملوك السلاف " الطش بلطمور " الإسلام ، وذكر بأنه عندما وصل إلى بلاده خف لاستقبالهم ، فلما رأى ابن فضلان ومن معه ممن أوفدهم الخليفة العباسي المقتدر خر ساجداً شكراً لله عز وجل (٢) .

وقد كان لقبائل البلغار المسلمة دور في نشر الإسلام ، في جنوب شرق أوربا ، في أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي حيث هاجر البلغار الذين أعتنقوا الإسلام إلى حوض نهر الفولجا ، وجنوب شرق أوربا ، وانتشر أولئك المهاجرون في بلغاريا ، ويوغسلافيا ، وألبانيا ، والمجر ، وكانت نسبتهم ضئيلة إلى مجموع السكان (٣) .

---

(١) إبن فضلان ، رحلة إبن فضلان ، ص ٩١ .
(٢) نفس المصدر السابق ،ص ٩٣ – ٩٥ .
(٣) محمود شاكر ، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، ص ٣٩ .

أما عن المرحلة الثانية لانتشار الإسلام في شرق أوربا فكانت عندما وصلت القبائل التترية في القرن السابع الهجري ،الثالث عشر الميلادي إلى تلك المناطق واستقرت بها ، وقد اعتنقت القبيلة الذهبية الإسلام، وكان أوزبك الكبير القائد المغولي هوخان القبيلة الذهبية أو إمبراطورية الكبشان ، التي بلغت أوج عظمتها في عهده ، وقد اعتنق الإسلام ، وتحمس له بشدة ، واليه يرجع الفضل في ترسيخ دعائمه هناك ، وقد اشتقت قبائل الأوزبك التي عاشت في أواسط آسيا اسمها من اسمه تبركاً، ويقال أنه وضع خطة لنشر الإسلام في كافة أرجاء روسيا ، وازدهرت الأسرة الذهبية فى عهد عبدالله خان أوزبك ( ٧١٤ – ٧٤٢ هـ / ١٣١٤–١٣٤١ م ).(١)

كما اعتنقت القبيلة الذهبية الإسلام ، فقد اعتنقه خانات الجفتاي من المغول ، اعتنقوا الإسلام طوعاً وعلانية ،وتحول رعاياهم من البدو إلى الإسلام ، كما استبدلوا الشريعة الإسلامية بقانونهم الوضعي ، لتنظيم حياتهم ، وبذلك دخل الأتراك المغول الإسلام بعد مدة قصيرة من وفاة موءسس دولتهم جينكيز خان ابتداء من تشكيل دولة القبيلة الذهبية المغولية في بلاد الروس التي كان زعماوءها من المسلمين وانتهاءً بنشوء الدولة العثمانية .(٢)

أما المرحلة الثالثة من مراحل دخول الإسلام إلى أوربا فكان أهمها الفتوحات العثمانية فى أوربا . وبدأت هذه المرحلة منذ عهد السلطان أورخان بن عثمان حيث تمكن ابنه سليمان من فتح مدينة غاليبولي

---

(١) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ٣١ – ٣٢ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٣ – ٣٤ .

على أثر زلزال أدى إلى سقوط أسوارها [1]، وكان ذلك بداية للوجود العثماني في أوربا عام (٧٦٠ هـ / ١٣٥٨م) [2]، وقد قام سليمان باستدعاء جماعة من الأناضول للإستقرار في غاليبولي ، وعاملهم معاملة حسنة، ووعدهم بالهدايا والمكافآت [3]، وقد تمكن من نقل جيشه إلى غاليبولي بواسطة الزوارق [4].

هذا وقد ترك السلطان أورخان آثاراً عديدة ساهمت في نشر الإسلام في شرق أوربا ومنها الجيش الإنكشاري الذي قام بتكوينه وبنائه، من أبناء المسيحيين اليتامىٰ [5] الذين تربوا تربية إسلامية ودينية عميقة وتعلموا القرآن الكريم وحفظوه ، واتصفوا بالأخلاق والعادات والمعاملات الإسلامية الحميدة ، والنظم العسكرية التي توءهلهم للعمل العسكري كذلك تعلموا اللغة التركية ، وعرفوا وخبروا التاريخ الإسلامي ، وتاريخ الدولة العثمانية ونظمها [6].

وقد كان ذلك الجيش الإنكشاري عوناً للدولة العثمانية، لتجنيد فرقاً عسكرية كاملة من المشاة ، يضعون عقولهم وأجسامهم وخبراتهم في خدمة الإسلام والسلطان وميادين القتال ، إبتغاء إحراز الإنتصارات العسكرية التي تحقق بها الدولة مزيداً من الفتوحات

---

(١) أبو الفاروق ، تاريخ أبو الفاروق ، ص ٨٢ — ٨٤ .
(٢) إسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار ،ج ١ ،ص ٤٩٠ .
(٣) محمد فوءاد كوبرلي ، قيام الدولة العثمانية ، ص ١٨٧ .
(٤) أحمد رفيق ، بيوك تاريخ عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٤٠ .
(٥) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٤٢ .
(٦) حسن لبيب ،تاريخ الأتراك العثمانيين ،القسم الأول ، ص ١١ — ١٢ .

في القارات الثلاث (١).

وضع السلطان أورخان قانوناً خاصاً بالإنكشارية جاء في أربع عشرة مادة تضمنت النظام الداخلي لهم وتنظم علاقات أفراده بعضهم ببعض، كما نصت على الطاعة المطلقة والإنقياد التام للسلطان (٢)، وكان الإنكشارية ينظرون إلى أعداء السلطان على أنهم أعداء لهم، وكانت شجاعتهم مضرب الأمثال، هذا وقد بارك ذلك الجيش الحاج بكتاشي (*) حيث أعطى كل واحد منهم قطعة من عباءته، وكان الضباط يعلقونها على رؤوسهم تبركاً (٣).

لقد كان للجيش الإنكشاري أثره الكبير في الفتوحات العثمانية التي خاضت غمارها الدولة في آسيا وأوربا وأفريقيا، حيث أحرز النصر خلال القرن الرابع عشر الميلادي والقرون التي تليه (٤)، بالإضافة للجيش الإنكشاري الذي أنشأة السلطان أورخان فقد عني ببناء المدارس، ومن تلك المدرسة مدرسة نيقية عام ( ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م ) (٥)، كما أنشأ العديد من المدارس والمساجد والمستشفيات في مختلف أنحاء مملكته

---

(١) حسن لبيب، تاريخ الأتراك العثمانيين، القسم الأول، ص ١٢.

(٢) محمد فريد بك، الدولة العلية، ص ٤٢.

(*) البكتاشية: من الطرق الصوفية التي انتشرت في الدول العثمانية، حيث أولتها الدولة أهمية بالغة وأمدتهم بالعون والحقتهم بالجيش ( من الطرق الصوفية النقشبدية والمولوية والرفاعية والأحمدية والرشيدية والخلوتية ) وهذه الطرق شوهت الإسلام وساعدت على إدخال البدع في طلب الدين (محمد فوءاد كوبرلي، قيام الدولة العثمانية، ص ١٦٨).

(٣) عبد اللطيف البحراوي، حركة الإصلاح العثماني، ص ٥١.

(٤) أحمد رفيق، بيوك تاريخى عمومي، المجلد ٦، ص ٢٤٢.

(٥) Halil Inalick, Op, Cit., P, 8.

كما نظم أمور الدولة الداخلية والخارجية وقال عنه المؤرخ الرومي خالقوفونديل : ان أورخان كان حليماً على الفقراء ، وأرباب الصناعة والعساكر ، حيث أنه لم يتخلف عن إعطاء الصدقة لكل واحدمن رعيته (١).

وقد كان لهذه المعاملة الحسنة الأثر العميق في دخول الكثير من المسيحيين في الدين الإسلامي ، وتوسيع قاعدة الإسلام في المناطق الأوربية ولم يكن أورخان هو السلطان الوحيد الذي عمل على تثبيت الإسلام في تلك النواحي من أوربا ، بل إن حكام آل عثمان وأثرياؤهم كانوا يتبارون في تخليد أنفسهم ، ببناء المساجد ، التي أوقفوا عليها الأوقاف الواسعة فلم يكن الحاكم ، أو الثري يهتم بأن يبني داراً لنفسه أو أن يملك الضياع والعقارات ليورثها أبناءه من بعده ، بل كان يهتم بأن يبني مسجداً أو تكيه ، أو مدرسة ، أومستشفي ويوقف عليها الأوقاف لينتفع بها المسلمين ، ويشهد بذلك الآثار الإسلامية المنتشرة في أجزاء كثيرة من المناطق الجنوبية الشرقية من أوربا (٢).

وهذا هو سر نجاح الدولة العثمانية في تقدمها نحو الغرب ، ووصولها إلى أسوار فينا عام ( ٩٣٩ هـ / ١٥٢٩ م ) مقارنة بالفترة المتأخرة التي لم يلتزم فيها سلاطين آل عثمان بالمبدأ الإسلامي .

ومن هوءلاء السلاطين الذين حرصوا على تقدم الإسلام في جنوب شرق أوربا السلطان مراد ، حيث قام بالتقدم السريع نحو أوربا ، فقد

---

(١) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٢٤٢ .

(٢) إحسان حقي ، المسلمون أمام التحدي العالمي ، ص ٢٥ .

ورث عن والده جيشاً منظماً ، وكان صاحب عزيمة وإرادة وتربية علمية عالية كما اتصف بالجرأة والشجاعة ، وأصبح المجال أمامه مفتوحاً لإظهار نشاطه وقدراته الحربية وقد تمكن السلطان من فتح أدرنة عام (٧٦٣ هـ/ ١٣٦١م ) واتخذها عاصمة له ، وهى الطريق الموءدي من القسطنطينية إلى الدانوب (١) ، وأصبحت أدرنة مركز القيادة العامة لمراد في أوربا (٢) ، وسار نحو البلقان وفتح حصونها وعقد صلحاً بينه وبين ملك اليونسان ، كذلك تمكن السلطان مراد من التصدي للبيزنطيين وأجبرهم على دفع الجزية واحتل نيس التابعة للصرب ، ثم أجرى صلحاً مع لازر ملك الصرب مقابل جزية سنوية يدفعها للسلطان ، ويبعث بألف جندي مقاتل لمساعدة العثمانيين حين الحاجة ، وقد أثار ذلك مخاوف ملك البلغار الذي أرسل وفداً للسلطان يطلب الصلح حيث قبل السلطان مراد ذلك ، ولم يغير عليه لعدة سنوات (٣) .

عاد السلطان إلى أدرنه بعد ذلك وعمل بعض الإصلاحات والتي تتضمن : تقوية حكم العثمانيين في الأماكن التي فتحتها الدولة من قبل ، وتطبيق النظام بالنسبة للجيش كما في عهد والده هذا في الروم إيلي ، إضافة إلى تشكيل فريق من الجيش مهمته نقل المعدات العسكرية الثقيلة إلى المناطق التي تحتاجها ، وتعيين تيمور طاش باشا مسوءلاً عن تنسيق الجيش في روم إيلي .

واعتباراً من هذا التاريخ فقد تم وضع تقسيمات للجيش العثماني: أمير الأمراء الأناضولي،وأمير الأمراء الروم إيلي واختار مدينة فلبة

---

(١) Halil Inalick, Op, Cit, P, 8 .

(٢) أحمد رفيق ، بيوك تاريخي‌عمومي ، مجلد ٦ ، ص ٣٤٢ .

(٣) نفس المصدر السابق ، المجلد ٦ ،ص ٣٥٣ .

وأنقرة مركز لهذه المهمة ، وبجانب هذه الإصلاحات في الجيش فكر السلطان بتوسع مملكته وكيفية الوصول إلى ذلك (١) .

في الوقت الذي كان السلطان مشغولاً بتقوية نفوذه في أقطار الأناضول كان أمراؤه يعملون على تقوية نفوذ الدولة في بلاد الروم ، ويركزون همتهم على منطقتين هما مقدونيا ، وصوفيا لذلك تمكن أمير روملي من احتلال البانيا ، كما تمكن الجيش الآخر من احتلال قلعة صوفيا .

في هذا الوقت كان ملك البلغار يتأهب للإنضمام إلى ملك الصرب حينما فاجأت الجيوش العثمانية جيوش البلغار واحتلت ترنوه * وشوملة * ، مما اضطر ملك البلغار للفرار والإحتماء بمدينة نيكوبلس ، ولكن الجيوش العثمانية تمكنت من هزيمته ، وفي معركة قوصوة سنة ( ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م ) أحرز العثمانيين نصراً على الصرب ووقع لازر ملك الصرب أسيراً في يد المسلمين الذين قاموا بقتله ، وبهذه الواقعة المهمة التي بقى ذكرها شهيراً في أوربا بأسرها زال استقلال الصرب ، كما فقدت الروملي والأناضول والبلغار استقلالها من قبل ، وقد انتقم الصرب لمقتل ملكهم بأن تمكن جندي صربي اسمه ( ميلوك كابلوفتش ) من قتل السلطان مراد بعد أن ضم كثيراً من البلاد إلى ما تركه له والده (٢) ، هذا إضافة إلى ماقام به قواد الدولة في عهده من تنظيم أمور البلاد المفتوحة ، وتعيين قاضي لكل منهم ليحكم بينهم ، كما حولت العديد من الكنائس

---

(١) أحمد رفيق ، بيوك تاريخى عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٥٣ .

(*) ترنوه : هى تورنوفو (Turnovo) تقع إلى الجنوب الشرقي من بلغاريا .

(*) شوملة : هى شومن (Shumen) تقع إلى الشمال من تورنوفو .
( محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٣٤ ) .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٣٤ — ١٣٦ .

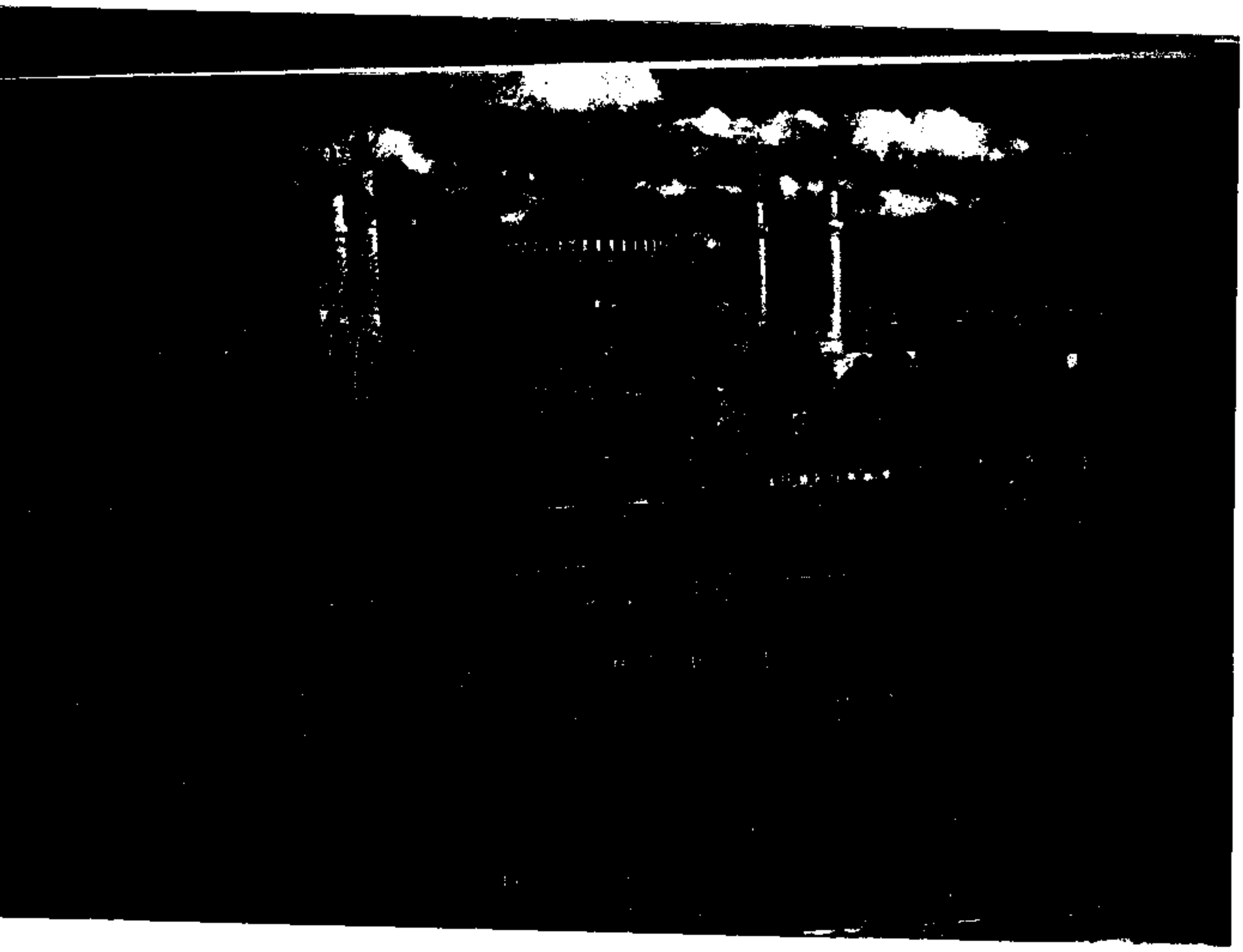
إلى مساجد وبنيت مساجد جديدة ، هذا ونلاحظ أن الجيش لم يتعرض لأموال الناس كما أنهم لم يتدخلوا في شئونهم التجارية ، أما البلاد المتمردة فقد أغاروا عليها وأخذوا منها الأسرى ومثيري الفتن (١) ·

ومن سلاطين آل عثمان الذين كانت لهم إنجازاتهم في داخل القسطنطينية وفي البلاد الأوربية السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح فبعد الفتح الكبير والإنجاز العظيم الذي حققه بفتح القسطنطينية سنة ( ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م ) فقد اتخذ منها مقراً لحكمة ، وأطلق عليها إسم إسلامبول ، وعمل على تحويل كنسية أيا صوفيا لتصبح (٢) جامع العاصمة الرئيسى ، وعمل فيها بعض التعديلات حيث قام بتغطية روائع الفسيفساء الذهبية التي كانت تزين العقود وتمثل الفن البيزنطي قام بتغطيتها بطبقة من الكلس ، أما القبة فقد أدخلت على تصميم البناء الكنسي بواسطة محراب ، وضع وسط جناح الكنيسية الجنوبي، وقد أقيم المنبر على عمود الكنيسة الجنوبي والشرقي ، وقد أنشأت من الخارج أربع مآذن رفعت أوها في عهد السلطان الفاتح ، ثم أضيفت الثلاثة الأخرى في عهد السلطان سليم الثاني وخلفائه · ( أنظر الشكل ص٥١ ) كذلك أنشا السلطان الجامع المسمي باسمه ( جامع محمد الفاتح ) أو( الجامع المحمدي ) في قلب العاصمة وعهد بإنشائه إلى المهندس اليوناني خريستو دولوس وقد بدأ العمل فيه من ( ٨٦٨ – ٨٧٤ هـ / ١٤٦٣م–١٣٦٩م )· وكان هذا الجامع تحفة معمارية ، ومن أروع آثار العثمانيين في فن العمارة التي تشهد بأهتمام آل عثمان بيوت الله وقد هدمت الزلازل الجزء الأصلي من البناء ، والجزء الداخلي تعلوه قبة مركزية تقوم

---

(١) أحمد رفيق : بيوك تاريخى عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٥٢ ·

(٢) فتح جليل قسطنطينية ، ص ٧٥ ·



* مسجد آيا صوفيا .
كان فى السابق كنيسة حيث أنشأت عام ٢٣٤م ثم احترقت وقام الإمبراطور الرومانى جوستنيان ببنائه بالشكل الذى هو عليه الآن ،وقد تحول إلى مسجد على يد السلطان محمد الفاتح عند فتحه للقسطنطينية عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م.

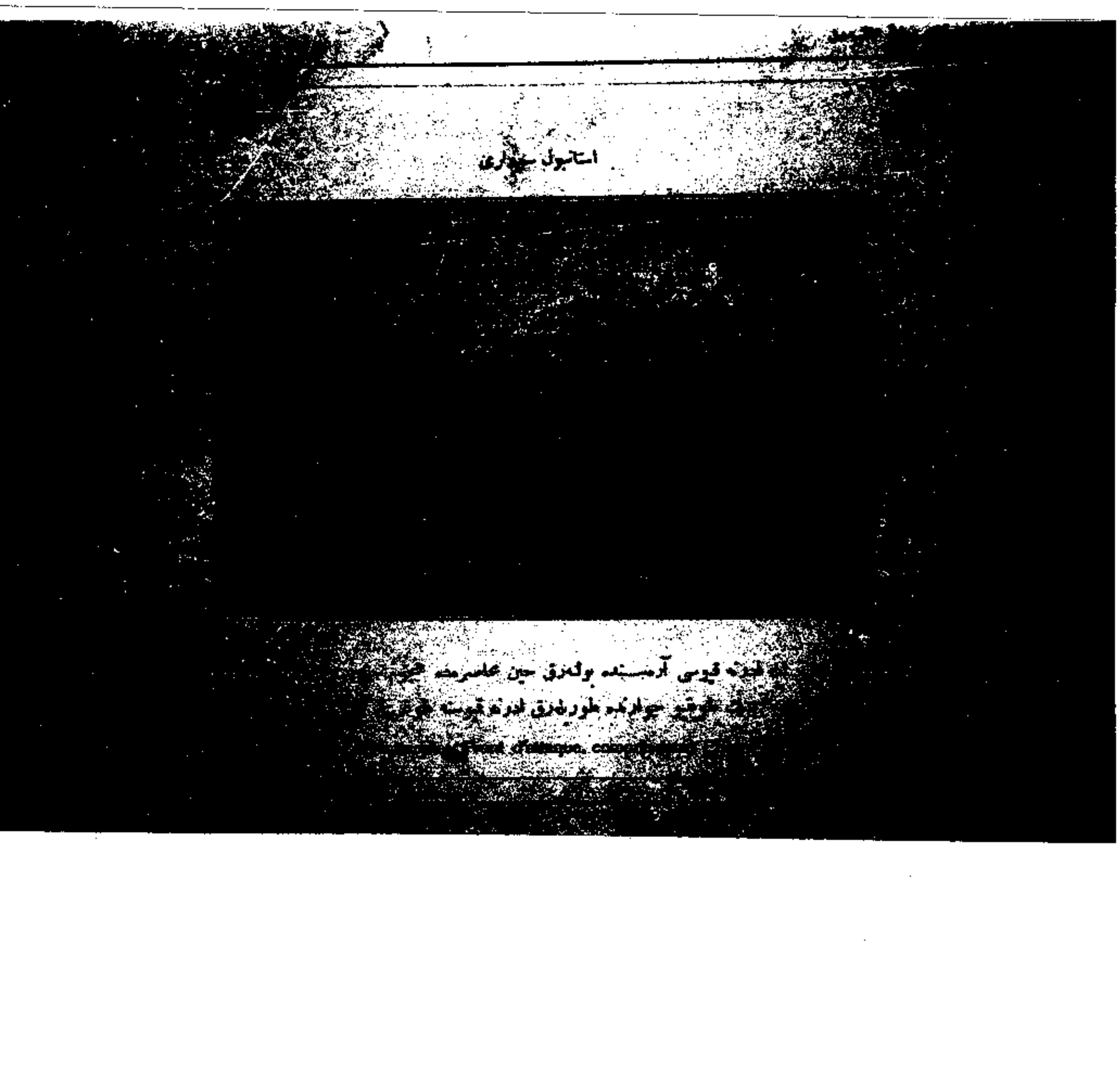
أحمد مختار ،فتح جليل قسطنطينية .

على أربعة أعمدة بين أربعة من أنصاف القباب المتماثلة في الإتساع وتظلل الزوايا أربع من القباب أصغر حجماً ، ويدخل الضوء إلى الجزء الداخلي من صفوف النوافذ الستة القائم بعضها فوق بعض وهناك مئذنتان ، ويلحق بالجامع المدارس والحمامات وخان لنزول الغرباء (١)، ودارا للعجزة ، ومستشفى (٢)، وإلى يمين الباب الرئيسي لوحة من الرخام كتب عليها بأحرف من ذهب الحديث النبوي ( لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش ) (٣)، هذا بالإضافة إلى عشرة مساجد بناها السلطان في أنحاء مملكته، كما قام ببناء مسجد قرب قبر ابي أيوب الأنصاري الذي لاقى وجه ربه أثناء حصار الجيش الأموي للقسطنطينية وتعلوا هذا المسجد قبة (٤)، كما عمل السلطان على إعادة ماتهدم من أسوار القسطنطينية وبنى قلعة الأبراج عام (٨٥٩هـ / ١٤٥٤م) كما قام ببناء قصره على ربوة مرتفعة داخل المدينة، وبنى قصراً آخر على بحر مرمرة (٥) . ( أنظر ص ٥٣ )

واهتم السلطان الفاتح بالأسطول إهتماماً عظيماً خاصة وأن تلك الفترة تقتضي النزول إلى ميدان المنافسة البحرية مع الدول الأخرى، فقام ببناء داراً لصناعة السفن وتطويرها ، وأنشأ مدرسة القصر والتي تعد

---

(١) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٤٤ - ٤٧ .
(٢) محمد كامل الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٤١ - ٤٤ .
(٣) البخاري ، التاريخ الكبير ، المجلد الثاني ، القسم الثاني من الجزء الأول ، ص ٨١ ؛ صحيح مسلم ، ج ١٨ ، ص ٢١ ؛ الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، ج ٤ ، ص ٣٣٥ .
(٤) إدوارد جيبون ، إضمحلال الإمبراطورية البيزنطية الرومانية وسقوطها ، ص ٣٤٥ - ٣٤٧ .
(٥) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٤٧ .



* سور اسطنبول :

صورة عن سور اسطنبول الواقع بين طوبقبو وأدرنه قابو، وان هذا القسم من السور قد اتخذ مكاناً للهجوم عند محاصرة اسطنبول ،وقد أصيب بالضـــربات والهجمات . والصورة تشير إلى هذا القسم من السور .

أحمد مختار : فتح جليل قسطنطينية .

نموذجاً رائعاً للمعهد العالي وظلت هذه المدرسة تقوم بعملها حتى القرن العشرين ويتلقى الدارسون بها اللغات والأدب والفنون العسكرية والموسيقى والقانون والألعاب الرياضية (١) .

بعد استكمال استعدادات تقوية الجيش واصل السلطان فتوحاته الموفقة في البلقان من أجل نشر الإسلام . فاستولى على كل من المورة والصرب ، والبوسنة ، وهدد المجر والمانيا ، وإيطاليا ، ودانت له طرابزون والقرم في آسيا (٢) . وقد جهز السلطان محمد الفاتح جيشاً سار به إلى البغدان عام ( ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م ) فخاف رئيسهم وهرب ، فدخل السلطان البلاد وأسر من أسر ، وأجبر استيفان على دفع الجزية ، كما أنه عام ( ٨٨٥ هـ / ١٤٥٤م ) حاصر رودس ثلاثة أشهر ولكنه لم يوفق لحصانتها (٣) .

أما السلطان بايزيد الثاني فقد ابتدأت في عصره علاقات الدولة العلية مع أوربا ، حيث وصل في عهده أول سفير روسي ( ٨٩٨هـ/١٤٩٢م ) ومعه جملة من الهدايا للسلطان ، وبعد ذلك بأربع سنوات وصل سفير آخر حصل على امتيازات للتجار الروس داخل الدولة العثمانية ،وابتدأت في عهده الإتصالات مع مملكة بولونيا ، والبابا اسكندر السادس ، وملك نابولي ، وجمهورية فلورنسا ، وقد عني بايزيد بالإنشاء والتعمير ، حيث أنشأ المباني العامة الضخمة ، ومد شبكة الطرق ،والجسور في طول

---

(١) الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٤٥ – ٤٦ .
(٢) موفق المرجه ، صحوة الرجل المريض ، ص ٤٠ .
(٣) أحمد زيني دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

الدولة وعرضها مستعيناً بالمهره من الصناع اليونانيين والبلغار ، وقد يسرت هذه الشبكة من الطرق الإتصال بين أنحاء الدولة ، ومن آثاره العمرانية المسجد الذي يحمل اسمه والذي شيده تجاه السرايا القديمة في استانبول ، ويمتاز بالفخامة ، وبزخرفته على الطريقة الفارسية ، حيث تحيط به من الجهات الأربعة عقود مصنوعة من الرخام الأبيض والأسود، قائمة على أعمدة من الزبرجد والمرمر الأخضر ، وتعلوها سقائف مقببة فخمة في وسط الصحن وترتفع على عدد من الأعمدة ، وللمسجد أربعة أبواب خارجية على الطريقة الفارسية وبه عدد من المآذن (١) •

وسارت مسيرة سلاطين آل عثمان في التقدم في البلقان بهدف نشر الإسلام ، ولم يكن هدفهم التسلط والطغيان ومن هوءلاء السلاطين السلطان سليمان القانوني ، فقد أتاح له الأسطول القوي الذي جرى تشيده خلال ربع قرن ،أتاح لسليمان سلاحاً جديداً يمكنه من التصدي لأعدائه براً وبحراً ، بالإضافة إلى أن ضم السلطان سليم للبلاد العربية في المشرق وفرت لسليمان مصادر دخل وفيرة وهيبة كبيرة في العالم الإسلامي بحيث استطاع أن يصل بدولته إلى قمة الإزدهار والعظمة (٢)، مما جعل الأوربيين يخلعون عليه لقب العظيم (٣) ، حيث ابتدأ حكمه بإقامة العدالة وذلك بالتوسع في تنظيم المحاكم ، وفرض على رجال البوليس والمفتشين التأكد من إطاعة أحكام المحاكم وقوانينها ، وإعادة تنظيم الإدارة ، وقد شهدت فترة حكمه الطويلة إصدار القوانين ، التي حددت كيان الحكومة وحقوق وواجبات كل أعضاء الطبقة الحاكمة والرعايا، وهذا هو السبب الذي

---

(١) بروكلمان ،الأتراك العثمانيون وحضارتهم ،ج ٣ ،ص ٥٨ – ٥٩ •

(٢) برنارد لويس ، استانبول وحضارة الخلافة ،ص ٥٤ – ٥٥ •

(٣) أحمد دحلان ، الفتوحات الإسلامية ،ج ٢ ،ص ١٤٧ •

من أجله أطلق عليه لقب القانوني .(١)

وقد كرس السلطان سليمان معظم جهده للقيام بسلسلة من الحروب من أجل التوسع في نشر الإسلام ففي عام ( ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م ) تمكن من فتح بودا العاصمة المجرية ، وصلى صلاة الجمعة في إحدى كنائسها التي تحولت إلى مسجد ، كما ألحقت هنغاريا بالدولة العثمانية بعد الإنتصار الذي حققه السلطان في معركة موهاكس عام ( ٩٤٨ هـ - ١٥٤١م )(٢)، وعقد إتفاقية مع البندقية،(٣) كما تمكن من الإستيلاء على جزيرة رودس عام ( ٩٢٩ هـ / ١٥٢٢م ) ،حيث كان قراصنتها يهاجمون السفن الإسلامية التجارية ، وسفن الحجاج المتجهين للأماكن المقدسة ،وباستيلائه عليها أمكن تامين تحركاته وأملاكه في شرقي البحر المتوسط .(٤)

وفي عهده تمكن خير الدين بربروسا رئيس البحرية من الإستيلاء على عدة جزر واقعة على حدود ايطاليا ، ثم سار السلطان ومعه ابنه مصطفى وسليم الى مدينة وان واستولى عليها سنة (٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م) وبعد ذلك عاد الى اسطنبول .(٥)

ومن أروع آثاره المعمارية جامع السليمانية الذي أنشاه في إحدى أجمل مناطق اسطنبول ، وقد وضع الأساس لهذا الجامع في عام

---

(١) Halil Inalick, Op, Cit., P, 35.

(٢) Ibid. P, 36 .

(٣) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص١٩٦ ، ٢٠٢ .

(٤) Halil Inalick, Op, Cit., P,36.

(٥) يوسف آصاف ، سلاطين آل عثمان - ٢-، ص ٨٧ - ٨٨ .

( ٩٥٧ هـ /١٥٥٠ م ) حيث شرع فى إنشائه المعماري الكبير سنان باشا، وبذل فيه قصارى جهده بعد أن تعهد للسلطان بإتمام الجامع في مدة قصيرة لاتتجاوز الشهرين ، وحتي يعمل على سرعة الإنجاز فقد قام بتوزيع الأعمال ، فمن العمال من يقوم بالبناء والتشييد ، والبعض الآخر يقوم بالأعمال الفنية والزخرفية الخاصة بالمسجد ، ومن أبرز أجزاء المسجد المنارات حيث يوجد به أربع منارات بنيت مناسبة لعظمته تنقسم المنارات إلى قسمين منارتا الجامع ومنارتا الحرم ، كذلك هناك الفناء الداخلي الواسع الذى يحيط به الرواق ذو الثمان والعشرين قبة وتستقر أقواس القبة على أربعة وعشرين عموداً ، ووسط الفناء الداخلي مجمع حجري لتقسيم المياه ، وإلى جانب الفناء الداخلي هناك الفناء الخارجي الذي يفتح على إحدى عشر باباً ويحمل كل باب إسماً خاصاً به مثل باب المرعي ، وباب القصر القديم ، وباب المكتب ، وباب السوق ، وباب كبير الحكماء،وباب العمارة ،وباب القبة ، وباب الأغا،وباب الحرم، وللفناء الداخلي ثلاثة أبواب ، أحدها رئيسي والإثنان جانبيان ،أما الدخول إلى داخل الجامع فبواسطة ثلاثة أبواب ، وهناك بابان آخران أحدهما على يمين المحراب والآخر يسارة وهذا يستخدم للصعود إلى مقصورة السلطان والآخر لخروج الإمام ، ونحتت هذه الأبواب غاية في الجمال ، وقد كتب على الأبواب والنوافذ آيات وأحاديث (١) ، ويضاء المسجد عن طريق مائة وثمان وثلاثون نافذة ، أما القبة الرئيسية للجامع فتستند على أربعة أعمدة كبيرة وتسمى أرجل الفيل أما أقواس القبة فهي متكئة على أربعة أعمدة وقد بني المحراب والمنبر من المرمر ، أما القسم الواقع إلى يمين المسجد فيستخدم كمكتبة نقلت إليها الكتب من المكتبة العامة (٢) .

---

(١) سليمان ملا إبراهيم أغلو،جامع السليمانية إنشاوءه وخصائصه ،ص ١٣، ٢٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٧ — ٤٢ .

(أنظر الشكل ص ٥٩ ) .

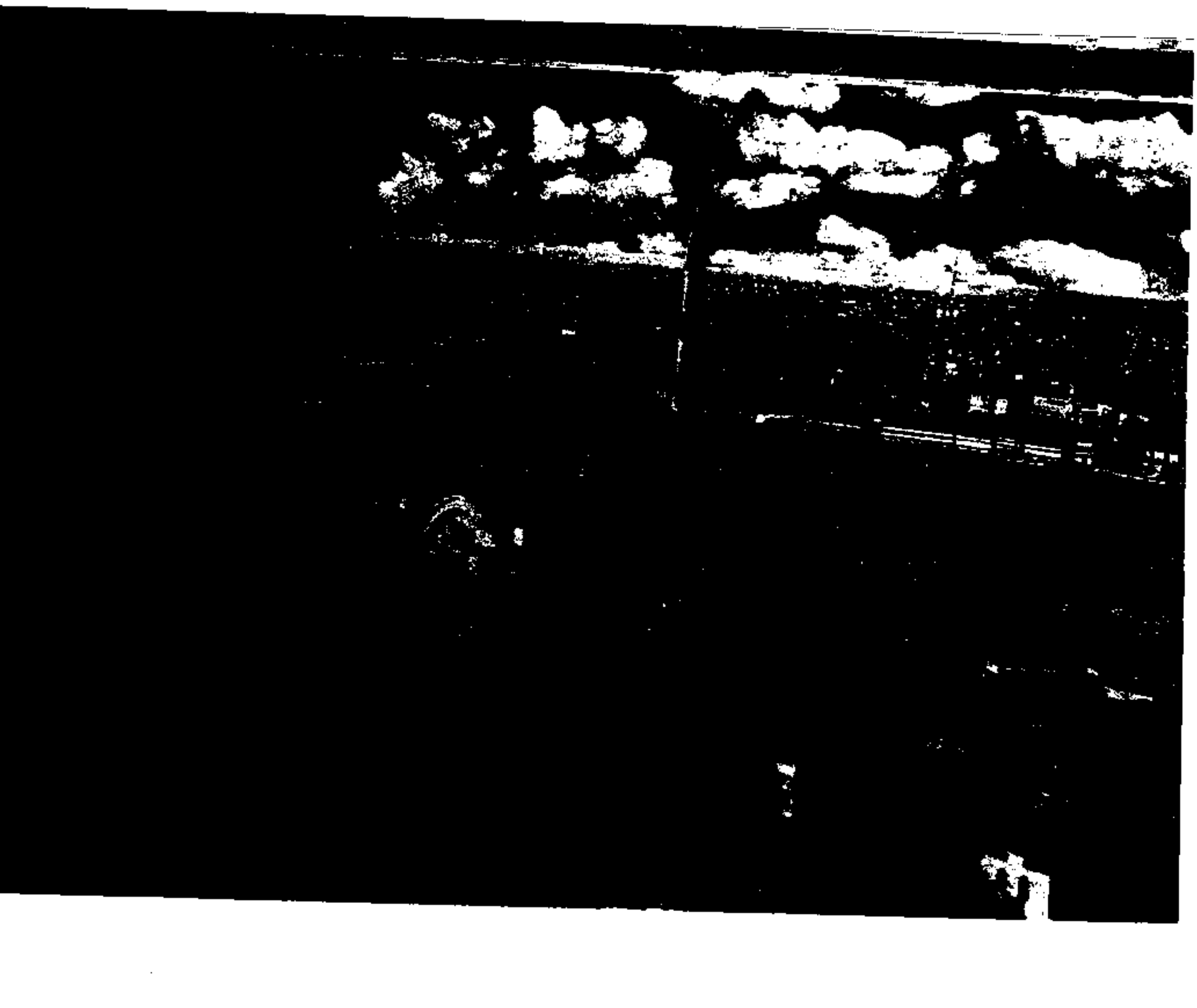
ويتضح إهتمام السلطان سليمان بنشر الإسلام في جنوب شرق أوربا ،عندما شرع في بناء إثنين وثمانين جامعاً كبيراً، وخمسين مسجداً صغيراً ،وخمس وخمسين مدرسة ،وسبعة معاهد لتحفيظ القرآن الكريم وسبعة جسور وثلاثين مقراً ، وثمانية خانات ،وخمسة متاحف ،وثلاثة وثلاثين حماماً موزعة في جميع أنحاء مملكته (١) .

لم يقتصر الأمر على ماقام به السلاطين من العمل على نشر الإسلام عن طريق الفتوحات ، وماشيدوه من المساجد والمعاهد الدينية في البلقان ،بل كان للجيش الإنكشاري - الذي اعتمدت عليه الدولةالعثمانية- دور في نشر الإسلام في تلك الأصقاع ، فقد شهدت العقود الأولى للدولة العثمانية دخول أعداد كبيرة من البيزنطيين والأرناوءط والسلاف في الإسلام ، وقد حرص العثمانيون على معاملة هوءلاء المسلمين الجدد معاملة حسنة وفتحوا المجال أمامهم لمشاركتهم أعباء الجهاد في سبيل الله، والعمل على نشر الإسلام ، وإدارة الدولة دون أي قيود،ولم يكن لإنتمائهم العرقي أو القومي السابق أي تأثير يمنع ارتقاءهم في مناصب الدولة العسكرية ، حيث كان الهدف من إنشاء هذا الجيش الإسلامي ،مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين وفتح المزيد من أراضيهم بهدف نشر الإسلام فيها والاستفادة من البيزنطيين والأجناس الأخرى التي دخلت في الإسلام ، في نشره بعد أن يكونوا قد تلقوا تربية إسلامية وجهادية ،ورسخت في قلوبهم مبادىء الإسلام سلوكاً وجهاداً (٢) .

---

(١) بروكلمان ، تاريخ الأتراك العثمانيون وحضارتهم ،ج ٢ ،ص ٧٢ .

(٢) زيادة أبو غنيمة ، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، ص ٦٠ ، ١٥٤ - ١٥٥ .



صورة لجامع السليمانية ـ باسطنبول •

كما أنه مما ساعد على إزدياد إنتشار الإسلام في تلك المناطق من أوربا ، هي السماحة الدينية للإسلام ومعتنقيه من العثمانيين الذين ساروا على سيرة من سبقهم من الفاتحين المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية والعباسية هذه السماحة مهدت لدخول تلك الشعوب في الإسلام (١) ٠

هذا ونلاحظ أن العثمانيين ساروا في نشرهم للإسلام بين تلك الشعوب المسيحية على مانصت عليه الآية الكريمة ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ ( سورة البقرة : آية ٢٥٥ ) ٠

فالعثمانيون لم يكرهوا أحداً من تلك الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام كرهاً ، بل تركوا لهم الحرية الدينية فمن أراد البقاء على دينه لم يصبه أذى ، ونتيجة لهذه السماحة ، فقد دخلت أفواج كثيرة منهم في الإسلام ، وقد سارع الكثير من الإغريق والذين أصبحوا تابعين للدولة العثمانية في الولايات الأوربية يسارعون في الدخول إلى الإسلام واعتبروا العثمانيين منقذين لهم مما كانوا يلاقونه من الإضطهاد البيزنطي الذي كان واقعاً عليهم (٢) ٠

إن الدولة العثمانية هي أول دولة فى العصر الحديث تأخذ بهذا المبدأ ـ وهو كفالة الحرية الدينية لمنسوبيها ـ باعتباره الدعامة الأساسية لقيام الدولة ، وهذا جعل كل من المسلم والمسيحي يعيشان

---

(١) عبدالله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص ١٩ ـ ٢٢ ٠

(٢) توماس وأورنولد ،الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ،مترجم ،ص ١٧٠ ـ ١٧٢ ؛ مصطفى حلمي، الأسرار الخفية ،ص ٧٠ ٠

في وئام في ظل الحكم الإسلامي (١) مما ساهم بطريقة فعالة في دخول الكثير من المسيحيين في الدين الإسلامي .

ولو قارنا بين هذا التسامح الديني وما لحق بالمسلمين من الإضطهاد الديني ومحاكم التفتيش التي دارت رحاها ضد مسلمي الأندلس ولم تنته الا باخراجهم من البلاد التي عمّروها قروناً طويلة بسقوط آخر معقل لهم في الأندلس وهي مدينة غرناطة ( ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢م ) حيث اضطر المسلمون بعد ذلك إلى الخروج من الأندلس ، نظراً لما لحق بهم من الإضطهاد والتعذيب على أيدي مسيحي اسبانيا ، ولم يكتفوا بذلك بل أن المسيحيين أرغموا من بقي من المسلمين على التخلي عن دينه وإسلامه ، ومن لم يرض أُجبر على ترك البلاد واتجه إلى البلاد الإسلامية (٢) .

لم يكن الأوربيون أقل تعصباً من مسيحي أسبانيا ، حيث صبوا جام حقدهم الأعمى على المسلمين في المشرق الإسلامي ، في حملاتهم الصليبية المدمرة ضد الإسلام والمسلمين ، فعندما أستولوا على بيت المقدس قاموا بذبح سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى ، حتى سالت دماء المسلمين الشهداء حسب ماترويه المصادر التاريخية (٣) .

وقد قمت بهذه المقارنة لكي أوضح ماتمتع به المسلمون من سماحة ولين جانب لرعاياهم من الشعوب المسيحية التي دخلت تحت سلطانهم ، وعدم إكراههم أو اضطهادهم ، مما أدى بالتالي إلى إسلام

---

(١) أحمد مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٢ .
(٢) عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٢ .
(٣) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .

الكثير منهم ودخولهم في الإسلام ، في مقابل ماقام به مسيحي آسبانيا وأوربا ، من التعذيب والتنكيل بالمسلمين ، لحقدهم الدفين على الإسلام والمسلمين ٠

أما عن الأوضاع السائدة في المناطق الأوربية فقد كان الوضع السياسي في البلقان ، مرتبطاً مع الوضع الجغرافي ،فإن الجبال في البلقان لم تكن عائقاً أمام التقدم العثماني ، ومرور الجيش ،كما أن وجود الأنهار ساعد في الوصول إلى وادي الدانوب ، مما سهل على العثمانيين بعد ذلك الوصول إلى بلغاريا ، ووسط أوربا ، حيث تحركوا بعد ذلك بسهولة إلى البحر الأسود ، ومولدفيا ، وولاشيا ، كما أن الدفاع عن تلك الأراضي يحتاج إلى الوحدة السياسية ،والعسكرية ولم يتوفر ذلك للبلقان في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، حيث كان النزاع والتنافس بين أمراء البلقان على أشده (١)

ومن الطبيعي جداً أن يتجه العثمانيون نحو شبه جزيرة البلقان ، في عهد مراد الأول حيث كان عدد من صغار الحكام - لايكاديحص - يتنازعون السلطان ، ويفني بعضهم بعضاً، في حروب متواصلة ،فسار مراد إليهم وشن هجوماً ساحقاً فتساقطوا واحداً اثر الآخر ،في قبضة الجيش العثماني ففي عام ( ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢م ) فقد البيزنطيون أدرنة التي أصبحت فيما بعد عاصمة للعثمانيين حتى سقوط القسطنطينية، (٢) كما أن اختلاف صقالبة البلقان ، وتفرق حكامهم ساعد في تغلب العثمانيين عليهم حيث استولوا على كل من صوفيا ، ونيس عام( ٧٨٧ - ٧٨٨ هـ / ١٣٨٥ - ١٣٨٦م) وأكمل بعد ذلك خير الدين فتح مقدونيا ، من غاليبولي واستولوا على سالونيك (٣) وقد التقى العثمانيون فى عام ( ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م ) بالقوات الصربية ،

---

(١) Norman Itzkowitz. The Ottoman Empire, P, 13.

(٢) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

تؤيدها جيوش البشناق والمجر والبلغار والألبان ، وكان السلطان مراد على رأس تلك الجيوش العثمانية ، والتقي بالنصارى فى معركة قوصوه ، حيث استشهد السلطان العثماني وأكمل ابنه بايزيد المعركة وانتصر وأسر ملك الصرب ، وفي عام ( ٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م ) فقد البيزنطيون آخر ممتلكاتهم في آسيا الصغرى مدينة الاشهر.(١)

إن العثمانيين عندما بدأوا زحفهم نحو البلقان كانوا يحاربون أمماً أخرى ، من موقع إستراتيجي ممتاز ، لذلك حققوا تلك الإنتصارات ، وأن هذه الأمم لم تتمكن من إعداد قوة تستطيع عن طريقها الوقوف أمام قوة العثمانيين المتحمسين المزودين بأفضل آلات الحرب ، أضف إلى ذلك ماكان بين الدول الأوربية من العداوة الشديدة ، ولم تستطيع دول البلقان وأوربا ـ ذات التكوين الضعيف ـ الوقوف أمام القوة العثمانية ، وبالتالي انتصر العثمانيون على أرض المعركة ، ولم تتمكن أوربا من تجنيد أربعين ألفاً لمحاربة القوة العثمانية ، وأصبح الجيش العثماني الإنكشاري أقوى الجنود الفعالة في أوربا .(٢)

أما الوضع الإقتصادي والإجتماعي لرعايا البلقان قبل الفتح العثماني لها ، فقد كان مضطرباً ، حيث كان السكان يعيشون حياة اجتماعية سيئة للغاية ، فقد كان الفلاح مضطهداً يئن تحت الضرائب الثقيلة والأعباء الإقتصادية المجحفة ، التي كان ملزماً بها من قبل البيزنطيين ، دون مراعاة لحالته الإجتماعية والإقتصادية ، لذلك فلم(٣)

---

(١) بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٢٦ — ٢٧.
(٢) Robinson, Op, Cit., PP, 100 - 101.
(٣) Norman Itzkowitz, Op, Cit., PP, 16 - 17 .

يكن هذا الفلاح يكن أي حب لطائفة الأشراف والأعيان ، فهم الجلادون في نظره ، يكرهونه على دفع الضرائب الباهظة للدولة ، دون شفقة ولارحمة أو تقدير للحالة المادية والمعيشية السيئة التي يحياها ، واذا لم يوءد ما عليه من الزامات عومل بمنتهى القسوة والعنف ، وطرد من أرضه ، وصودر ما يملك (١) لذلك فقد رحب هوءلاء الفلاحون بالنظام العثماني وانضمت شعوب البلقان تحت لواء الحكم العثماني ، ورفرف العدل فوق ربوعها ، وقد تمتع الرعايا النصارى في البلقان بقدر واسع من الحرية الدينية ، وسمح لهم بالتحاكم بشريعتهم ، وانتعشت أحوالهم في ظل الحكم الجديد ودخل الملايين منهم دين الإسلام ، رغبة وطواعية ، وفضلت الأقاليم التي وقعت تحت الحكم العثماني المسلم الإدارة الجديدة على الأوضاع التي كانت تعاني منها في ظل الإقطاع أو البيزنطيين أوالبنادقة ومنذ البداية رحب العثمانيون بكل من يعتنق الإسلام ، ويلتحق من ثم بالجيش أو البلاط ، منحوه حق المواطنة الصالحة ، وكان الوضع الإجتماعي والإقتصادي الذي منحه العثمانيون لرعاياهم البلقانيين مغرياً حيث أقبل الكثير منهم على اعتناق الإسلام وفتحت أمامهم سبل الترقي إلى مناصب القيادة وتبوء أرفع المراتب فالمسلمون فقط الذين أمكنهم الإنتساب إلى سلك الجيش والخدمة في إدارات الدولة ، وكانت تدار في عهد السلطان سليمان القانوني أرفع مكاتب الدولة من قبل المدراء ذوي الأصل البلقاني (٢) ٠

هذا وقد ضمنت الحكومة العثمانية لأهل البلقان الأمن على

---

(١) هربرت فشر ، أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربية حتى الثورة الفرنسية ، ص ٣٧٤ ٠

(٢) على حسون ، العثمانيون والبلقان ، ص ١٢٧ — ١٢٨ — ١٣١ ٠

الروح والممتلكات ، ومجيء العثمانيين لتلك البلاد يعني تحسن أوضاعها الإقتصادية والإجتماعية ، وخاصة من ناحية تحسين الطرق ومدها ، حيث امتدت الطرق التجارية البرية والنهرية من البلقان إلى اسطنبول، وفي نفس الوقت ألغي استيلاء الإقطاعيين على مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية ، وأعيد تقسيم الأراضي وتوزيعها على الفلاحين (١) .

أما من الناحية الدينية ، فقد كان الصراع على أشده بين الكنيسة الشرقية والغربية ، كل منهما تعمل جاهدة من أجل إحكام سيطرتها على الكنيسة الإغريقية واللاتينية ، ففي العصور الوسطى كان الفرق واضحاً بين الشرق والغرب ، ففي الشرق أسلمت الكنيسة زمامها للأباطرة الذين ازداد تدخلهم في شؤون الكنيسة-فيما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين-وسياستها الداخلية ، فكان الإمبراطور يجمع بين السلطتين السياسية والدينية ، أما في الغرب فان الوضع كان مختلفاً عن ذلك كثيراً ،لأن الإمبراطورية الغربية أصبحت بعد تقسيم العالم الروماني ضعيفة لاتستطيع أن تفرض سيطرتها على الكنيسة والدولة جميعاً كما حدث في القسطنطينية (٢)، وقد استمر هذا الصراع الكنسي بين الكنيستين كل واحدة تحاول فرض سيطرتها على الأخرى ، وحيازة زعامة العالم المسيحي ، وهذا العداء تسبب في قدوم العثمانيين إلى البلقان والسيطرة عليها ، أضف إلى ذلك العداء والخصومة بين كل من فرنسوا الأول ، وشارل الخامس فقد أدى ذلك إلى تثبيت مركز العثمانيين وتوسعهم وتقدم فتوحاتهم نحو أوربا (٣) ، وفي ظل الأوضاع الجديدة والحكم العثماني للبلقان ، تمكن

---

(١) Raphaela Lewis. Everyday life in Ottoman Turkey. P, 180.

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ص ٤٨ – ٤٩ .

(٣) هربرت فشر ، في أصول التاريخ الأوربي الحديث ، ص ٣٧٣ .

الرعايا النصارى من الإنتقال بسرعة وسهولة ويسر إلى صف الفئة الحاكمة، أما الذين يرغبون في الإحتفاظ بعقيدتهم فيبقون خاضعين للتنظيمات المذهبية النصرانية السائدة لدى الشعوب العثمانية غير المسلمة.(١)

وقسمت الطوائف وفقاً للتنظيمات العثمانية إلى خمس طوائف، أو جاليات دينية، على أساس الملة، وأطلق عليها ( ملة ) وتمتعت بالحقوق المدنية والدينية الكاملة، وبخاصة اليونان، وهذه الطوائف هي: الأرثوذكس، الأرمن، الأغريقيون، الرومان، الكاثوليك، والبروتستانت، واليهود، وخضعت كل مجموعة لإشراف وتوجيهات روءسائها الدينيين، حيث كانت غالبيتهم الساحقة تعتنق الأرثوذكسية، ورئيسهم الديني والمدني مقره القسطنطينية، كذلك مركز اليونان في القسطنطينية وللبلغار مطرانيتهم في ( أوهريد )* أما سكان رومانيا فلهم موءسسة قومية مشابهة، أما مركز الرئيس الديني أو البطريق الخاص بالصرب في مدينة ( بيج ) بالقرب من جنوب غرب مقدونيا اليوغسلافيا.(٢)

مما سبق تجدر الإشارة إلى أنه مما دفع بالعثمانيين إلى الإتجاه بفتوحاتهم نحو أوربا، إنما هو قوة الإيمان والعمل على نشر الإسلام وماتمتعوا به من القوة وحيازة الأسلحة والعتاد، وعزيمة الرجال، ومهما حاول بعض الموءرخين الأوربيين من إرجاع إنتصاراتهم في أوربا

---

(١) على حسون. العثمانيون والبلقان، ص ١٢٨.
(*) أوهريد: مدينة يوغسلافية تقع جنوبى جمهورية صربيا. ( على حسون، العثمانيون والبلقان، ص ١٢٩ ).
(٢) نفس المرجع السابق، ص ١٢٩.

إلى تصدع البنيان السياسي وتفككه وانهيار الناحية الإجتماعيـــــة والإقتصادية لشعوب البلقان ، إضافة إلى الخلافات الدينية والمذهبيـــة مهما حاول أولئك المؤرخون أمثال ربنسون ، وبروكلمان،وفشـــــــــر فان هذا لايصمد أمام الحقيقة في أن سيطرة العثمانيين على تلـــــك المناطق أدت إلى انتعاش الحالة الإقتصادية ، والإجتماعية وإقـــــرار الأمن والقضاء على التوتر الديني ، بما كفله الإسلام من الحريـــــة الدينية ، لذلك فضل أهالي البلقان الحكم العثماني على حكـــــــم البيزنطيين ، لما لمسوه من حسن المعاملة والإستقرار والطمأنينة .

وحقيقة الأمر أن اتجاه الدولة العثمانية نحو أوربا لــــم يكن يهدف الأطماع أو استغلال الضعف السياسي والتفكك القائم فيهـــــا آنذاك ولكن الهدف الحقيقي هو نشر الإسلام ، ومقاومة كل من يقـــــف في طريق ذلك وهذا المبدأ هو الذي جعلهم يتقدمون ، وينتصـــــــرون، ويحققون ماوصلوا اليه من فتوحات عظيمة ، وصلت إلى فينا في عهـــد السلطان القانوني . والقائلين بأن انتصار العثمانيين يرجع إلــــى الضعف السياسي للأقاليم الأوربية في شبه جزيرة البلقان ، إنمـــــا يقصدون بذلك إيجاد التبريرات الواهية ليقللوا من عظمة التقـــــدم الإسلامي في بلادهـــم .

رأينا في الصفحات السابقة الوضع في المناطق الأوربية ، وسنتحدث هنا عن النظم التي قامت بها الدولة العثمانية في تلك المناطق ، فلقد اشتهر الأتراك بنظامهم الإداري الجيد ، الذي ارتكز أساساً على العنصر التركي ، ولكن عندما تحولت الدولة إلى الإسلام تكونت طبقة حاكمة جديدة ، ليس على أساس رابطة الدم فقط ، بل على أساس رابطة العقيدة ، التي هي أقوى الروابط ، وقد أصبحت هذه الطبقة الجديدة في خدمة السلطان ، ومع مرور الأيام وكثرة الحروب عظم شأنها ، وإنّ غير الأتراك كانوا يعتبرون أنفسهم أفضل تفوقاً من الأتراك ، وسموا أنفسهم بالعثمانيين إحتراماً لسلالة عثمان، وعلى رأس هذه الطبقة السلطان العثماني الذي كان يعمل من أجل المصلحة العامة (١) .

في عهد كل من عثمان وأورخان ومراد كان الحاكم يلقب ( بيه ) ، أما في عهد السلطان بايزيد فقد تغير اللقب إلى سلطان وخان ، وكان السلطان يهتم بالعادات التي تقربه من شعبه ، ولكن بعد اتساع الدولة أصبح السلطان لايرى الا نادراً (٢) .

أما مجلس الوزراء فقد كان يتكون من الوزير الأول ، وقاضي اسطنبول ، وقائد الجيش ، ومدير الخزينة ، وغيرهم ، وكان هذا المجلس يقدم النصائح للسلطان (٣) .

أما بالنسبة للإدارة العثمانية فكانت الفروع المدنية

---

(١) Robinson - Stewart, Op, Cit., PP, 104 - 106.

(٢) Ibid. PP, 101 - 108 .

(٣) Ibid. PP, 108 - 109 .

والقضائية والعسكرية متداخلة بعضها في بعض ، وكانت الدولة مقسمة إلى ولايات وسناجق ، وكان رؤساء الولايات والسناجق هم من الضباط العسكريين ، كذلك من يحيط بهم الحاشية ، وفي حالة الحرب كانوا يقودون الجيش ليساندوا رؤساء الإقطاع ، وعلى درجة أعلى من بهاوات الأناضول، وفي حالة سحب الثقة من قادة الأناضول وروملي ، كان هناك إثنان مهمتهما قيادة الجيش يسموا ( بيلربيك ) (*) .

ويتحدث البعض عن النظم العثمانية التي سادت في الأقطار الأوربية ، نظام ضريبة الغلمان ( ديفشريم ) ويعني أخذ الأطفال وجمعهم من الأقطار المحيطة بالدولة العثمانية ، وقطع أي صلة بينهم وبين ذويهم وإدخالهم في الإسلام ، لذلك لم يكن لدى هؤلاء الأطفال أي عاطفة أبوية أو وطنية ، والشيء الذي كانوا يتعلمونه هو الطاعة العمياء لسيدهم السلطان (١) .

ليس هناك في الشريعة الإسلامية مايعرف بهذه الضريبة ، ضريبة الغلمان ، ولا إكراه في إدخال غير المسلم في الدين الإسلامي، قال تعالى : ﴿ولا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (٢) .

أما كلمة ديفشريم فهي كلمة تركية تعني الإسقاط أو السقوط وتطلق على المواليد حديثي الولادة ،والذين تجهض بهم أمهاتهم

---

(*) بيلربيك: أي أمير الأمراء أو سيد السادات،وهو لقب إداري وعسكرى، ورثة العثمانيون عن الدولة السلجوقية والإمارة من الوظائف المهمة في التشكيلات الإدارية والعسكرية في الدولة العثمانية وقد استخدم هذا اللقب فى عهد السلطان مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩هـ) (محمد فريد بك،الدولة العلية ، ص ١١٣ ) .

(١) Robinson, Op, Cit., PP, 107 - 108 .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥٥ .

فيخرجون أمواتاً ، أو على الذين تلدهم أمهاتهم سراً ثم يقذفون في الطرقات ، أو على أبواب الملاجيء ، ثم أطلقت بعد ذلك على كل طفل لقيط أو مشرد ، لأي سبب من الأسباب ، وحقيقة هذا النظام نظام (الديفشريم) ماهو سوى فرية مزعومة دست على السلطان أورخان ومراد، والصقت بعد ذلك بالعثمانيين ، حيث لم يكن هذا النظام لإرغام النصارى على الإسلام وأخذهم بالقوة وإنما كان نظاماً إنسانياً ، أخذت الدولة على عاتقها بموجبه مسئولية رعاية اللقطاء والمشردين لأن الإسلام دين الرأفة والرحمة وهو الذى يدين به العثمانيون ويحترمونه كما أن الإسلام يرفض رفضاً باتاً الطريقة الغير إنسانية في انتزاع الأطفال من أحضان أمهاتهم وآبائهم ، وقطع اي صلة لهم بذويهم كما أنه ليس فى الشريعة الإسلامية ضريبة تعرف بذلك (١) .

لو صح عن هوءلاء الأطفال الذين انخرطوا فينا بعد في الجيش أنهم لم تكن لديهم الحمية الوطنية لو صح ذلك عنهم ، لما كان ماكان من تحقيق الإنتصارات على الأوربيين في جميع حروبهم إبان قوة الدولة، فليس ذلك الامحض افتراء ، للنيل من الدولة العثمانية ،التي حملت الإسلام خفاقاً نحو أوربا .

وهناك طبقة نشأت في وقت متأخر في عهد السلطان محمد الثاني وهي طبقة العلماء ، وقد لعبت هذه الطبقة دوراً كبيراً في الدولة الإسلامية (٢) .

---

(١) زياد أبو غنيمة ، جوانب مضيئة في تاريخ الأتراك العثمانيين ، ص ١٢٦ ،١٢٨ – ١٢٩ .

(٢) Robinson, Op, Cit, P, 104 .

وحقيقة الأمر أن طبقة العلماء نشأت منذ تأسيس الدولة العثمانية على يد السلطان عثمان ، حيث أعتمدت عليهم الدولة في تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية التي اتخذتها الدولة نبراساً ومنهج حياة (١) .

كانت مهمة العلماء في البداية محصورة كقضاة في الجيش ، ولكن في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي ،لم يعد هناك منصب مستقل للمفتي ، بل تحولت مهامه إلى قاضي اسطنبول أو أي شخص آخر متعلم خاضع لسلطة الدولة (٢) .

إن مهمة القضاة لم تكن محصورة فقط في الجيش ، بل في جميع شؤون الدولة الدينية ،والمدنية ،كما أن القضاء لم يعط لأي شخص كما يذكرربنسون ، فإذا صح ذلك فاليهودي، والمسيحي خاضعان لسلطة الدولة فهل يسوغ لهما الحق في أخذ منصب القضاء ، إن هذا المنصب لم يكن يعطى لأي شخص بل لعالم الشريعة العالم الورع التقي العالم بأمور الشريعة .

كما اعتمدت الدولة في الأمور الدينية على العلماء والقضاة فقد اعتمدت في أمور الحرب على الجيش الإنكشاري ، الذي يمثل القوة الضاربة للدولة ، والذي حقق الكثير من الإنتصارات ، بالإضافة لهذا الجيش فقد كانت هناك قوة منظمة أخرى لاتقل أهمية عنه ، وهي قوة أمراء

---

(١) طاشكبري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ، ص ٦ .

(٢) Robinson, Op, Cit., P, 104.

الإقطاع الذين كانوا يزودون الدولة بالجنود والمشاة والفرسان لينضموا إلى معسكرات الجيش ، ووصل تعداد الجيش إلى أربعة عشر ألف فارس ، وهي قوة كبيرة لم تستطيع أوربا إعدادها ، وكان أصحاب الإقطاع يحصلون على إقطاعات دائمة ، والبعض الآخر على إقطاعات مؤقتة ، تعود للدولة بعد وفاة الإقطاعي (١) .

إن البلاد المسيحية في ظل الدولة العثمانية ، قد تترك لأهلها الحرية الدينية ، وحرية الحكم الداخلي ، بشرطين هما : أن يدفعوا الجزية المطلوبة ، وأن يحترموا قوانين الدولة ، مع احترامهم لسيادة المسلمين وألا يظهروا أي احتقار أو عداء (٢)، كما أن الحكومة قد ضمنت لهم أمن الأحياء ، وأمن الممتلكات وحقوقهم الدينية وإن مجيء الدولة العثمانية إلى شرق أوربا كان يعني تحسن الأوضاع المعيشية وامتداد الطرق التجارية بينها وبين العاصمة اسطنبول (٣) .

إن الدولة العثمانية لم تحاول صبغة الشعوب التي دانت لحكمها بالصبغة العثمانية ، أو ربطها بالحضارة الإسلامية ، وقد اتسمت سياسة الدولة بالسلبية في هذه الناحية وذلك لسببين : سطحية الحكم العثماني بحيث مارست الدولة نفوذها في نطاق ضيق ، والإستعلاء الذي كان سمة من السمات البارزة في الحكم العثماني ، واشترك الشعب في هذه السمة فكان الشعب والسلاطين على حد سواء (٤) .

---

(١) Robinson, Op, Cit., PP, 104 - 120.

(٢) Rophaela - Lewis . Everyday Life In Ottman Turkey. P, 180.

(٣) Ibid . PP, 108 - 113.

(٤) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٦٧ .

أما وضع رعايا دول جنوب شرق أوربا تحت الحكم العثماني من حيث الأنظمة ، فكان هناك نظام ( الملل )، ويقوم ذلك النظام على تصنيف رعايا الدولة غير المسلمين تصنيفاً على أساس المذهب الديني لأولئك الرعايا ، ويطلق على كل مذهب ملة ولكل ملة رئيس ديني ينظر في المسائل الدينية ، وله أتباع من رجال الدين المسيحي (١) ، ولكل ملة من هذه الملل مدارسها الخاصة ، وأماكن العبادة والأديرة، كما أنه لايتدخل أحد في ملتها، وقد أطلقت لهم الحرية الدينية وحرية التكلم باللغة التي يريدونها، (٢) ولكل ملة محاكم خاصة ، لاتستعمل فيها الا لغتها الأصلية ، وهناك محاكم أخرى تستعمل اللغة التركية، ويمكن رفع القضايا إليها اذا لم يرض المتهمون بأحكام المحاكم الكنسية ، لذلك كان هناك نوعين من الضرائب : الضرائب التى تجبيها الحكومة المركزية ، وتلك التى يأخذها الرؤساء الروحيون (٣) .

ويمثل المسلمون في الدولة العثمانية الأكثرية ، ثم يليهم الروم الأرثوذوكس، وباقي الملل الأخرى كاليهود والأرمن ، وسائر الطوائف المسيحية يعرفوا بالملة (٤) ، ورئيس الملة ، الديني يعتبر المسؤول الذي يتولى تطبيق الأحوال الشخصية على أفراد طائفته، ولم تطبق قوانين الزواج والطلاق والإرث والتبني الإسلامية على غير المسلمين ، بل كانت المحاكم المذهبية للنصارى واليهود تعني بهذه الأمور، وكان نظام الملة يطبق على الجاليات الأوربية ،المقيمة في الدولة العثمانية (٥)

---

(١) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ،ص ٦٧ .

(٢) ماري ملزباترك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٥ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ – ٢٦ .

(٤) Stanford Show, History of the Ottoman Empire, PP, 151 - 152 .

(٥) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ،ص ٢٣٥ .

" وقد بلغ عدد سكان الدولة العثمانية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حوالى خمسين مليون نسمة ، وهو عدد ضخم في مقابل الدول الأوربية ، والتي لم تكن تزيد على العشرين مليون في تلك الآونة ، فانجلترا نفسها لم يكن يزيد عدد سكانها على خمسة ملايين "(١).

يورد صبحي بك معلم قسم الحربية في المدرسة الحربية العثمانية عن عدد سكان السلطنة العثمانية وأديانها فيقول :

ومن الملل غير المسلمة الأروام أتباع الكنيسة الأرثوذكسية وكان عددهم مليونان ، ويدخل في هذا العدد المسيحيون الألبان، والعنصر الروماني ، الذي يدين بالتبعية للدولةالعثمانية بعد فتح القسطنطينية ، ومسيحيوا الأناضول ، الذين يتكلمون اللغة التركية ، ومسيحيوا سورية ، واليونان الذين تميزوا عن العناصر السابقة لأنهم سكنوا البلاد اليونانية القديمة والأروام لاختلاطهم الأول بأقوام عربية حتى أنهم أضاعوا جنسيتهم اليونانية (٢).

كذلك كان هناك المسيحيون أتباع الكنيسة الأرمنية وبلغ عددهم مليون ، ومن هذا العدد ستون ومائة إلى ثمانين ومائة ألف ، سكنوا الأستانة وسبعمائة ألف سكنوا الولايات الست الحاوية على ثلاث ملايين وسبعمائة ألف من السكان أما الباقون فكانوا متفرقين في أنحاء الولايات العثمانية (٣).

---

(١) محمد كمال الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية ، ص ٦٣ .
(٢) حقي العظم ،تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان ،ص ١٩ .
(٣) نفس المصدر السابق ، ص ١٩ – ٢٠ .

أما العنصر السلافي فبلغ عدده في الولايات الثلاث أدرنــة ، وسلانيك ومناستر خمسمائة ألف بلغاري ومائة ألف صربي ،وعاش أكثر هذا العدد على الفلاحة أو العمل عند أصحاب المزارع الواسعة من المسلمين، واليهود وصل عددهم من ثلاثمائة إلى أربعمائة ألف ، وقطن هؤلاء المدن والموانيء التجارية ، مثل اسطنبول ،وسلانيك (1) ، وإذا أضفنا إلى هؤلاء أصحاب المذاهب المختلفة الذين سكنوا سورية مثل المارونيين اليعاقبة، فان عدد السكان المسيحيين واليهود كان يصل إلى سبعة ملايين ونصف ، ويطرح هذا العدد من سبع وعشرين مليون مجموع سكان الدولة العثمانية ، فإن المسلمين منهم وصل عددهم إلى تسعة ملايين ونصف ( إحصائية عام ١٢٩٤ — ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٧ — ١٨٧٨ م ) (2) .

أما الأجانب فكانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية إما تجاراً ، أو زائرين (3) ، في شروط خاصة ولأغراض معينة .

وقد حافظت الدولة على حقوق الأجانب ، وكان للمسلم حق إعطاء الأمان لمن التجأ إليه من دار الحرب فرداً أو جماعة، وكان هذا الحق للإمام والعلماء فقط ، وكان للأجانب حق التجول في البلاد الإسلامية كزوار أو السكن إذا لم يكن في ذلك ضرر بالمسلمين ، وكان لكل ملة من هذه الملل سالفة الذكر منظمات خاصة ، مثل المنظمات التعليمية والدينية والإجتماعية ،والأمنية ، وكان هناك المستشفيات ،والمدارس

---

(١) Stanford Show, History of The Ottoman Empire , PP, 151 - 152 .

(٢) حقي العظم ،تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان،ص ٢٠ ،٢٧ .

(٣) Stanford - Show, Op, Cit., P, 163 .

والفنادق التي استمرت حتى القرن العشرين •(1)

إن وجود مثل هذا النظام داخل إطار الدولة العثمانية لهو دليل على التسامح الديني وسماحة الإسلام ،وإن وجود مثل هذا النظام داخل الدولة العثمانية ،أتاح الفرصة للمسيحيين الذين عاشوا داخل إطار السلطنة للتعرف على محاسن الإسلام وما كفله هذا الدين القويم لأتباعه من الحقوق والواجبات ، وقد كان لهذا التسامح أثره العميق في دخول آلاف المسيحيين في الدين الإسلامي ، والإقبال المنقطع النظير للتمتع بعدالة الإسلام •

إن الدولة العثمانية استوعبت بداخلها كل هذه الملل والأجناس ، وفي ذلك دلالة واضحة على ما تمتع به المسلمون من السماحة الدينية ولين الجانب ، مما شجع الكثير من أهالي الشعوب المفتوحة على الإنخراط في ظل الدولة العثمانية ،والتمتع بالمزايا الرفيعة العالية التي لم يحظوا بها في ظل أي حكومة نصرانية ، وفي ذلك إشارة ظاهرة على عظمة الإسلام ومعتنقيه من العثمانيين •

ومن النظم العثمانية التي كانت في الأقاليم الأوربية ،نظام التيمار(٢) ، فقد كانت الدولة العثمانية بعد فتح البلقان تترك إدارة

---

(1) Stanford - Show, Op, Cit., P, 163

(٢) التيمار : كلمة فارسية معناها كل مايعطى للمريض أو الحيوان، أو حتى للأرض والنباتات من موءونه أو عناية ،وأطلق هذا اللفظ على أراضي الدولة التي كانت تعطى للجنود والفرسان ليعيشوا منها •
( محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ١٣٢ )•

الأراضي للمزارعين على أن يقوموا بإعداد عدد معروف من الجنود يلحقون بالجيش العثماني ، وكان هؤلاء المزارعون من أسر نبيلة ، أو من الأمراء المعروفين بشخصيتهم وإستقلالهم (١) .

لقد استطاع العثمانيون التخلص من حكم الأمراء تماماً، وضموا الأراضي المفتوحة إلى دولتهم ، ومن القيادة المباشرة تولد نظام التيمار في الأراضي المفتوحة ، هذا وقد كان صاحب التيمار يؤدي وظيفته تحت مراقبة أمير المنطقة ، وبهذا النظام التيماري عمل العثمانيون على إيجاد طبقة موالية للسلطان العثماني ، تساعده وقت الحرب بتقديم الجيش ، وفي السلم بالمحافظة على الحدود (٢) .

وكان التيمار ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، على حسب الضرائب التي كان يجمعها والعمل الذي يقوم به ،وإيراد التيمار لايزيد عن ١٩٫٩٩٩ أقجه سنوياً ، وكان ذلك يعطى للفرسان الذين يقومون بمهمة الحرب ، ويتميزون بتلك الأمور أو غيرها وينتجون من ٢٠٫٠٠٠ إلى ١٩٫٩٩٩ أقجه سنوياً ، ويطلق عليهم زعامات ، ولهم دور كبير في الحرب ، ولهم مكانة عالية لدى الأشراف والطبقة الأولى ، أما الذين يأخذون ١٠٠٫٠٠٠ أقجه يطلق عليهم خاص ، وهؤلاء لخدمة السلطان ، وحواشيه ،ويطلب منهم خدمة الجيش مقابل ذلك الإيراد ، ومن واجب أصحاب التيمار تربية الخيل، وتجهيز الجيش ، والأكل ولوازم أخرى (٣) .

ومن النظم العثمانية الأخرى نظام الديوان ، والمراد

---

(١) Norman. Op, Cit., PP, 14 - 15 .

(٢) Ibid., P, 15.

(٣) Stanford - Show Op, Cit., P, 125 .

بالديوان هو المكان الذي تحفظ فيه القرارات ، والسجلات الخاصة بالدولة ، وفي القرن السادس عشر كان الديوان يتألف من قسمين رئيسيين :- هما مكتب دوائر الديوان الملكي ، ودوائر المالية ، وثلاثة مكاتب للإدارة المركزية . المكتب الأول يعرف باسم مكتب الديوان ، ويهتم بجمع وترتيب المخطوطات وترتيب الملفات والمعاملات المالية التي تحوي المعاهدات والإمتيازات الأجنبية ( مثل وزارة العدل في الحكومات الأوربية ) . والمكتبان الآخران للديوان فيهتمان بأمور الموظفين المحليين ، مثل الولاة وأمراء اللواء ، ويقومان بتسجيل الموضوعات المتعلقة بتخصصات الإقطاعيين . وكان الرئيس الرسمي للديوان يسمى برئيس الكتاب ، وقد تطور هذا المسمى إلى رئيس سكرتاريا في أواخر القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي كموظف يهتم بالعلاقات الخارجية ، وفي القرن التاسع عشر الميلادي ، سمي هذا المكتب بوزارة الخارجية ، وقد كانت هناك الكثير من المكاتب الإدارية التي بلغت خمسة وعشرين مكتباً في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، وكانت تلك المكاتب تهتم بالموضوعات التي تتعلق بالإيرادات والمصروفات ، الإيرادات التي كانت تجمع من الضرائب والزكاة وضريبة المرور على الجسر ، أما المصارف كانت تصرف للرواتب ومصاريف الدفاع .(١)

---

(١) Norman Itzkowitz , Op, Cit.,PP, 55 - 56 .

إنّ الأتراك الذين دخلوا القسطنطينية فاتحين لم يكونوا في يوم من الأيام متوحشين ، بل كانوا ورثة حضارة قديمة ورفيعة وهي حضارة الإسلام العتيدة ، والتي هم أنفسهم أضافوا إليها قدراً غير يسير، فكان الفن المعماري السلجوقي والعثماني يمتاز بتقليد رفيع ، وقد كان العثمانيون يملكون المهارة والمصادر لصيانتها وتحسينها، ولما كان الإسلام يحرم الصور الإنسانية ورسمها في المساجد لذلك ستر العثمانيون فسيفساء آيا صوفيا ( الجامع الشهير ) الذي غطى بطبقة من الجص الرمادي اللون (١) .

ومن كان له مثل هذه الأعمال والإنجازات في العديد من المجالات السياسية والحضارية ،فليس صحيحاً ما نسب إليهم وإلى السلطان محمد الفاتح عندما فتح القسطنطينية أنه أباحها لجنده ثلاثة أيام (٢)، فليس هذا من أخلاق المسلمين وطباعهم ومثل ذلك يرفضه الإسلام .

هذا ماكانت عليه النظم العثمانية في الولايات الأوربية ، وسنرى في الصفحات القادمة أثر سياسة الدولة العثمانية في نشر الإسلام .

---

(١) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ١٣٥ .

(٢) أسد رستم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم مع العرب ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

لقد امتاز المسلمون الفاتحون منذ عهد الدولة الإسلامية الأولى عهد الخلفاء الراشدين بالسماحة الدينية ، والحرية الدينية ، والإعتدال في فرض الضرائب ، وحصرها في حدود معينة ، وهذه السماحة والإعتدال مهد للمسلمين سبيلهم إلى تأييد الشعوب المفتوحة لهم، بل تعدى ذلك إلى معاونتهم الفعلية في محاربة الدولة الرومانية الشرقية .

ولقد كان فوز الإسلام في مصر والشام أسرع وأيسر عنه في أي بلد آخر ، وذلك أن النصرانية فُرضت على أهلها بالسيف والنار ، ثم أن العسف والإرهاق والمصادرة الدينية ، كل هذه الأمور أدت إلى أسوأ الأطوار والإنحلال السياسي والفوضى الإجتماعية ، فكان الإسلام بسماحته هو الظافر المرجح ، كما أن ضروب العدالة والتعفف التي اقترنت بسياسة المسلمين الأوائل كانت حجة قائمة على جور تلك الحكومات [(١)] .

ولقد سار الأتراك العثمانيون في نشرهم للإسلام بين الشعوب المسيحية على مانصت عليه الآية القرآنية الكريمة ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [(٢)] فهم لم يكرهوا أحداً من الشعوب المفتوحة على اعتناق الإسلام كرهاً ، بل تركوا لمن أراد البقاء على دينه الحرية في ذلك ونتيجة لهذه السياسة الحكيمة فى نشر الإسلام فقد دخلت أفواج عديدة في الإسلام [(٣)] .

نلاحظ على الرغم من أن الاغريق كانوا يفوقون الأتراك عدداً

---

(١) عبدالله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، ص ١٩ — ٢٢.
(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٥ .
(٣) توماس وآرنولد ، الدعوة الى الإسلام ، ص ١٧٠ — ١٧٢ .

في الولايات الأوربية التابعة للدولة العثمانية ، فقد كانوا يسارعون في الموافقة على تغيير سادتهم وإيثار سيادة السلطان على أية سيادة مسيحية ، وكان العثمانيون يلقون ترحيباً كبيراً في كثير من الولايات المسيحية ، وكان الإغريق يعدونهم مخلصين لهم من حكم الفرنجة المستبد فقد صير أهل البندقية الشعب في حالة من العبودية يرثى لها،لإدخالهم نظام الإقطاع في اليونان ، وكانوا مكروهين من قبل رعاياهم، لاختلافهم عنهم في اللغة والجنس والعقيدة ، بالإضافة لسوء المعاملة ، ووجد هؤلاء الرعايا في العثمانيين تخليصاً لهم مما هم فيه ، نظراً لحسن المعاملة التي أبداها العثمانيون لهذه الشعوب في المجر وترانسلفانيا فقد آثروا الخضوع للعثمانيين على الوقوع في يد أسرة هابسبورج المتعصبة (١) .

كذلك نلاحظ تطلع أقوام في إيطاليا بشوق عظيم إلى الترك، لعلهم يحظون كما حظي رعاياهم من قبل بالحرية والتسامح اللذين يئسوا من التمتع بها في ظل أي حكومة مسيحية ، ولقد رأى الأتراك أن أعظم هدية يقدموها لأي فرد هي هدايته إلى الإسلام . لذلك لم يتركوا وسيلة من الوسائل للترغيب في الدخول إلى الإسلام الا اتبعوها ، يحدثنا هولندي عاش في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي أنه بينما كان يظهر إعجابه بمسجد آيا صوفيا الكبير حاول بعض الأتراك أن يؤثروا على عواطفه الدينية عن طريق إحساسه بالجمال ، فقالوا له : ( إنك لو أصبحت مسلماً لاستطعت أن تأتي إلى هنا كل يوم من أيام حياتك ) (٢) .

---

(١) أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٨٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

ومما يدل على غيرة العثمانيين وحبهم الروحي الشديد للإسلام تلك الأفراح الشعبية التي كانوا يحيون فيها من دخلوا في الإسلام طوعاً من المسلمين الجدد ، ولم يقتصر الدخول في الإسلام على العامة والبسطاء بل تعدى ذلك إلى العلماء والرهبان والقساوسة الذين اعتنقوا الدين الإسلامي فكانوا قدوة لغيرهم تدفعهم للدخول في الإسلام (١) .

وبينما كان في المجتمع المسيحي مايدعو إلى الصدود والنفور، كان في أخلاق الأتراك وحياتهم مايبعث على التقريب والإجتذاب ، وكان للتقدم العثماني في العصور الوسطى إذا ماقورن بانحطاط الكنيسة وتدهورها مايوءثر بطبيعة الحال في العقول التي سئمت الأطماع المنبعثة من الأنانية ، وبيع الوظائف الكنسية ، وفساد أفراد الكنيسة وطالما أثنى الكتاب المسيحيون على غيرة العثمانيين وصلابتهم في حياتهم الدينية ، ومظهر الحشمة والتواضع البادي في زيهم وأسلوبهم ، وليس أدل على ذلك من ثناء موءرخ السفارة التي أرسلها الإمبراطور ليوبولد الأول إلى الباب العالى من سنة ( ١٠٧٦ - ١٠٧٧ هـ ) ( ١٦٦٥ - ١٦٦٦ م )، وفيها ثناء خاصّاً على تعبد الأتراك وانتظامهم في الصلاة بل يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول : " يجب أن نتكلم عن فوضى المسيحيين . إن الأتراك يظهرون كثيراً من الاعتناء والغيرة في أداء شعائرهم الدينية، أما المسيحيون فلم يظهروا شيئاً من ذلك في دينهم ... بل أكثر من ذلك كله أننا عرفنا بالتجربة المتدين بين المسيحيين ... ذلك الذي لا تراه في أثنائهالاهياً بعينيه لاترى في أثنائها شخصاً غير متعلق بموضوع

---

(١) آرنولد ، الدعوة إلى الاسلام ، ص ١٩٦ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

صلاته ، ولا شخصياً لايبدو بين يدي خالقه في مظهر التبجيل الظاهري الذي يتطلبه من المخلوق "[١] .

إذا ما قارنا بين ما أبداه المسلمون العثمانيون من تسامح تجاه الشعوب الأوربية ، وبين ماكان من تعصب المسيحيين تجاه المسلمين في أثناء حروبهم الصليبية في مصر،وبلاد الشام[٢] ، وشبه جزيرة إيبريا ( الأندلس )[٣] . فإن ذلك يعطينا دلالة واضحة على مدى الوحشية والقسوة ، وإنّ البون شاسع بين ما أبداه المسلمون من تسامح وعطف ، وبين ماكان من الصليبيين من حقد وضغينة برزت من خلال أعمالهم الوحشية تجاه المسلمين .

لم يكن الأوربيون في عصر الحروب الصليبية إلاّ رمزاً للتعصب والحقد والجفاء فتاريخهم في تلك الحروب وماجرى منهم عند فتح بيت المقدس من ذبح سبعين ألف مسلم في المسجد الأقصى ، حتى غاصت الخيل إلى صدورها في الدماء[٤] لدليل على الوحشية والبربرية والقسوة كما أسلفنا .

إنّ هذه الحروب الصليبية لم تعبر عن نفسها في الشرق الأدنى ، بل ظهرت جلية واضحة حيث دارت رحاها في القرن الحادي عشر بين المسلمين والصليبيين الأسبان في بلاد الأندلس ، لم تنته الا بعد عدة قرون بطرد المسلمين من أسبانيا[٥] ، بعد سقوط آخر معقل لهم وهي مدينة

---

(١) أرنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ص١٩٦ .
(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور ،الحركة الصليبية ،جـ ١ ،ص ٧٢ .
(٣) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة عام ، ص ٢٩٢ ؛ ل . ح . شيني تاريخ العالم الغربي .
(٤) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، المجلد الأول ، ص ٣٢٨ – ٣٢٩.
(٥) نفس المرجع السابق ، جـ ١ ،ص ٧٣ .

غرناطة عام ( ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م ) [1] وقد نال المسلمون على أيدي الأسبان الكثير من العسف والإضطهاد والتنكيل ، بالإضافة لما قامت به محاكم التفتيش من إرغام المسلمين على اعتناق النصرانية أو القتل ، مما دعى بالكثير منهم للهجرة إلى مراكش ، وإنشاء حضارة إسلامية هناك. [2]

أما الأتراك العثمانيون فان الذي منعهم من إكراه النصارى الذين تحت أيديهم وسلطانهم على الإسلام هو الدين الإسلامي الذي يمنع الإكراه في الدين ، ويرضى من المعاهد بالجزية ، فان الإسلام وسماحته هو الذي هذب الأتراك ، وحال بينهم وبين طرد المسيحيين من ديارهم ، كما فعل الصليبيون في بلاد الشام، والأندلس [3] ،ولكن أتباع النصرانية من أقوام أوربا لم يمنعهم دينهم المزيف ، ولم يمنع البابا إسكندر السادس ، وأساقفة الكنيسة في أسبانيا. والملك فرديناند وإزبيلا وغيرهم من الملوك المشهورين بالكثلكة من نصب محاكم التفتيش وارتكاب الفظائع في المسلمين ممن بقى على دينه ، إلى أن أجلوهم من ذلك القطر الذي استوطنة المسلمون ثمانمائة وعشرين عام ، مع أن الإنجيل غير المحرف لايجيز شيئاً من هذه الأفعال [4] .

إنّ مادفع النصارى على الفتك بالمسلمين ليس الإنجيل فإن الإنجيل كتاب مقدس قبل أن يتعرض للتحريف والتعديل على ماتهوى الأنفس ، ولكن الذي دفعهم لما فعلوا الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين .

---

(١) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة عام ، ص ٣٩٢، ل ؛ح شيني، تاريخ العالم الغربي ، ص ١٧٤.

(٢) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ،المجلد الأول ، ص ٢٣٩ .

(٣) نفس المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٣٩.

(٤) أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة ، ص ٣٩٢ .

ولعل أهم عوامل انتصارات المسلمين هو مافوجئت به الشعوب من سماحتهم ، حتى أن الملك الفارسي كيروس ( Kyros ) نفسه قال : " إن هؤلاء المسلمين لايأتون كمخربين " فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية ، إن هو إلاّ مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذبها الأدلة والبراهين القاطعة على تسامح المسلمين وإنسانيتهم في معاملاتهم مع الشعوب المغلوبة ، والتاريخ لايقدم لنا إلاّ عدداً قليلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل المسلمون ، وقد أتاح ذلك للحضارة الإسلامية أن تتفاعل وتختلط مع تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف ، والحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها (١) ٠

ومما ساعد على انتشار الإسلام السياسة التي اتبعتها الدولة في تحويل الكثير من الكنائس إلى مساجد ، ومن ذلك ماقام به السلطان محمد الثاني ( الفاتح ) عندما استولى على القسطنطينية سنة ( ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م ) من تحويله كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد ،وصلى بها صلاة الجمعة (٢) كذلك حولت العديد من الكنائس إلى مساجد، (٣) وللسلطان الفاتح مآثر كثيرة من مدارس وزوايا وجوامع (٤) ٠

هذا وقد واصل السلاطين العثمانيون سياستهم في إنشاء العديد من المساجد والجوامع ؛ مما ساعده على انتشار الإسلام وتقدمه في كثير

---

(١) زيجفريد هونكه ،شمس العرب تسطع على الغرب ( أثر الحضارة الإسلامية في أوربة ) ص ٣٥٧ – ٣٥٨؛
Stanford - Show , Op, Cit., P, 163 .

(٢) العصامي المكي ،سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ،ص ٦٧ ٠

(٣) محمد الدسوقي ، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، ص ٤٥ ٠

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١٠ ،ص ٤٧ ٠

من دول أوربا الشرقية ، وقد أوردنا ذلك سابقاً .

كذلك عمل السلطان سليمان القانوني على تطوير قاعدة بناء الجيش الإنكشاري وتوسيعها ، على الأسس التي طبقها سلفة من الخلفاء العثمانيين ، وأظهر كفاءة عالية في حشد كافة القوة على تباينها واختلافها، وإذا كان خلفاء العثمانيين قد حققوا نجاحاً في دمج الشعوب والأمم التابعة لهم في بوتقة الإسلام ، فان السلطان سليمان في طليعتهم حيث يعود الفضل إليه في صهرتلك الأمم في بوتقة الإسلام ووجه جهودها نحو هدف واحد هو رفع راية الإسلام عالية خفاقة وتجاوز حدود الإقليمية والجنسية (١) .

ولم يكن العثمانيون في هذا المضمار إلاّ متبعين لمن سبقهم من العرب قبل قرون عندما حملوا رآية الإسلام ، وانطلقوا برسالتهم إلى أرجاء الدنيا ، فعرّفوا الأمم والشعوب بفضائل دينهم ، ونقلوا إليهم الأمانة فصارت تلك الأمم من عرب وعجم ، وترك وفرس ، وكرد ، وبربر، بيض وسود ، وصفر ، يتنافسون جميعاً لرفع رآية الإسلام والدفاع عنه (٢) .

لقد أخذت الدولة العثمانية بمدأ الحرية الدينية باعتباره الدعامة الأساسية لقيام الدولة ، وهذا المبدأ جعل الشعوب غير مسلمة الخاضعة لسلطة الدولة العثمانية تدين لها بالطاعة والولاء، وتوءثر حكم الدولة العثمانية على حكم الشعوب النصرانية .

---

(١) تاريخ نعميا ، ج ١ ، ص ٢ .
(٢) بسام العسلي ، القانوني القائد ، ص ١٥٧ – ١٥٩.

لقد حافظ العثمانيون على السياسة الإسلامية الخاصة بالتسامح مع الذميين من أهل الكتاب ، فكانوا يحمون حياتهم وأملاكهم وملتهم، طالماقبلوا حكم الإسلام ، ودفعوا الجزية، مقابل الإعفاء من الجندية، وقد قبل أبناء البلقان الإسلام ، لضمان المزايا التي كفلها لهم الإسلام ولأنهم أبناء أقليات دينية تعرضت للإضطهاد في ظل الحكم المسيحي، ووجدت في الحكم العثماني خلاصاً لها من الظلم (1) .

هذه هي سياسة الدولة العثمانية ، في نشرها للدين الإسلامي بين شعوب البلدان المفتوحة ، فقد استخدمت معظم الطرق التي تفتح المجال أمام الشعوب للدخول في الإسلام، فقد تمتعت الدولة العثمانية في سياستها بالسماحة الدينية التي شملت جميع تلك الشعوب ، مما أدى بالتالي لاعتناق الآلاف للإسلام ، وإفساح المجال أمامهم للتخلص من نير الدول المسيحية المسيطرة عليهم وإنّ نظام الملل الذي سمحت به الدولة لأكبر دليل على ذلك التسامح الذي أبدته الدولة تجاه رعاياها.

فنلاحظ أن المجتمع الإنساني في هذه الدولة ضم العديد من المسلمين والأفرنج من أديان ولغات بشريةمختلفة كالمسلمين والسلاف والأورام ، والأكراد ، والأرمن والعرب ، والنصارى ،واليهود تجميع بينهم سماحة الإسلام،وليس كما حاول بروكلمان أن يقرره من أن الذي يربطهم جميعاً هو رباط غير طبيعي ، رباط السيف الذي كان يسلطه على أعناقهم الخلفاء العثمانيون هكذا يفسر هذا المؤرخ الألماني وجود هذه الملل (2)

---

(1) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٤٢ .

(2) بروكلمان . تاريخ الشرق الأدنى ، ص ١٣٥ .

المختلفة داخل الدولة العثمانية ، يبطل الزعم القائل بأن الربـــاط الذى يربطهم جميعاً هو رباط السيف والنار ، اذ لو كان ذلك صحيحاً لما كانت هذه الملل داخل اطار الدولة العثمانية وأُرغموا على الدخـــول قسراً في الإسلام ، كما فعل الطيبيون في بلاد الأندلس ، ولكن إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على مدى سماحة الدولة العثمانية ، وعملها على نشر الإسلام باتخاذ الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك ولكن الذي دفع المــؤرخ لهذا القول هو حقده على الإسلام متمثلاً في هذه الدولة التي حملت لـواءه خفاقاً في ربوع أوربا المسيحية .

# الفصل الثاني

## مواقف الدول الأوربية من الدولة العثمانية

١- موقف روسيا من الدولة العثمانية.

٢- موقف النمسا من الدولة العثمانية.

٣- موقف فرنسا من الدولة العثمانية.

٤- موقف بريطانيا من الدولة العثمانية.

إن تطور الدولة العثمانية ، وقفزتها السريعة من إمارة صغيرة في شبه جزيرة الأناضول ، إلى دولة واسعة الأرجاء في قارات ثلاث عالمية ، وإن اقترانها بالإسلام ونشره في البلاد التي أصبحت في حوزتها خاصة في أوربا ، ألب الدول الأوربية ضدها وناصبتها العداء، أضف إلى ذلك الأطماع الإقتصادية كموجه لمواقفهم ، والنواحي الإستراتيجية والدينية ، فأولئك الروس كانت لهم أطماعهم في الدولة العثمانية ورغبتهم في السيطرة على المضايق للوصول إلى المياه الدافئة ، والإتصال بأوربا ، أما النمسا فعلى الرغم من عدم وجود حدود مباشرة لها مع الدولة العثمانية إلاّ أنها شنت على الدولة حرباً من منطلق خوفها على حدودها وذلك بإثارة دول البلقان بالثورة ضد الدولة العثمانية ، لإضعافها ولكي تبعد شبح الخوف عنها ، أما فرنسا فعلى الرغم مما حصلت عليه من امتيازات في الدولة العثمانية ، الا أن ذلك لم يمنعها من العمل على الإستيلاء على الكثير من المناطق التابعة للدولة العثمانية في الشمال الإفريقي ، وتحقيق أطماعها الإستعمارية ، كذلك قامت بريطانيا بتوقيع اتفاقية سايكس - بيكو بينها وبين فرنسا وروسيا وقسمت بينهما أملاك الدولة العثمانية ضماناً لتحقيق أهدافها في الشرق الأوسط .

كان العداء العثماني الروسي عداء بين الأتراك كمسلمين – الذين يعملون على نشر الإسلام – والروس كدولة معادية للإسلام، هذا وقد دخل الأتراك المغول في الإسلام بعد مدة قصيرة من وفاة موءسس دولتهم جنكيز خان ، ابتداء من تشكيل دولة القبيلة الذهبية المغولية في بلاد الروس ، وانتهاء بتأسيس دولة العثمانيين كما أشرت إلى ذلك (١).

كان الصراع بين الروس والعثمانيين يتصف في الكثير من جوانبه بالطابع الديني فكان صراعاً بين النصرانية والإسلام وتاريخ الإسلام في بلاد الروس قديم جداً حيث دخل إليها الإسلام قبل تأسيس دولة الأتراك . وكان العداء بينهما يعود إلى جذور موغلة في القدم (٢) .

وقد تحدث إبن فضلان عن رحلته إلى بلاد الروس والتي جرت عام ( ٣٠٩ هـ / ٩٢١م ) أن أحد ملوك السلاف واسمه ( الطش بن يلطوار ) اعتنق الإسلام وقد أشرت إلى ذلك حيث يقول ( ... فلما كنا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا إليه .. وجه لاستقبالنا الملوك الأربعة الذين تحت يده واخوته وأولاده .. فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا بنفسه ، فلما رآنا نزل وخر ساجداً شكرا لله عز وجل ، ... وأخرجت كتاب الخليفة وقلت له : لايجوز أن تجلس والكتاب يقرأ فقام على قدميه هو ومن حضر من وجوه مملكته .. وبدأت فقرأت صدر الكتاب ، فلما بلغت فيه سلام عليكم فإني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو قلت ردوا على أمير الموءمنين السلام فردوا ... ) (٣) ، وفي نص هذا الكتاب دليل على دخول الإسلام إلى تلك البلاد قبيل العهد العثماني ، وان التأثير الإسلامي

---

(١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣١ – ٣٢ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٣ .
(٣) ابن فضلان ، ص ١٠٧ .

كان واضحاً في بلاد الروس ، حيث أرشد إبن فضلان ملك الروس إلى الطريقة الصحيحة في تأدية الشعائر الدينية ، فهو يقول ( ورأينا منهم أهل بيت يكونون خمسة آلاف نفس من أمرأة ورجل قد أسلموا كلهم وقد بنوا مسجداً من الخشب يصلون فيه لايعرفون القراءة فعلمت جماعة ما يصلون منهم . كذلك يذكر ابن فضلان عن المسعودي قوله إن ابن ملك البلغار الصقالية حج عام ( ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م ) ومر ببغداد وأكرمه القوم فيها)(١).

وكان اهتمام الروس بالقسطنطينية حيوياً منذ القدم نظراً لموقعها المفري ، فهذه المدينة تتألف من شبه جزيرة تقع بين قارتي آسيا وأوربا وتحتضنها بحار ثلاثة هي القرن الذهبي ، والبسفور ، وهو المضيق الذي يربط البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق بحر مرمرة ، ومضيق الدردنيل ، ويفصل القرن الذهبي الضيق المدينة القديمة عن المدينة الحديث المسماه ( بك أوغلى ) أو ما كان يدعى سابقاً ( بيرا رغلطة ) ويفصل البوسفور المدينة الأوربية عن الجزء الأسيوي(٢). واكتسبت القسطنطينية أهميتها الدينية من حيث كونها مركزاً كنسياً معتبراً ، عزز ارتباطها بالكنيسة الروسية ، وعد بطريقها في المرتبة الثانية بعد بابا روما ، هذا بالإضافة لمكانتها التجارية ، حيث كانت المدينة التجارية الأولى ، حتى ظهور الدول الإيطالية البحرية ، وكانت تعد المدينة الرئيسية الأولى ، من حيث القوة والإعتبار حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي(٣).

إن فتح القسطنطينية على يد العثمانيين كان له الـدوي

---

(١) إبن فضلان ، في وصف الرحلة ، ص ١٠١ .

(٢) على حسون تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٣٨ — ٣٩ ، ٤١ — ٤٢ .

(٣) بيبرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ٢١٧ .

العظيم في كافة أرجاء العالم وبخاصة في الغرب النصراني ،الذى صفعه النبأ[١]٠

لذلك فان أهمية القسطنطينية لدى الروس قديمة،وقد اعتنق الأمير الروسي ( فلاديمر ) النصرانية على المذهب الارثوذكسي ودعى النصرانية والمذهب البيزنطي كي يبنى كرسياً أسقفيا في كيف من هنا بدأ الارتباط المذهبي بين الروس وبيزنطية إلى أن أصبحت محط أنظارهم[٢]٠

ومن هنا ظهر العداء الصليبي الروسي ضد المسلمين متمثلاً في الدولة العثمانية ،حاملة لواء الإسلام ، والتي تمكنت من فتح القسطنطينية والسيطرة عليها٠

لذلك فان أهداف روسيا ومطامعها ومواقفها من الدولة العثمانية واحدة ، منذ نشأة تلك الدولة ، وبذلك يتضح أن اهتمامات الروس بالدولة العثمانية تتلخص في التالي :

السيطرة على المضايق التركية في سبيل الوصول إلى المياه الدافئة ومنافسة الدول الأخرى[٣] ، واسترجاع القسطنطينية من أيدى المسلمين وإعادتها لحظيرة الكنيسة الأرثوذكسية ، والقصد من ذلك تدمير وحدة المسلمين وترابطهم والتوسع في الجهات الجنوبية ، والجنوبية الشرقية بحجة الوصول إلى الأراضي الحارة[٤]، المنتجة لبعض السلع والتقليل من

---

(١) بيبيرونوفن ،تاريخ القرن العشرين ،ص ٢١٧ ٠

(٢) محمد كمال الدسوقي ،تاريخ أوربا الحديث ،ص ٢٢٠ ٠

(٣) بيبيرونوفن ،تاريخ القرن العشرين ،ص ٢١٧ ٠

(٤) نفس المرجع السابق ،ص ٢١٧ ٠

الضغط السكاني الروسي [1] ، ويكمن الهدف الرئيسي من وراء ذلك تشتيت المسلمين ، وهزيمتهم في تلك المناطق التي يقطنوها، وهناك دافع سياسي ، هو الحفاظ على توازن القوى مع الدول الأوربية ، وتحقيق ما يمكن تحقيقه عن طريق بسط نفوذهم في جنوب شرق أوربا [2] .

ومن هنا نجد أن الروس بدءوا في التوسع على حساب الدولة العثمانية منذ عام ( ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م ) حيث انتصروا على العثمانيين وانتزعوا أكرانيا [3] ، وفي عام ( ١١٠٨ هـ / ١٦٩٦م ) استولى بطرس الأكبر على ميناء آزاق [*] لأهميته لمملكته ، ووصلوا إلى سواحل البحر الأسود على أن صلح كارلوفتس ( ١١١٠ هـ / ١٦٩٩م ) أدى إلى فقدان الدولة العثمانية جزءاً ليس بالقليل من ممتلكاتها في أوربا [4] ، وبعد ذلك استمر السلام بين الدولتين ثلاثين عاماً بصلح عام ( ١١١٢ هـ / ١٧٠٠م ) عمل فيها القيصر على تحصين آزاق فقابل العثمانيون ذلك فاقاموا الحصون والقلاع الجديدة في مواجهتهم [5] ،وقد شغل بطرس الأكبر عن الكيد للعثمانيين عندما هاجمه عدوه شارل الثاني عشر ملك السويد، فلما هزم ملك السويد ، لجأ إلى العثمانيين الذين رفضوا تسليمه إلى بطرس فشن حرباً عليهم غير مراع لصلح الثلاثين عاماً ، ولكنه بعد ذلك فوجيء بالجيوش العثمانية محاصرة له من كل جانب ولو استمر ذلك الحصار لأخذ أسيراً هو ومن معه ، ولمحت الدولة الروسية من العالم

---

(١) فشر،في أصول التاريخ الأوربي ، ص ٣٧١ .
(٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوربا الحديث ،ص ٣٧١ .
(٣) أحمد عبدالرحيم مصطفي ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ١٥٥.
(*) آزاق : هي أزوف (Azov) وتقع في الشمال الشرقي من بحر آزوف ويطلق إسم ( بحر آزوف ) على الخليج الكبير الواقع شمال البحر الأسود ،( محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية ،ص ٢٨٦ ).
(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٣١٠.
(٥) جلال يحي ،معالم التاريخ الحديث ، ص ١١ .

السياسي [1] ، وقد أبرمت بعد ذلك عدة معاهدات عام ( ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م) وتلتها معاهدة أخرى عام ( ١١٢٣ هـ / ١٧٢٠م ) وقضت سنوات قلائل بعد هذا ساد أوربا اعتقاد عام بأن شمس الدولة العثمانية آذنت بالمغيب على أن إذلال بطرس الأكبر من قبل العثمانيين لم يبرح [2] ، من أذهان الروس ورعايا روسيا ، وكانوا يلتهبون غيظاً على الأتراك،كلما ذكروا ذلك العار وهنا جمع بطرس الثاني الجموع لمهاجمة العثمانيين، ولكنه مات عام ( ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م ) وتأخر مشروعه إلى عام (١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م ) في مارس حيث تحركت الجيوش الروسية بأمر المملكة حنة للإنتقام من المسلمين ، وختمت الحروب بصلح بلغراد عام ( ١١٥٢ هـ / ١٧٣٩ م ) ولكن الدولة الروسية لم تشف غليلها لأن مواد الصلح لم تكن كافية لإذلال العثمانيين [3] ·

وهنا يظهر الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين موجهاً ضد الدولة العثمانية وبعد مضى تسعة وعشرين عاماً عاد العداء بين الدولتين سنة ( ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م ) وسخط الرأى العام في الأستانة على احتلال روسيا لبولونيا ونشبت الحرب بين الدولتين ، وانتهت بصلح ( قينارجه ) المنعقد في عام ( ١١٨٧ هـ / ١٧٧٣ م ) وبموجب هذه المعاهدة أجبرت روسيا الدولة العثمانية على الإعتراف لها بحق حماية المسيحيين في داخل الدولة العثمانية ، وبإمضاء معاهدة بخارست في مايو عام ( ١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م ) ، وبموجبها عدلت الحدود بين تركيا وروسيا فصارت تنطبق على نهر الدانوب ، وكان هذا الصلح

---

(١) محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية ، ص١٣ ·

(٢) محمد الديراوى ، الحرب العالمية الأولى ، ص٢٥٤·

(٣) حسين لبيب ، تاريخ الأتراك العثمانيين ، ج ٢ ، ص ١٣٧ – ١٤١·

في صالح الدولة العثمانية حيث أنهى الحروب بينهما والذي كانت تتعاظم ويلاتها وخسائرها على مرور الزمن .(١)

ونلاحظ موقف روسيا العدائي من الدولة العثمانية عندما ثار أهالي الجبل الأسود ضد الدولة العثمانية ، ودخلت روسيا الحرب إلى جانبهم ، وانضمت إليها رومانيا ، إلاّ أن روسيا تكبدت خسائر فادحة ، مما جعلهم يجندون الجيش الإحتياطي ، بينما بقيت الحامية التركية في استحكاماتها ، حتى نفذ الطعام ،(٢) وقد وصل الروس إلى آدرنة فخشيت بريطانيا من استيلائهم على اسطنبول ، وأرسلت أسطولاً إلى الدردنيل لحمايتها ،عند ذلك تقدم الروس إلى ( استيفانو ) في ضواحي اسطنبول، ولكنهم لم يجروءا على الدخول حتى لاتقع الحرب بينهم وبين بريطانيا وطلب السلطان الصلح من القيصر ،وكانت معاهدة ( سان استيفانو ) في ( ١٢٨٥ هـ / ١٨٧٨م ) حيث اعترف السلطان باستقلال رومانيا وصربيا والجبل الأسود ، ووجدت دولة بلغاريا الكبرى الممتدة من الدانوب إلى آدرنة ومن سلانيك حتى البحر الأسود ، ونصت المعاهدة على إعطاء روسيا بسارابيا التي خسرتها في حرب القرم ، وباستقلال البوسنة والهرسك ، ولم ترض بريطانيا والمانيا بهذا وأجبرت روسيا على إعادة النظر وعقد موءتمر برلين في الثالث عشر من حزيران ( ١٢٨٥ هـ / ١٨٧٨م ) وقد مثل الموءتمر السابق سبع دول هي روسيا ، وبرلين ، والنمسا ، وإنجلترا ، وفرنسا ، وتركيا ، وإيطاليا ، تحت رئاسة بسمارك رئيس وزراة المانيا ونتيجة لذلك الموءتمر أدخلت التعديلات الآتية : أصبحت بلغاريا الكبرى دولة صغيرة تتمتع باستقلال داخلي، ووضعت مقاطعتي البوسنة والهرسك تحت الإدارة النمساوية ، وأيد الموءتمر

---

(١) حسين لبيب ،تاريخ الأتراك العثمانيين ،جـ ٢ ،ص ١٣٧ - ١٤١ .
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٢٠٧ .

عانصت عليه معاهدة سان استيفانو من استقلال رومانيا وصربيا والجبل الأسود استقلالاً تاماً وكانت نتائج هذا المؤتمر الرئيسية القضاء على البلقان ، وإيقاف المطامع السلافية (١) .

لم يقف العداء الروسي ضد الدولة العثمانية عند هذا الحد، بل كانت روسيا تعمل بين الحين والآخر على فرض وجودها على الساحة الأوربية ، ولكي تصل إلى غرضها فهي تعمل كل ما من شأنه أن يصل بها إلى المضايق التركية للإتصال بأوربا .

فقد وقفت روسيا ضد مشروع سكة حديد بغداد والذي قامت بإنشائه المانيا ، وهذا المشروع ظهرت فكرته منذ السبعين سنة الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي ، عندما فكر فيه المهندس النمساوي( الفون بريسل ) والذي كان يعمل لدى الدولة العثمانية كخبير في شئون السكك الحديد، فرحب السلطان عبدالحميد الثاني بهذا المشروع، وأُنجز القسم الأول منه في فترة مابين عام ( ١٢٨٥ – ١٢٩٠ هـ )( ١٨٧٢ – ١٨٧٣م ) والذي يصل اسطنبول بأزمير، (٢) ونفذ هذا المشروع برؤوس أموال فرنسية، ثم انتقل بعد ذلك الإمتياز إلى المانيا. لذلك شعرت روسيا بخطورة المشروع على مصالحها الإستعمارية في الدولة العثمانية، فحاولت القضاء عليه في مهده، (٣) وذكرت السلطات العثمانية بالصداقة الذي تربطها به، ولكنه لم يعر لذلك أذناً صاغية، كذلك لم تعر الحكومة الألمانية

---

(١) محمد عابدين حمادة ،تاريخ الشرق والغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، ص ١٢ – ١٤ .

(٢) جان بيشون ، بواعث الحرب العالمية الأولى ، ص ٩٥ ؛ توبوليف ، الامبريالية والعسكرية الالمانية، ص ٣٢٢.

(٣) السلطان عبدالحميد الثاني ، مذكراتي السياسية، ص ١٤٤.

أذناً صاغية للتهديدات الروسية بسبب قوة مركزها في السياسة الدولية ، بعد حصولها على ميناء بورت أرثر في البر الصيني (١) ، والذي حد من نفوذ روسيا في الشرق الأقصى وهذا مما جعل المفاوضات الروسية العثمانية تصل إلى طريق مسدود (٢).

إن نجاح المانيا في الحصول على امتياز سكة حديد بغداد، ووجود البعثات العسكرية الألمانية ، وتزويد الجيش العثماني بالسلاح الألماني أدى ذلك إلى قلق الروس وشعورهم بالخطر الألماني المتزايد مما جعلهم يحاولون جر كل من النمسا والمجر للوقوف معهم لعرقلة المشروع (٣)، ولكن كل ذلك لم يمنع ألمانيا من تنفيذ المشروع ، وقد عقدت اتفاقية بين ألمانيا وروسيا عام ( ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ) تقضي باعتراف ألمانيا بالمصالح الروسية في شمال فارس وفقاً لمعاهدة ( ١٣٢٥ / ١٩٠٧م ) وتكف روسيا عن معارضة مشروع سكة حديد بغداد (٤)، كذلك وقعت معاهدة من قبل روسيا مع الدولة العثمانية ، عام ( ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣م ) تقوم على أساس إلغاء معاهدة ( ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠م ) ، وتعهد السلطان العثماني لمدة عشر سنوات بعدم إقامة خط حديدي في المناطق الواقعة إلى الشرق من طرابزون خربوط دياربكر ، وإذا كانت هناك حاجة لإنشائها تنشأ برؤوس أموال روسية (٥)، ولذلك عندما فشلت روسيا في إحباط المشروع اتخذت لها موقف آخر من الدولة العثمانية ، وهو حماية مصالحها في الحدود الجنوبية .

---

(١) بيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ، ص ١١ .

(٢) باسل دقاق ، تركيا بين جبارين ، ص ٢٧ .

(٣) جان بيشون ، بواعق الحرب العالمية الأولى ، ص ٩٥ ؛
W.L.Langer, The Diplomacy of Imperialisim, P, 640.

(٤) سياسة روسيا الخارجية ،ج ١٢ ،وثيقة رقم ٣٢٩،٣٦٢٥ صفحة لغةروسية، ص ٤٢ .

(٥) مجموعة الإتفاقات الروسية مع الدول الأخرى ، ١٨٥٦-١٩١٧،ص٤٢٥ .

يعود موقف روسيا من الدولة العثمانية وكرههم للعثمانيين بسبب أن الدولة العثمانية دولة مسلمة ، وأن نشر الإسلام في أوروبا سواء في المناطق الغربية وجنوب شرق أوربا أو المناطق القريبة من الدولة الروسية ، إنما تعتبره روسيا إنتصاراً للإسلام والمسلمين ومن شأن هذا أن يعمل على تقويض نفوذهم تدريجياً ، وروسيا ليست إلاّ عدوة لدودة للدولة الإسلامية منذ زمن طويل ، ولا ترضى أو يطيب لها بال أن يرتفع شأن الإسلام سواء في بلادهم أو أي مكان آخر، وإذا نظرنا إلى دورها في تقويض قوى الدولة العثمانية ، فذلك واضح من مواقفها خلال القرون الحديثة المتأخرة ومن ذلك اشتراكها مع فرنسا وبريطانيا ، وباقي دول أوربا للتآمر ضد الدولة العثمانية ، هذا بالإضافة لما قام به نيقولا الأول من التشهير بالدولة العثمانية ، وإطلاقه عليها الرجل المريض ، وهذا دليل على مدى الحقد الروسي، الموجه ضد الدولة العثمانية حاملة لواء الإسلام .

أضحى العثمانيون هم القوة الإسلامية الكبرى في آسيا الصغرى في أواخر القرن الثامن الهجري ،الرابع عشر الميلادي ، وذلك جعل حركتهم وفتوحاتهم التوسعية على حساب الإمبراطورية البيزنطية وغيرها من القوى المسيحية في شرق أوربا ، وتعتبر الحملات التي أعدها الأوربيون في القرنين الثامن والتاسع الهجري / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ،لوقف التوسع العثماني في شرق أوربا حملات صليبية قام بها الأوربيون لحماية شرق أوربا من خطر التوسع الإسلامي على حساب الشعوب المسيحية (١) •

وفي القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي نجح العثمانيون في العبور إلى القارة الأوربية ،واستمروا في توسعهم في شرق أوربا (٢) •

إن علاقة النمسا مع الدولة العثمانية كانت من أسوء العلاقات في تاريخ العلاقات الدولية ،ليس من ناحية العداوة المنبثقة عن المصالح فحسب بل من الناحية الإنسانية أيضاً (٣)، وهناك مواقف عديدة توضح تلك العلاقات العدائية •

ففي عام ( ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م ) في عهد السلطان سليمان القانوني ادعى ملك النمسا فرديناند أحقيته في أن يكون ملكاً على المجر، وسار لمحاربة ملكها الذي عينه السلطان سليمان القانوني،مما

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ،ج ٢ ،ص ١٨٨ – ١٨٩ •
(٢) على بك حليم ، التحفة الحليمية ، ص ٣٩ •
(٣) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ١١١ •

أدى إلى استنجاد ملك المجر بالسلطان سليمان القانوني ، الذي سار بنفسه عام (٩٣٦ هـ / ١٥٢٩م ) على رأس جيش ، سار به إلى بودا عاصمة المجر ، التي احتلها ملك النمسا ، وسرعان ما فر منها فرديناند إلى فينا عاصمة النمسا ، وخرجت الحامية النمساوية من المجر بعد أن حصلت على عهد الأمان من السلطان، (١) وبعد إعادة ملك المجر إلى مملكته ، سار مع السلطان سليمان القانوني بجيوشه إلى فينا عاصمة النمسا في (٢٧ سبتمبر ١٥٢٩م ) وسلط المدافع نحو أسوارها فهدم جزءاً منها ، ثم أمر السلطان الجيوش بالهجوم ، ولكن أمد القتال طال ، فعادت الجيوش دون أن تتمكن من دخول المدينة ، ثم لم يلبث السلطان سليمان أن أمر بسحب الجيش العثماني ، نظراً لقدوم الشتاء ، وانتهاء ذخيرة الطوبجية ، وعندما عاود ملك النمسا مهاجمة بودا عاصمة المجر ، سار السلطان سليمان القانوني لمحاربته مرة ثانية عام ( ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م ) وهذه المرة أيضاً لم يكتب له النصر . (٢)

كذلك نلاحظ ، أن النمسا عملت على تحريض أمير البغدان ضد الدولة العثمانية ، ففي عام (٩٤٥هـ/١٥٣٨م) تمرد أميربغدان بتحريض من فرديناند ملك النمسا ، فهزمته الدولة العثمانية وعينت آخاه ( اسطفن ) وعززت حاميتها في البغدان لمنع حصول أي تمرد ،لذلك عمل فرديناند على الإتفاق مع ملك المجر ( زابولي ) لاقتسام بغدان لأن ذلك في رأيهم أفضل من تدخل العثمانيين فى شئونهم ، كما أن وجود المجر تحت الحماية العثمانية أمر مزعج لكافة الممالك الأوربية وكانت هذه الخطة من فرديناند ملك النمسا ، تستهدف الإيقاع بملك المجر الذي قبل الحماية العثمانية ولكن تلك الخطة باءت بالفشل ، لأن ملك المجر قضى نحبه ، فلم يكن من

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٨ .

السلطان سليمان القانوني ، الا أن دخل المجر وجعلها ولاية عثمانية وحول أكبر كنائسها إلى مسجد جامع ، وفي عام ( ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧م )عقدت هدنة بين السلطان سليمان القانوني والنمسا لمدة خمس سنوات بشرط :أن يدفع فرديناند ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكا نظير مايبقى تحت يده من بلاد المجر ، وأن تبقى بلاد المجر تابعة للدولة العثمانية يحكمها ابن ملك المجر ( زابولي ) (١) .

وقد تطورت العلاقات بين الدولة العثمانية والنمسا، ومن ذلك التطور أنه في أواخر عهد السلطان سليم الثاني وافق على تجديد المصالحة مع النمسا لمدة ثماني سنوات وذلك بعد نقاش طويل ، وقد بعثت نسخة من هذا القرار فور توقيعها إلى الإمبراطور النمساوي بواسطة مترجم الحكومة العثمانية محمود أفندي ، ولكن بعد وفاة السلطان سليم الثاني، أرسل رسولاً إلى المبعوث محمود أفندي لإخباره بوفاة السلطان، وإلغاء المعاهدة، وإذا كان الإمبراطور النمساوي يرغب في دوام المعاهدة فعليه أن يرسل سفيراً جديداً إلى إسطنبول ليقدم التهاني للسلطان الجديد بمناسبة جلوسه على العرش ، وعليه أن يوقع المعاهدة من جديد وهذا يستلزم إرسال الهدايا والنقود بواسطة السفير الجديد للسلطان ، وفعلاً حضر السفير النمساوي ومعه الهدايا والنقود لكل الوزراء داخل الحكومة العثمانية (٢) .

وبهذا يظهر أن الدولة العثمانية عندما كانت في أوج قوتها تمكنت من إحباط جميع المكائد المدبرة من قبل النمسا ، من تحريض للدول

---

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ،ص٢٣٥، ٢٣٨ – ٢٣٩ .
(٢) طه زاده ، تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ،ص ١١١ – ١١٣.

الخاضعة لسلطة الدولة على الثورة ، وكان هذا يحتم على الدولة العثمانية مواجهتها والتصدي لها لإحباط ماتقوم به ، مما يدفعها في كثير من الأحيان لطلب الصلح مقابل الأموال التي تدفعها للدولة العثمانية .

هذا وقد دخلت الدولة العثمانية في حروب عديدة وطويلة مع النمسا، ففي عام (١١٠٠ هـ/١٦٨٨م) تمكنت القوات النمساوية من احتلال بلغراد ، وهزيمة الدولة العثمانية ، وخروج بلغراد وسقوطها في يد النمسا معناه فتح الطريق لهم لدخول البلقان ، ونتيجة لذلك فقد طلب السلطان سليمان الثاني الصلح ، حيث بعث مندوباً من قبله إلى ملك النمسا يطلب فيه عقد الصلح وكان ذلك عام (١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م) وبدأت المفاوضات التي اشترك فيها أربعة مندوبين من العثمانيين وإثنان من بولونيا، وواحد من فينديك ، وأربعة من النمسا، وعلى الرغم من أن المندوبين اجتمعوا أكثر من أربع عشرة مرة إلا أنهم لم يصلوا إلى نتيجة كما أن النمساويين لم يهتموا بتلك المفاوضات وكانوا يصرون علي أن هدفهم هو اسطنبول .(1)

تعتبر المفاوضات التي أثمرت عنها معاهدة ( سيتوا )، نقطة تحول، حيث أنه لم يسبق لحكومة عثمانية أن جلست مع العدو على طاولة المفاوضات ، لأن الدولة العثمانية لم تكن تعترف لتلك الدول باستقلال، وكانت تعتز بانتصاراتها على الأعداء، وكانت تعتبر طلب المفاوضات على أنه التجاء إلى عطف السلطان ، وتعتبر كل مايقوله سفير العدو رجاءً وتضرعاً والتماساً، كما أنها لم تكن تقوم بالتوقيع مع السفير، بل كانت تصدر مرسوماً ملكياً يوضح ذلك ليقدم إلى ملكهم أو يبعث بواسطة عريفه

---

Ismail Hakki, Osmanli Tarihi, Part 3, PP, 511 - 513(1)

وكان أعضاء المفاوضات لايعرفون شيئاً عن مضمون تلك المعاهدات إلى حكوماتهم ، وإن نصوص تلك المعاهدات كانت مملوءة بعبارات رديئة فيها أثر الإستعلاء، مثل ( من لطف وإحسان ملك العالم الذي ينتصر باستمرار إلى كفرة أو ستريه ( النمسا ) وآلمانية المغلوبين المحتاجين لمغفرت الملك )• وكان ملوك المانيا وروما والنمسا المعروفين بفخامتهم وعظمتهم يتقبلون ذلك ، وجرت المعاهدة والمذكرات بينهما مثلما يحدث بين أي دولتين متجاورتين كالمعتاد، ثم بدأ أعضاء النمسا يعرضون شروطهم على أساس إعادة المواقع التي أُحتلت أثناء الحرب ، وإعادة قلعة قايتجا مع ملحقاتها مع ضمان كل مصاريف الحرب وقطع العلاقات مع أرض أردل (١) ، وقد استمع مراد باشا لكل ذلك ، ثم كتب خطاباً مطولاً وضح فيه أن للدولة العثمانية حقوقاً في تلك المناطق ، وضرب أمثلة كثيرة وطالب المندوبين بوضع مقترحات معقولة (٢) •

إن هذه المعاهدة ( سيتوا ) اشتهرت تحت اسم سيتواتورق، وأخذت مكانتها المهمة لأنها وثيقة رسمية تبين تاريخ توقف العثمانيين وغاراتهم تجاه الغرب ، كذلك فإن أهم نقطة فيها، أن الحكومة العثمانية اعترفت وقبلت ملك النمسا وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ( ماتياس ) في مستوى السلطان العثماني حيث كان للدولة العثمانية قبل ذلك ألفاظاً تدل على عظمة الملك العثماني مثل " ملجأ العالم ومأواه "، وطبقاً لهذه المعاهدة تعدلت المادة الخاصة بالضريبة ورضيت النمسا أن تدفع مائتي ألف ذهبا مرة واحدة فى السنة، وجاء فيها أيضاًتبادل السفراء،وتعاطي الهدايا كل ثلاث سنوات ، وأن لا تتدخل النمسا في شئون المجر وأردل،ومن

---

(١) طه زاده ،تاريخ أبو الفاروق ،المجلد الرابع ، ص ٧٣ •

(٢) Ismail Hakki, Op, Cit., PP, 511 - 512 .

نصوص المعاهدة عدم التعدي على الحدود ، وسيوءدب من لايراعي ذلك ، وإن هذه المعاهدة ليست موءقتة بل عقدت نيابة عن الأحفاد والأولاد (١) وفي حالة الخلاف يحل النزاع بواسطة حكمين أحدهم من الدولة العثمانية والآخر من النمسا وأن يستعمل السلطان العثماني لقب ( ملك فينا ) والسفير الذي يبعث إلى الإمبراطور النمساوي لايختار من خدم القصر أو عريف ، بل لايقل عن رئيس اللواء ، وإن هذه المعاهدة لم تقض على المشاكل نهائياً ، لأن اليسوعيين الذين احتلوا قصر الحكومة في النمسا لم يتنازلوا عن إثارة الشغب داخل المجر ، وعن تدبير الموءامرات على طول الحدود ، كذلك فساد النمسا أدى إلى قتل ملك المجر ، وفي غفلة من الحكومة استطاع سفير النمسا تعيين وريث للعرش وكانت الأمور الداخلية في المجر وأردل من الأمور الخاصة بالدولة العثمانية طبقاً لاتفاقية ( سيوا ) ، كما أن هذه المعاهدة لم تأخذ شكلها النهائي لعدم التصديق عليها من المفتي (١) •

لم يقف الأمر عند ذلك ، بل استمرت النمسا في مواقفها العدائية من الدولة العثمانية ،ففي القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي كان موقف النمسا سيئاً بسبب حرب الثلاثين عاماً ، حيث لم تعمل على إيقاف الحرب ، بل أخذت تبحث عمن يساعدها في تصعيدها، فلجأت إلى أسبانيا وبولونيا وعدداً من الدول الأوربية ، وعلى الرغم من عدم تدخل فرنسا الا أن أوربا لم تتورع عن تقديم المساعدة لها، حيث أمدها البابا بالنقود ،وأثار الدول الكاثوليكية ضد الدولة العثمانية ،وكانت تصلها الإمدادات من الدول الأوربية المختلفة (٢) • وكانت أكبر المساعدات التي قدمت للنمسا من بولونيا المجاورة لها وبتشجيع من البابا عقدت

---

(١) طه زاده ،تاريخ أبو الفاروق ، المجلد الرابع ، ص ٣٨١ – ٣٨٢ •

(٢) Ismail Hakki, Op, Cit., Part 3, PP.,438-445.

اتفاقية عام ( ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م ) بين النمسا وبولونيا تعهدت الأخيرة بموجبها بإعطاء النمسا أربعين ألف جندي محارب على رأسهم ملك بولونيا ، عند ذلك استدعى مصطفى باشا أمير الجيش الإنكشاري ، استدعى السفير النمساوي بأدرنة وتحدث معه عن ضرورة إرجاع القلعة التي احتلتها النمسا حتى يتجدد الصلح ،ولكن السفير رفض ذلك ،فاستعد الجيش العثماني للخروج في عام ( ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣م ) وبلغ عدد الجيش خمسمائة ألف مقاتل، ورأى الوزير الأعظم والقائد الأعلى للجيش أن يبدأ بفتح فينا عاصمة النمسا ،قبل الإستيلاء على قلعة (ماموران ديانق)وتحرك الجيش من بلغراد ووصل أمام قلعة ماموران، ومن هناك عبرالنهر ولم يستطع جيش الأعداء منعه ، وكان تقدم الجيش نحو فينا بدلاً من الأراضي المجرية مفاجأة لملك النمسا ، وقد تعجب السلطان من اتجاه الجيش نحو فينا ،ولكنه سكت لأنه لامجال للمناقشة ، وقد كان هناك إضطراب في ألمانيا وروما وبولونيا ، مما دعاهم للإتفاق ضد الدولة العثمانية ، وقد حاول البابا إقناع فرنسا للدخول معهم، وخاصة أن لفرنسا مصالح تجارية في الشرق، وعلى الرغم من موقع فينا على الضفة اليمنى لنهر الطونة وإحاطتها بسور محكم من جميع جهاتها ، الا أن الجيش العثماني تمكن من احتلال ما حول القلعة ولم يبق إلا قلعة فينا، ولكن مدة الحصار طالت ، وبدأ التحرك الأوربي من بولونيا وألمانيا في جيش بلغ مائة ألف ، ألتف حول الجيش العثماني ، وتمكن من الحاق الهزيمة بالعثمانيين فولوا هاربين تاركين كثيراً من الذخيرة ، وبعد هزيمة الدولة العثمانية في وسط أوربا في هذه الفترة ، لميقم العثمانيون بغزو فينا وبدأ العد التنازلي ، وبعد أن كان الأوربيون في موقف الدفاع بدأ الأوربيون يهاجمون أقاليم الدولة العثمانية بين فترة وأخرى (1) •

---

(١) Ibid, Part 3, P, 449, 452,455.

كما أن عبء الدفاع عن أوربا وقع على كاهل أسرة هابسبورج الكاثوليكية ، وأن دور النمسا الخطير في التاريخ الأوربي هو أحد المبررات الرئيسية لوجود الإمبراطورية النمساوية قروناً عديدة وراء الحدود الجنوبية الشرقية لأوربا تدافع عن الحضارة اللاتينية والألمانية ضد الإسلام (١) .

مما تقدم نلاحظ أن سياسة العداء النمساوي ضد الدولة العثمانية ، ليست فريدة بل أن جميع دول أوربا ناصبت الدولة العثمانية العداء من منطلق أنها دولة إسلامية ، تعمل على نشر الإسلام وتفتح باسمه ، في شرق أوربا وجنوبها ، ونلاحظ أن النمسا على الرغم من أنها من دول وسط أوربا وبعيدة عن مركز الدولة العثمانية ، الا أن هذا لم يمنعها من التحالف مع الدول الأوربية ، والإشتراك في الإتفاقيات ضد الدولة ، ومحاولة إثارة الفتن والإضطرابات في المناطق الخاضعة لسيطرة الدولة العلية ، وبخاصة وأن الجيوش الإسلامية طرقت أبواب فينا عاصمتها عدة مرات،فكان موقفها موقف الدفاع عن كيانها كدولة مستقلة حتى لاتفقداستقلالها ، لذلك لم تترك فرصة الا واستغلتها للنيل من الدولة العثمانية ، إما بالتحالف مع دول الغرب الأوربية ، أو بتحريض دول البلقان على الثورة ضد الدولة العثمانية ، وإمدادهم بالسلاح والعتاد ، كل ذلك لإبعاد الدولة العثمانية وتقدم جند الإسلام نحو أراضيها .

وظهر كذلك أن أهم طريقة استطاعت أن تنجح بها للوقوف

---

(١) هربرت فيشر ، أصول التاريخ الأوربي ، ص ٣٧٥ .

أمام تقدم الدولة العثمانية ، هي إثارة الفتن والإضطرابات الداخلية ، فى المناطق الواقعة على حدود الدولة العثمانية ، وهي بذلك قد جعلت بينها وبين الدولة العثمانية حاجزاً مكانياً ، تتحقق فيه الإضطرابات التي من شأنها مساعدة النمسا على أن تكون بعيدة بقدر الإمكان عن الإحتكاك المباشر مع الدولة العثمانية ، ذلك الإحتكاك الذي قد يتسبب في أن تصبح كبقية دول البلقان تابعة للدولة العثمانية .

أما بالنسبة لفرنسا فلم تكن تربطها بالدولة العثمانية حدود مباشرة وعلى الرغم من ذلك فقد تناولت فرنسا العلاقات مع الدولة العثمانية سلباً وايجاباً ، وهي بذلك كالدول الأوربية تنظر إلى تحقيق مستعمرات لها في أملاك الدولة العثمانية ، وبخاصة في الشمال الأفريقي أقرب المناطق اليها .

والعلاقات العثمانية الفرنسية قديمة ، بدأت منذ عهدالسلطان سليمان القانوني،حيث كان هناك إتصالات بين ملك فرنسا والسلطان سليمان القانوني عام ( ٩٢٦ هـ /١٥٢٠ م ) ومن هذا التاريخ بدأت الإتصالات الفرنسية العثمانية ، وفي تلك الفترة كان شارل الخامس ملك النمسا هوملكاً لاسبانيا والأراضي المنخفضة وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة، وحاكماً للجزء الأكبرمن إيطاليا الجنوبية ،وكانت جنوا ، وفلورانسا،تابعتين له،وجمهورية البندقية ، طوع أمره ، ووهران بالجزائر تابعةلسلطانه ، وكذلك جزيرة مينورقة – إحدى جزر البليار شرق أسبانيا – ،وجزيرة صقليه من أملاكه (١) .

كل ذلك دعى بفرنسوا الأول ملك فرنسا للتحالف مع الدولة العثمانية ضد شارل الخامس حتى تحاربه الدولةالعثمانية من جهة المجر والنمسا،فيشغل عن جيوش فرنسا من جهة الغرب،فيتمكن بذلك ملك فرنسا من الأخذ بتأثر واقعة بافيا المشهورةعام ( ٩٣٠ هـ / ١٥٢٥م ) بايطاليا جنوب ميلانو – والتي أخذ فيها ملك فرنسا أسيراً (٢) .

---

(١) محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٠٨ ؛ بسام العسلي ، القانوني القائد ، ص ٥٩ .

(٢) خير الله آفندي ، تاريخي ، المجلد التاسع ، ص ١٩ .

ويظهر من سعي فرنسا لدى الدولة العثمانية أنها ـ أي الدولة العثمانية ـ أصبحت في القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي عنصراً هاماً لحفظ التوازن في أوربا على الصعيد السياسي (١) .

ففي عهد السلطان سليم الأول ( ٩١٨ ـ ٩٢٦ هـ / ١٥١٢ ـ ١٥٢٠م) تمكن العثمانيون من ضم البلاد العربية والأماكن المقدسة ، وشهد حكم السلطان سليمان القانوني ( ٩٢٦ ـ ٩٧٢ هـ / ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ م ) توسعاً كبيراً وهاماً ، حيث اتجه بفتوحاته نحو أوربا فاستولى على بلغراد بوابة أوربا الوسطى ، وجزيرة رودس مفتاح شرق البحر المتوسط (٢) .

وفي تلك الفترة كانت أوربا تعاني انقساماً سياسياً ، فهناك الحروب بين شارل الخامس وملك فرنسا (٣) . لذلك فان من مصلحة فرنسوا ملك فرنسا التحالف مع الدولة العثمانية ضد شارل الخامس وأعماله التوسعية .

وقد وصل أول سفير فرنسي إلى إسطنبول عام (٩٧٧ هـ / ١٥٢٥م ) واسمه ( موجان مرتجياني ) ومعه خطاب من ملك فرنسا إلى السلطان يطلب فيه مهاجمة المجر ، حليف شارل الخامس وقد قابل السلطان السفير الفرنسي في ( ٦ ديسمبر ١٥٢٥ م ) باحتفال زائد وأجزل له العطايا (٤) .

هذا وقد عقد فرنسوا الأول فرنسا معاهدة مع السلطان سليمان القانوني عام (٩٤١ هـ / ١٥٣٥ م ) وكانت تلك المعاهدة ذات شقين حربي ،

---

(١) Roger. B. M, Suleiman The Magnificent , PP, 50, 54

(٢) Ibid. PP, 70 - 78.

(٣) Wlkinson Burke. Francis in all Hisglory, P, 204.

(٤) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٢٠٩ .

واقتصادي ، أما من الناحية الحربية فكانت معاهدة دفاعيةهجومية ، أما من الناحية الإقتصادية ،فقد منح السلطان سليمان القانوني بمقتضاها دولة فرنسا بعض الإمتيازات في بلاده ، ولم تكن هذه هي أول المعاهدات الامتيازية ، فقد منح سلاطين المماليك الأوربيين في مصر معاهدات وامتيازات تجارية للبندقية وغيرها من دول أوربا.(١)

وقد أشار الدكتور يوسف الثقفي إلى هذه المعاهدة فى كتابه " دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور"، بقوله إن هذه المعاهدة أعطت حق الإستفادة منها لملك إنجلترا والبابا وغيرهما. ممن له الرغبة في ذلك شريطة تصديقها من السلطان العثماني ، وبذلك حصل رعايا الدولة الفرنسية على امتيازات كانت أول شرارة تندلع داخل الدولة العثمانية ، ظهرت آثارها البعيدة فيما بعد .(٢)

بدأت فرنسا بعد هذه الإتفاقية في تخصيص السفن التجارية لنقل البضائع والأقمشة والمصنوعات المعدنية من الدول الأوربية كألمانيا إلى الدولة العثمانية ، وتبادل التجارة مع بلدان الشرق الأدني في الصوف والقطن والحرير والبهارات ، وقد أصبح للفرنسيين في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي مجالاً كبيراً في التجارة مع بلدان الشرق الأدني وكان لفرنسا حوالي ألف سفينة تجارية ، كما كانت الدول الأوربية الأخرى مثل بريطانيا وهولندا تتاجر تحت العلم الفرنسي، طبقاً للمعاهدة المبرمة بين الطرفين.(٣)

---

(١) محمود محمد زيادة ،دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٦٠ – ٥٦١.

(٢) يوسف علي الثقفي ،دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور ، ص ١٠٧ .

(٣) Halil Inalick , Op, Cit., P, 137.

وبالنظر إلى بنود تلك المعاهدة المتفق عليها بين كل من فرنسا والدولة العثمانية، نلاحظ بأن هذه البنود أتاحت الكثيرمن الإمتيازات للفرنسيين داخل أراضي الدولة العثمانية، من حيث حرية التجارة في جميع الأقطار العثمانية مع الحفاظ على الحقوق الفرنسية داخل الإطار العثماني (١) .

كما أعطت هذه الإمتيازات للدولة الفرنسية الحق في فرض حمايتها على الرعايا الأوربيين، وحماية الأقليات الدينية داخل الدولة العثمانية. كما أن هوءلاء الفرنسيين قاموا بإنشاء المدارس والمعاهد والكنائس (٢)، ومارسوا حماية علي تلك الرعية المسيحية، وعلى النقيض من ذلك فإن التجار العثمانيين لم تكن لهم مثل تلك الإمتيازات في فرنسا، ولايحق لهم ممارسة شعائرهم الدينية على نمط مساو للفرنسيين المقيمين في الدولة العثمانية (٣) .

وقد حققت الدولة العثمانية نصراً سياسياً حين استغلت الإنشقاق الديني في أوربا لتحقيق نصراً على شارل الخامس، ولم يكن ذلك النصر لصالح الدولة العثمانية (٤)، بل لصالح فرنسا.

ومن الآثار السلبية لهذه الإتفاقية كما أثار الدكتور يوسف الثقفي أنها أتاحت الفرصة للفرنسيين للتعرف على طبيعة البلاد العربية

---

(١) Halil Inalick, Op, Cit., P, 224.

(٢) رأفت الشيخ ، تاريخ العرب الحديث ، ص ٣٩؛ يوسف الثقفي، دراسات متميزة ، ص ١٠٧ .

(٣) Steplenit. Fischer, Galoli. Ottoman Imperialism and German, P, 117.

(٤) Ibid. P, 117.

الإسلامية من حيث إمكانياتها وأماكن القوة والضعف بها (١) .

كل ماسبق مهد للإستعمار الفرنسي للبلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية ، ابان ضعف الدولة ، والدليل على ذلك ماقامت به فرنسا في القرون الحديثة من تحقيق أحلامها الإستعمارية ، فبسطت نفوذها على الأقاليم التابعة للدولة العثمانية واستعمرتها ، وبخاصة في الشمال الإفريقي ، فسيطرت بادىء ذي بدء على مصر بواسطة الحملة المعروفة - حملة نابليون - عام ( ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م ) (٢) هذه الحملة التي ساقتها فرنسا ، منافسة لبريطانيا على المصالح الإقتصادية في الشرق الأوسط (٣) ، مما جعل بريطانيا - خوفاً على الطريق التجاري إلى الهند عبر البحر المتوسط - تعمل على عرقلة المشاريع الفرنسية ، وإخفاق فرنسا في تحقيق مناطق نفوذ في أملاك الدولة العثمانية مقارنة بها (٤) .

وعلى الرغم من أن الاحتلال الفرنسي لمصر كان قصيراً وغير ناجح ، فقد كان حادثة هامة ومشحونة بنتائج كثيرة بالنسبة لمصر ، فقد مهد هذا الإستعمار الطريق لحدوث تغييرات بدلت شكل مصر في خلال القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر الميلادي فقد أثر العلماء الذين قدموا إلى مصر مع الحملة الفرنسية في الحياة الثقافية المصرية ، وقد دأب هؤلاء العلماء الذين قدموا إلى مصر إلى دراستها من جميع الجوانب

---

(١) يوسف الثقفي ، دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور ، ص ١١١ .
(٢) عبدالعزيز نوار ، تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق ، ص ٧٩ .
(٣) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوربا الحديث ، ص ١٥ .
(٤) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٣٧٢ - ٣٣٥ .

فدرسوا التربة والمناخ والمنتجات الزراعية والمعدنية (١) ، وكان يقابل هؤلاء العلماء في مصر المشايخ وعلماء الشريعة،وقد حاول الفرنسيون استمالتهم وإطلاعهم على ماحوته أبنية المجمع العلمي المصري الذي أسسه نابليون ، ولكنهم رفضوا ذلك لإيمانهم بأن الثقافة الأوربية قد جاءت مع جيش غاز كافر ، كذلك عمل الفرنسيون على فرنسة التعليم، وكان الغرض الحقيقي للثقافة الفرنسية في مصر يمكن إرجاعه إلى عصر محمدعلى إذ دخلت أفكار فرنسية كثيرة إلى مصر في خلال حكمه على أيدي رجال أمثال ( دروفتى ) قنصل (٢) فرنسا في مصر و ( منجان ) والضباط الفرنسيين الذين بقوا في مصر بعد انسحاب فرنسا ، كما أتت المؤثرات الفرنسية إلى مصر في عصر محمد على مع البعثات التعليمية إلى فرنسا ، التي كان يشرف عليها ( جومار ) أحد علماء الجامعة الفرنسية (٣) ·

واصلت فرنسا مواقفها العدائية من الدولة العثمانية حيث اتفقت الدول الأوربية الإستعمارية فرنساوبريطانية وروسيا ضد الدولة العثمانية (٤) ، وتذرعت فرنسا بشتى الذرائع لاحتلال الجزائر، ولم تمانع بريطانية ممانعة جادة ، ففي عام (١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠م ) نزل سبعة وثلاثون ألف مقاتل فرنسي على ساحل خليج سيدي فرج ( الذي يبعد ثلاثة وعشرين كيلو متر غربي الجزائر ) وكانت المقاومة عنيفة حيث فقد الفرنسيون أربعمائة شخص ، بينما استشهد عشرة آلاف من العثمانيين ، ووقعت بعد (٥) ذلك وثيقة الإستسلام ودخل الفرنسيون مدينة الجزائر عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م)،

---

(١) عمرعبد العزيز عمر ،دراسات في التاريخ العربي الحديث والمعاصر،ص ٢٢٠·

(٢) محمدفوءادشكري، مصرفي مطلع القرن التاسع عشر،١٨٠١-١٨١١م،جـ٢،ص ١٢٦·

(٣) عمر عبدالعزيزعمر،تاريخ المشرق العربي،١٥١٦-١٩٢٢م،ص ٢٣٤،٢٣٧ ·

(٤) ل · ج · شيني ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٢٨٧ ·

(٥) آمال السبكي ، أوربا في القرن التاسع عشر فرنسافي مائة عام،ص ٢٠٣·

فنهبوا خزينة البلاد التي تحتوي على ثمانية وأربعين مليون فرنك ، ثم تلى ذلك في عام ( ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م ) إعلان لويس فيليب ملك فرنسا ضم الجزائر رسمياً لفرنسا (١).

ومنذ ذلك الوقت وحركات المقاومة مستمرة بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري، ومن تبعه من قادة الجهاد وقامت الكثير من الثورات لنيل الإستقلال مثل ثورة لالا فاطمة عام ( ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م )،وثورة المقراني عام ( ١٢٨٩ / ١٨٧٢م ) الى أن نالت البلاد استقلالها (٢).

يعد الإستعمار الفرنسي للجزائر أشد وطأة وقوة ،فقد كان التخريب الثقافي الذي أحدثه في الجزائر لتحقيق الفرنسة ،أو الإدماج أشد خطراً وأكبر هولاً ، فقد كانت فرنسا تعتبر الجزائر جزءاً منها، وتريد أن تفرض على المجتمع الجزائري عاداتها وتقاليدها ولغتها ، فقد استخدمت اللغة الفرنسية أداة للقضاء على الشخصية الجزائرية ،وتربية موظفين يكونون خدماً للإستعمار (٣).

لذلك فقد ناضل الأبطال أمثال الأمير عبدالقادر الجزائري والمقراني إلى أن تحررت البلاد، وقد ظل الجزائري محارباً للفرنسيين ستة عشر عاماً (٤).

---

(١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .
(٢) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٣ ؛ مصطفى حلمي ، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ص٦١.
(٣) شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ .
(٤) عبد الله عبد الجبار ، الغزو الفكري في العالم العربي، ص ١٦–٢٠.

واصلت فرنسا سطوها على البلاد العربية ، فبعد مؤتمر برلين (١٢٩٩هـ / ١٨٨١م ) ادعت وجود استفزازات على حدود تونس الجزائر ودخلت تونس بحجة حماية الأمن بقوة قوامها ثلاثون ألف جندي ، ثم عززت قواتها شيئاً فشيئاً واتجهت نحو العاصمة وحاصرت قصر الباي، وأجبرته على توقيع معاهدة ، وافق بموجبها على الإحتلال بدعوى حفظ الأمن والإستقرار، واعترفت جميع الدول النصرانية بذلك الإحتلال (١) ، أما الدولة العثمانية فقد أعلنت احتجاجها، وفكر الباب العالي بإرسال السفن الحربية إلى هناك لاسيما بعد أن أعطت فرنسا لألمانيا حرية الحركة في تونس، وهددت بالحرب (٢) ، فأبدى الباب العالي رغبته بالحل السلمي عن طريق المفاوضات .

وبذلك ضاع جزء آخر من أملاك الدولة العثمانية وصار فريسة للدول الإستعمارية وأطماعها التوسعية في البلاد الإسلامية .

وافقت بريطانيا على إعطاء حرية التصرف لفرنسا في مراكش في اتفاقية لانزون كامبون المشهورية (٣) ( عام ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٣م ) ووجد الحلفاء أن الوقت قد حان لحل المسألة الشرقية حلاً نهائياً وذلك باتفاقهم على تجزئة الدولة العثمانية ، وقد اختمرت فكرة التقسيم، عندما توصلت كل من بريطانيا وفرنسا إلى عقد اتفاقية سرية مع روسيا في (١٣٣٥ هـ / ١٩١٦م ) تذعن بموجبها بريطانيا وفرنسا إلى مطالب روسيا . وفي حالة إنتصار الحلفاء فإن إسطنبول والمضايق تضم إلى ممتلكات روسيا على أن تعترف روسيا بحقوق بريطانيا وفرنسا في الممتلكات العثمانية

---

(١) محمود شاكر ، العالم الإسلامي ، ص ١٦٣ .
(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٥٥٩ – ٥٦٠ .
(٣) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ الشرق العربي ، ص ٤٤٦ .

الأسيوية ، ووافقت أيضاً على أن تكون الأماكن المقدسة الإسلامية والجزيرة العربية تابعة لبريطانية ، ولكن ذلك لم يحصل حيث لم تدخل هذه المناطق تحت أي نفوذ.(1)

لم تحدد بريطانية ما كانت ترغب في الحصول عليه من ممتلكات الدولة العثمانية ،بينما طالبت فرنسا بضم سورية وخليج الإسكندرونة ، فوافق القيصر على ذلك ، ولكنه تحفظ بشأن فلسطين حيث أعلن ( سازانوف ) وزير الخارجية الروسية أنها لاتترك مناطق القدس والجليل والأردن وطبرية تحت حماية دولة غير أرثوذكسية ، وقد تبادلت الحكومات الثلاث إحدى عشر مذكرة تضمنت القواعد التي تم الإتفاق عليها وتضمنت معاهدة ( سان بطرس برج ) في مارس ( ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م ) تصفية الدولة العثمانية واقتسام أملاكها بين الحلفاء الثلاث وتأسيس مناطق نفوذ بريطانية فرنسية ، في البلاد العربية الأسيوية على النحو التالي :

* تتعهد بريطانيا وفرنسا وروسيا أن تعمل يداً واحدة من أجل إنقاذ البلاد العربية وحمايتها ، وتأليف حكومة إسلامية مستقلة تتولى بريطانيا مراقبتها والإشراف عليها وإدارتها .
* التعهد من الدول المتعاقدة بحماية الحج وتسهيله .
* تقسيم البلاد العربية إلى مناطق نفوذ بين الدول المتعاقدة حيث تضم بريطانيا العراق والمناطق العربية التي تشغل الساحل الشرقي للبحر المتوسط ،والساحل الغربي للخليج الفارسي من البصرة شمالاً إلى الكويت والبحرين وقطر ومسقط وعمان وحضرموت والمحميات حتى حدود عدن ونهاية

---

(1) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ،ص ٤٦١ - ٤٦٢ .

البحر الأحمر من الجنوب بالإضافة إلى مصر التي احتلتها عام (١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م ) (١) .

أما فرنسا فقد اختصت بالمناطق التالية من الشرق العربي وهي:

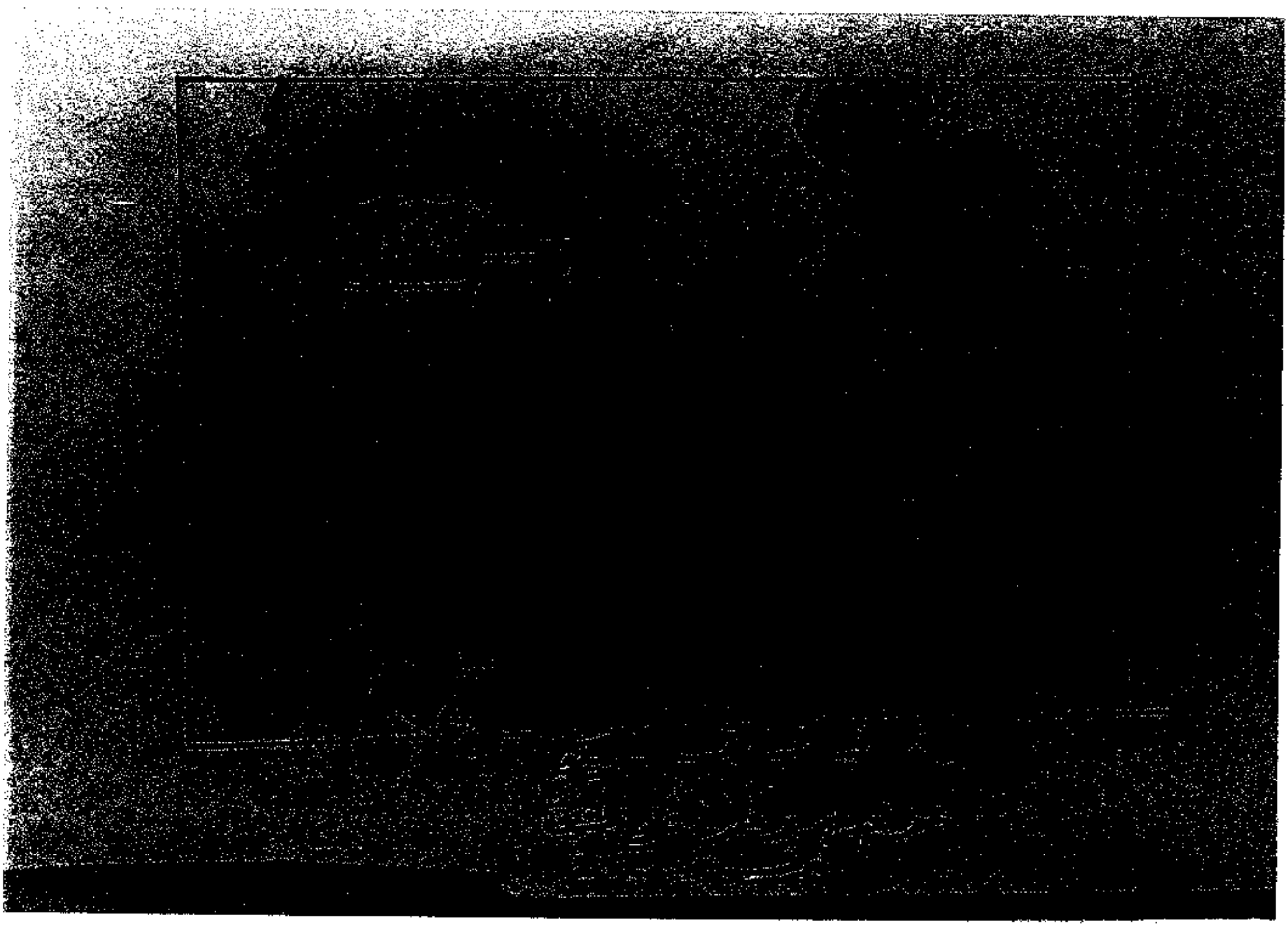
* المناطق المتفق على تقسيمها وتوزيعها بقية الساحل السوري على البحر المتوسط من الناقورة جنوباً إلى صيدا فطرابلس فبيروت واللاذقية فالإسكندرونة حتى الحدود التركية شمالاً ، وحتى الحدود العراقية شرقاً ، وبذلك تكون فرنسا قد خرجت بغنائم وأسلاب كبرى شملت لبنات ، والقسم الأكبر من سورية وكانت الموصل تعد جزءً من سورية لذلك كانت في هذه الإتفاقية من نصيب فرنسا ، كما أنه توءلف منطقة عربية من منطقتي نفوذ فرنسا وبريطانيا ، وتكون مستقلة في شكل اتحاد من دول عربية وفقاً لاتفاق خاص بين فرنسا وبريطانيا (٢) ، وأخرجت فلسطين من نطاق الدول العربية وطلبت وضع هذه المنطقة تحت إدارة خاصة ، وفقاً لاتفاقية عقدت بين روسيا وفرنسا وبريطانيا ، وقد خصت لفرنسا منطقة لونت باللون الأزرق ، تشمل الشريط الساحلي لسورية بما في ذلك لبنان، ثم جنوب الأناضول بما في ذلك ( أضنة ) و ( مرسن ) ( والإسكندرونة ) وأعطيت لفرنسا حقوق إنشاء إدارة أو مرقبة سواء بطريق مباشر أو غير مباشر وذلك حسبما يتراء لفرنسا ، وقد أشيرت إلى منطقة فرنسا بحرف (أ) على الخريطة وتشمل شمالي العراق بما في ذلك الموصل ثم مدن دمشق وحمص وحلب ولفرنسا في هذه المنطقة (أ) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية وتقديم المستشارين والموظفين الأجانب عند طلب الحكومة العربية ، أو اتحاد الدول العربية المستقلة (٣) . ( أنظر الخريطة ص ١٢٠ ) .

---

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٣ .

(٢) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، جـ ٥ ، ص ٥١٩ – ٥٢٠ .

(٣) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٦ – ٤٦٧ .



أما بالنسبة لبريطانية فأعطيت منطقة لونت باللون الأحمر، واشتملت على أراضي مابين النهرين بما في ذلك البصرة على الخليج العربي ثم بغداد ، كما حصلت على ميناءي حيفا ويافا في فلسطين ، وأنشأت إدارة مراقبة بنفس وسيلة فرنسا في منطقة نفوذها الزرقاء، وإلى جانب المنطقة الحمراء ، منحت بريطانيا منطقة أخرى أشير إليها بالحرف (ب) محصورة بين خط طبرية أبو كمال ـ كركوك في الشمال وبين حدود المنطقة الحمراء في الشرق والجنوب الشرقي والجزيرة العربية في الجنوب ،وكان لبريطانيا في المنطقة (ب) نفس حقوق فرنسا في المنطقة (أ).(١)

كما نص الإتفاق على أن تكون المنطقتان (أ)،(ب) الواقعتان بين المناطق الفرنسية والإنجليزية إتحاداً من الدول العربية أو الدولة العربية المستقلة تحت رئاسة رئيس عربي ، على أن تقسم إلى منطقة نفوذ فرنسية وإنجليزية وتشمل منطقة النفوذ الفرنسي المنطقة الداخلية إلى الحدود الإيرانية، وأن تكون للدولة صاحبة النفوذ ( بريطانيا أو فرنسا ) الأفضلية في المسائل الإقتصادية وتقديم الموظفين والمستشارين الأجانب ؛ ونص الإتفاق أيضاً على إنشاء إدارة دولية في فلسطين لايتقرر شكلها النهائي الا بعد استشارة روسيا وشريف مكة. كذلك تضمنت الإتفاقية أن يكون ميناء الإسكندرية حراً لتجارة الإمبراطورية البريطانية .(٢)

واصل المستعمرون الفرنسيون السيطرة على أملاك الدولة العثمانية فاتجهت فرنسا لاحتلال سوريا ولبنان،(٣) لاستكمال خطتها الإستعمارية ضد

---

(١) عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٤٦٥ ـ ٤٦٧ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧ .

(٣) أحمد عسة ، معجزة فوق الرمال ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

الدولة العثمانية لم يكن استعمار فرنسا لسورية ولبنان بضـــراوة استعمارهاللجزائر فقد وجدت فرنسا فيهما ( سورية ولبنان ) شعبـــاً لاتنجح فيه الأساليب التعليمية السقيمة ، أو الإجرامية التي ســـارت عليها فرنسا في مستعمراتها ومحمياتها ووجدت أنه من العبث التفكيـر في وقف تيار التعليم ، ومحاربة اللغة العربية لفرط انتشارها فـــي المدارس الحكومية والخصوصية لما تحدثه في محاربتها من تأثير ســـيء في سياسة فرنسا العامة ، وفي الشعب السوري واللبناني ، لذلك لـــم تتعرض للغة والتدريس ، كما لم تتعرض للمجمع العلمي العربي الذي تأسس ( ١٣٣٨ هـ / ١٩١٩م ) ولكنها فرضت سياسة تعليمية تقوم على أساسيـــن هما : فرض أساليب المناهج الفرنسية في التدريس ، وفرض اللغةالفرنسية على جميع مدارس القطرين ،(١) وقد تضاعف عدد المدارس الفرنسية في أنحاء سورية ولبنان وكلها تدرس العلوم باللغة الفرنسية ،(٢) وقد حاربت اللغـــة العربية بشتى الوسائل وعملت على نشر اللغة الفرنسية.(٣)

---

(١) عبدالله عبدالجبار ، الغزو الفكري في العالم العربي ، ص ٢٣ — ٣٢.

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٣) الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، ص ٢٤٩ — ٢٥١ .

أما بريطانيا فان موقفها من الدولة العثمانية جاء متأخراً بعض الشيء بالنسبة للمواقف الأوربية الأخرى .

كانت علاقة بريطانيا بالدولة العثمانية - قبل بداية القرن الثاني عشر الهجري / أواخر السابع عشر الميلادي ، وحتى منتصف القرن الثامن عشر - تجارية فقط .(١)

وأثناء الحرب العثمانية الروسية ( ١١٨٢ - ١١٨٨ هـ / ١٧٦٨-١٧٧٤ م ) لم تكن المضايق وشرق البحر المتوسط لها أية قيمة لديها حتى أنه أمكن لأسطول روسيا أن يحتل جزر اليونان والمورة بارشاد وموافقة من بريطانيا .(٢)

وقد أدركت بريطانيا أهمية الإمبراطورية التي أستها في شرق البحر المتوسط في أواخر القرن الثاني عشر الهجري / بداية الثامن عشر الميلادي لذلك رأت أن القيام بالمحافظة على الطرق المؤدية إلى تلك الإمبراطورية أصبح هدفاً رئيسياً لسياستها ، وإن أقصر الطرق مابين أوربا والهند،(٣) - حيث المستعمرات البريطانية - كان يمر بالبحر المتوسط فهذا الطريق لم تكن له قيمة إقتصادية فحسب بل وقيمة سياسة لدى بريطانيا ، مما جعل المحافظة على هذا الطريق من الأمور الهامة بالنسبة لها .(٤)

---

(١) Enver Ziya, Osmanli Tarihi, Part 5, P, 207 .

(٢) Ibid. Part 5, P, 207 .

(٣) ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، ص ٤٣ .

(٤) عبدالعزيز رفاعي ، قضية الجلاء عن مصر بين سنتي ١٨٨٢ - ١٩٠٧م ، ص ٧ .

لقد قامت بريطانيا واحتلت جبل طارق عام ( ١١٢٥هـ / ١٧١٣م) حتى لاتنفرد روسيا بالسيطرة على تجارة البحر المتوسط مع فرنسا ، حيث كان من أهداف نابليون بونابرت ضرب بريطانيا في سياستها الإستعمارية فسارعت بريطانيا بالإتفاق مع روسيا والدولة العثمانية لإخراج فرنسا من مصر بعد عدة إتفاقيات (١) .

لقد كانت بريطانيا تدرك أن تحقيق أطماعها في الدولة العثمانية قد لايتحقق إذ لم تقم بالدور الفعال ضد السياسة الفرنسية في المنطقة ،ففرنسا استغلت إنشغال الدولة العثمانية في حروبها مع النمسا وروسيا وحالة الضعف التي انتابتها نتيجة الحروب والمشاكل الداخلية ،كما أغراها الموقع الإستراتيجي لمصر ووجود طريق الهند (٢) الذي كانت تسلكه التجارة البريطانية من الإسكندرية إلى السويس عبر الصحراء، فوقفت ضد بريطانيا في تلك المنطقة نظراً لموقفها من الثورة الفرنسية في تلك الفترة ، بالإضافة إلى الحرب بين الدولتين التي خرجت منها فرنسا وقد فقدت معظم مستعمراتها في الهند وكندا ، فأرادت فرنسا تعويض تلك الخسارة على حساب بريطانيا التي أجبرتها على ترك مواقعها، وظنت أن باحتلالها لمصر تنتقم من بريطانيا وتجبرها على الرضوخ لمطالبها (٣).

بناءً على ذلك صدرت الأوامر لنابليون بونابرت فى(١٤ذو الحجة ١٢١٢ هـ / ١٩ مايو ١٧٩٨ م ) باحتلال مصر بدون إعلان الحرب ، ويكون

---

(١) محمود شاكر ، العالم الإسلامى ، ص ١٦٢ – ١٦٣ .
(٢) عبد العزيز الرفاعي ، قصية الجلاء عن مصر ، ص ٧ .
(٣) على حسون،تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١١٨ – ١١٩ .

ذلك سراً وخفية عن أعين بريطانيا فجهز نابليون جيشاً قوامه ستة وثلاثون ألف محارب مدرب ،وعشرة آلاف بحار ، وبصحبته ثلاثون سفينة حربية ، ومراكب وسفن صغيرة أخرى ، ومائة وإثنان وعشرون عالماً من مختلف التخصصات[(1)] ، وتحرك الجيش من فرنسا وتمكن من إحتلال مالطه ، وسار بعد ذلك إلى الإسكندرية وأنزل الجند بالقرب منها ، ولم يلبث أن احتلها وقد ترك نابليون بها قائده كليبر، واتجه هو إلى القاهرة عن طريق الصحراء ، بعد تغلبه على المقاومة، وتمكن من دخول القاهرة ( في ١٧ صفر عام ١٢١٣ هـ / ٢١ يوليو عام ١٧٩٨ م )[(٢)] .

وحينما علم العثمانيون باحتلال مصر أخذوا يعدون العدة لمحاربة الفرنسيين ، لاسيما وأن الدولة العثمانية كانت مستقرة وهادئة البال من جانب النمسا وروسيا ، حيث كانتا منشغلتين بمحاربة فرنسا ، خوفاً من تسرب مبادئها الحرة إلى بلادهما، أدركت بريطانيا كل هذه الأعمال الفرنسية وأحست بأن سياستها[(٣)] يجب أن تتخذ المسار الذي بواسطته قد تحقق أهدافها ، فقامت بعرض مساعدتها للدولة العثمانية بهدف إخراج الفرنسيين من مصر[(٤)] .

وفي حقيقة الأمر كانت بريطانيا تهدف من ذلك حماية طريق الهند من أن يكون في قبضة دولة قوية تتحكم فيه وفي ذلك خطرعليها، فقبلت الدولة العثمانية المساعدة البريطانية بكل ارتياح[(٥)] .

---

(١) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوربا الحديث ، ص ١٥ .
(٢) محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص ٣٧٤ .
(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .
(٤) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوربا الحديث ، ص ١٥ .
(٥) عبدالعزيز نوار ، تاريخ العرب المعاصر ، ص ٧٩ .

هذا وقد عرضت روسيا إمداد الدولة العثمانية بمراكب بحرية فوافقت الدولة العثمانية ، وأعلنت الحرب رسمياً على فرنسا ،في الحادي والعشرين من ربيع الأول عام ( ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م ) وأخذت في جمع الجيوش بمدينة دمشق ، وجزيرة رودس ، لإرسالها إلى مصر ووصلت البحرية الروسية من البحر الأسود إلى بوغاز إسطنبول ، وخرجت إلى البحر المتوسط مع السفن العثمانية (١) .

وعندما علم بونابرت بذلك الإستعداد ، وجد أن الحرب لن تكون في صالحة إذا لم يفاجئ الدولة العثمانية في بلاد الشام ، ويحتل القطر السوري، فلهذا عزم نابليون على الإستيلاء على بلاد الشام فاتجه من مصر ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل قاصداً الشام عن طريق العريش فاحتلها في أواخر شعبان عام ( ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م ) ودخل مدينة غزة في التاسع عشر من رمضان من نفس العام ، وسار منها في ثلاث وعشرون من رمضان ووصل الرملة في خمس وعشرين منه ، ومنها اتجه إلى يافا فوصلها في ست وعشرون من رمضان واحتلها بالقوة في أول شوال ، ثم مضى إلى عكا ووجد فيها مقاومة عنيفة (٢) ، وقبل وصوله إلى يافا قام بعملية وحشية لا إنسانية حيث قتل من معه من الجرحى والمرضى من جنده حتى لايعيقوا تقدمه ، وعاد بعد ذلك إلى القاهرة (٣) . عندما علم نابليون بقدوم الجيش العثماني من رودس ونزوله بأبي قير في جيش بلغ ثماني عشرة ألف مقاتل ، سار بونابرت لحربهم وانتصر عليهم وأسر قائدهم الأكبر مصطفى باشا ، وفي هذا الموقف لعب البريطانيون لعبتهم فالقائد البريطاني ( الأميرال كيث )

---

(١) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢١ .

(٢) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوربا الحديث ، ص ١٧ .

(٣) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ١٢١ .

أرسل لنابليون عدة نسخ من الجرائد الفرنسية والتي توضح انتصار النمساويون على فرنسا وشيوع الفوضى بها فأراد نابليون استغلال الفرصة للوصول إلى السلطة فارتحل إلى فرنسا خفية (١)، وترك قائده (كليبر) وكيلاً عنه في مصر (٢) .

عندما علمت الدولة العثمانية وبريطانيا برحيله ضيقت الخناق على قائده في مصر ، وتناقص عدد الجيش الفرنسي ويئس القائد ( كليبر) من الحفاظ على مصر ، فاتفق مع الباب العالي والأميرال البريطاني ( سدني سميث ) ( ٣٠ رجب ١٢١٥ هـ / ٢٤ يناير ١٨٠٠ م ) على أن تنسحب العساكر الفرنسية بسلاحها ومدافعها، وتعود إلى فرنسا على مراكب بريطانية ، ولكن الحكومة البريطانية لم توافق ، واستمر الفرنسيون في مصر إلى أن تم انسحابهم منها في ( ثمان وعشرين من صفر ١٢١٦ هـ / ١٠ يوليو ١٨٠١م ) (٣) .

إن موقف بريطانيا إلى جانب الدولة العثمانية ، كان انطلاقاً من محافظتها على مصالحها ، فعندما تعرضت تلك المصالح للخطر الفرنسي على يد دولة منافسة لها وضعت يدها في يد الدولة العثمانية لحماية تجارتها في الهند من منافسة دولة قوية كفرنسا ، وحاربت مع الدولة العثمانية إلى أن خرج الفرنسيون من مصر، واطمأنت على مستعمراتها في الهند، ومع العلم أن بريطانيا ساهمت في طرد الفرنسيين من مصر إلاّ أننا لانعفيها كدولة أوربية من أطماعها الإستعمارية التي كانت ترغب في تحقيقها في

---

(١) محمد كمال الدسوقي ، تاريخ أوربا الحديث ، ص ١٨ .
(٢) محمد فريد بك ، الدولة العلية ، ص ٣٧٦ .
(٣) نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٧ .

الشرق الأوسط ، فهي لاتختلف عن فرنسا وأطماعها ،فكل منهما لاتهمه مصلحة الدولة العثمانية ، بقدر إهتمامه بمصلحته الذاتية ،وتحقيق مايمكن تحقيقه من مناطق نفوذ الشرق الأوسط .

إذا كانت الحملة الفرنسية عام (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨م ) قد أثرت على مستقبل مصر السياسي في القرن التاسع عشرالميلادي / الثالث عشر الهجري ، فإنها أدت أيضا إلى ازدياد نشاط بريطانيا في الشرق العربي، فلقد أحدثت هذه الحملة الفرنسية ردود فعل مباشرة على منطقة الخليج العربي وأصبح التنافس السياسي الحربي بين بريطانيا وفرنسا هوالموجه لتاريخ المنطقة لعدة سنوات ، فقد أدى ذلك إلى تغير سياسة بريطانيا بالدولة العثمانية ،فلم تعد هذه السياسة تجاريةفقط، بل قفزت هذه العلاقات إلى الناحية السياسية ، وتولت وزارة الخارجيةالبريطانية تعيين السفير البريطاني في إسطنبول ، كما أدت هذه الحملة إلى تدخل بريطانيا السياسي في منطقة الخليج العربي (1) .

عملت انجلترا على إقامة علاقات صداقة مع كل من سلطنة عمان، والعراق . ولقد حاول بونابرت في عام ( ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩م ) التحالف مع سلطان عمان ضد بريطانيا ولكنه فشل ، وفي نفس الوقت أرسلت شركة الهند أحد موظفيها من الفرس – مهدي على خان – للتفاوض مع السلطان في عقد اتفاق معه في ( ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩م ) وقع مهدي على خان أول معاهدة سياسية ربطت بين سلطنة عمان وبريطانيا ويظهر من نصوص هذه المعاهدة إنها تهدف إلى إقصاء فرنسا أكثر من كونها علاقة صداقة مع سلطان بن

---

(1) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٣٩ .

أحمد حاكم عمان ولكنه فشل (١) .

وقد نجحت بريطانيا في ضمان وقوف العراق بجانب بريطانيا في النزاع الذي انتقل إلى الشرق الأوسط (٢) .

كما وقعت بريطانيا اتفاقية مع حكام البحرين عام (١٢٨٠هـ/١٨٦٣م) كذلك وقعت معاهدة الحماية مع أمراء الكويت ( عام١٣١٧هـ/١٨٩٦م) وبعد ذلك اعترفت بريطانيا بالكويت كدولة مستقلة تحت حمايتها في (٣ نوفمبر ١٩١٤م) (٣) وربطت باقي الإمارات العربية بمعاهدة حماية ،ولم تخضع للنفوذ الإستعمارى الغربي الأراضي السعودية واليمن حيث كانت ترابط فيهما القوات العثمانية ، ثم لم يلبث أن ظهر الملك عبدالعزيز، وعمل على استرداد ملك آبائه وأجداده فبدأ باستعادة الرياض عام ( ١٣١٩ هـ / ١٩٠١م ) ، وان علاقة الملك عبدالعزيز ببريطانيا لم تكن كغيرها من الدول (٤) .

لم تكن دول الخليج العربي وجنوب البحر الأحمر آخر عمليات السطو المباشر على أملاك الدولةالعثمانية ، فلقد تمكنت بريطانيا من إبعاد فرنسا عن سباق المنافسة معها فاحتلت مصر عام ( ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م )، فبعد الهزيمة (٥) التي لقيها محمد علي باشا ( ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠م ) أصبح

---

(١) عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ المشرق العربي ، ص ٢٣٩ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٤١ .
(٣) أحمد حسن جودة ، المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩م، ص ١٥٠ – ١٥٢ .
(٤) خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة فى عهدالملك عبدالعزيز،جـ١ ،ص ٨٨–٩٦.
(٥) ل . ج . شينى ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨.

لبريطانيا النصيب الكبير في تصدير بضائعها لمصر، دون دفع رسوم تذكر، وكثرت الديون المصرية من البنوك البريطانية في عهد الخديو إسماعيل،[(١)] فبيعت أسهم القناة لبريطانيا[(٢)]، وفي عام ( ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢م ) بدأت القوات البريطانية بقصف الإسكندرية ، فأصدر أحمد عرابي وزيرالحربية أوامره إلى القوات المصرية بمقاومة البريطانيين ، ولكن الخديو توفيق انحاز إلى جانب المحتلين ، وأصدر أوامره إلى أحمد عرابي بوقف إطلاق النار، وعندما رفض عرابي ، أعلن الخديو عصيانه وعزله من وزارة الحربية ، ومما مكن بريطانيا من السيطرة على مصر أن مهندس القناة فرديناند ديلسبس ، الذي تعهدلأحمدعرابي بوقوف القناة على الحياد، أخل بوعده[(٣)] فوصل الإنجليز إلى الإسماعيلية ومنها إلى القاهرة عن طريق قناة السويس ، بعد أن ألحقوا هزيمة بالقوات المصرية في التل الكبير،وفرضت القوات الإنجليزية التعويضات على الشعب المصري ، وحكم على أحمد عرابي وأنصاره بالموت ، الذي استبدل بالنفي إلى جزيرة سيلان،[(٤)] وأصبح اللورد ( كرومر ) الإنجليزي حاكماً مطلقاً على مصر[(٥)] .

بدأت بريطانيا ترنوا ببصرها نحو السودان والسيطرة عليه،[(٦)] بعد أن أطمأنت إلى إخلائه من القوات المصرية ،فوصلت حملةإليه كان أكثرها من البريطانيين ، والبقية من المصريين والسودانيين ، بقيادة (كتشنر سردار) القائدالعام ،وقد لقى الجيش البريطاني مقاومةعنيفةمن المهدي

---

(١) عبدالرحمن الرافعي ، عصر إسماعيل ،ج ١ ،ص ٨٤ .
(٢) عمرعبدالعزيز عمر ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ،ج١،ص ٨٨–٩٦.
(٣) إل . ج . شينى ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨ .
(٤) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ص ٥٤ ،ص ٤٠٨ .
(٥) محمد فوءاد شكري ، بناء دولة محمد على ، ص ١٥٣ .
(٦) إل . ج . شينى ، تاريخ العالم الغربي ، ص ٣٨٨ .

في السودان ، ولكن بعد وفاة المهدي تمكنت بريطانيا من إحتلال السودان، وقد قامت على أثر ذلك حركات المقاومة حيث سجل السودان ثلاث حركات تحريرية هى : حركة المهدي في السودان ، وحركة اللواء الأبيض ،وحركة الخريجين ، إلى أن نال السودان استقلاله عام ( ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م ) (١).

لم تكتف بريطانيا بما سلبته من أملاك الدولة العثمانية ، بل اتجهت نحو بلاد الشام ، وقسمتها فيما بينها وبين حليفتها فرنسا طبقا لاتفاقية سايكس - بيكو عام ( ١٣٣٥ هـ / ١٩١٦م ) (٢) ، فقد كانت بلاد الشام في عهد الدولة العثمانية تكون وحدة سياسية واحدة ، وعند قيام نظام الإنتداب عام ( ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠م ) قسمت بلاد الشام إلى أربعة أقسام سياسية (٣) : سورية ، ولبنان ،وشرق الأردن ، وفلسطين ، أخذت بريطانيا فلسطين وشرق الأردن وفرضت عليهما الحماية البريطانية (٤) .

وفى ظل الإنتداب البريطاني بدأت طلائع اليهود تغزو فلسطين ، وتقوم بإعداد المستعمرات ، والسطو على الأراضي العربية وتحويلها إلى مستعمرات يهودية ،وبذلك زرعت هذا الكيان القذر فصار بوءرة فساد وشوكة في جنب الأمة الإسلامية يقوم بالإرهاب والإغتصاب والإعتداء .

أما باقي بلاد الشام فكانت من نصيب فرنسا كما أشرنا إلى ذلك حيث استولت على سورية ولبنان وفرضت عليهما حمايتها إلى أن نالت

---

(١) على حسون ،تاريخ الدولة العثمانية ،ص ١٨٢ - ١٨٤ .
(٢) بيرونوفن ، تاريخ القرن العشرين ،ص ٢١٦ .
(٣) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٧ ، ٢٢٣.
(٤) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ، ص ٥٢١ .

هاتان الدولتان استقلالهما عام ( ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦م ) (١) .

لم يكن سبيل الإحتلال والعدوان المسلح هو الطريق الوحيد الذي إتخذته بريطانيا ، بل سلكت سبل أخرى لحماية مصالحها في الدولة العثمانية .

إن بريطانيا لم تتورع عن مساعدة أبناء جلدتها ومساعدتهم في تمردهم ضد الدولة العثمانية عند شعورها بالخطر ، فعندما بدأ التمرد اليوناني ، أخذ الرأي العام في بريطانيا يؤيد هذا التمرد، وأعلنت بريطانيا أن المتمردين محاربون ، حتى وصل بهم الأمر أن طلبوا من الدولة العثمانية حماية اليونان ، ولكن رفض ذلك الطلب عام ( ١٢٤١ هـ / ١٨٢٥ م ) (٢) .

لقد كانت بريطانيا قلقة من توطيد محمد على أقدامه في البحر المتوسط، لأنها ترى في ذلك إضراراً بمصلحتها، ولهذا اتفقت مع روسيا ضد الدولة العثمانية عام (١٢٤٢ هـ – ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٦ – ١٨٢٧ م ) على أن يستقل اليونان وأن يدفع للدولة العثمانية ضريبة معينة على أن يخرج جميع الأتراك من اليونان ، ثم انضم إليهم في هذا الإتفاق فرنسا ووقعوا معا معاهدة لندن (٣) عام ( ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧م ) وبُلغ هذا القرار إلى كل من النمسا وفرنسا وبروسيا ، وبُلغت الدولة العثمانية بالقرار وفي حالة عدم موافقتها عليه ، فإن بريطانيا سوف تقف بجانب المتمردين

---

(١) لورانس ، لغز الجزيرة العربية ، ص ٢٥٧ .

(٢) إميل خوري ، وعادل إسماعيل ، السياسة الدولية في الشرق العربي، ص ١٨.

(٣) Enver Ziya, Op, Cit., Part 5, P, 117 .

باليونان ، أما إذا وافقت على القرار فسوف يقف إطلاق النار، وعندما رفضت الدولة العثمانية ذلك اجتمعت ضدها الدول الأوربية ( فرنسا،روسيا، بريطانيا ) وهاجموا الأسطول العثماني والمصري في ميناء (نافارين) وقد تسبب دخولهم ميناء نافارين في حرب بحرية ، وأغرقت جميع السفن العثمانية والمصرية عام ( ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧م ) في نافارين (١) .

واصلت الدول الصليبية تحزبها ضد الدولة العثمانية فوقعت معاهدة سان ستيفانو عام (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م) بين روسيا والدولة العثمانية وبموجب هذه الإتفاقية فقدت الدولة العثمانية جميع ممتلكاتها الأوربية (٢) .

مما تقدم نلمس أن بريطانيا كغيرها من الدول الأوربية الأخرى، وقفت من الدولة العثمانية موقف الحقد والطمع في آن واحد ، فحققت أهدافها وأطماعها في الدولة العثمانية ، عن طريق السيطرة على الكثير من المناطق الخاضعة للسيطرة العثمانية ، إما بالإستيلاء والإحتلال العسكري، أو بالتحالفات مع الدول الأوربية ، أو بتحريض دول البلقان والوقوف إلى جانبها أثناء قيامها بالثورة ضد الدولة العثمانية ، كمساعدتها للثورة اليونانية ووقوفها إلى جانب اليونان ، وتزويدها بالسلاح، إلى أن نالت استقلالها ، وبذلك اقتطع هذا الجزء من الدولة العثمانية كما اقتطع غيره من قبل تحقيقاً للأهداف الإستعمارية البريطانية في الدولة العثمانية ،ثم أنها تمكنت من الإستيلاء على مناطق مهمة ( واستراتيجية ) في الشرق الأوسط وربط بعض المناطق بمعاهدات واتفاقيات ،تجعلها تحت حمايتها وهكذا كان الموقف البريطاني من الدولة العثمانية موقفاً له آثاره البعيدة والسيئة ، ليس على الدولة العثمانية آبان ضعفها وإنما على العالم العربي، في فترة مابعد الحكم العثماني .

(١) Seton - Watson, Magh. The Russian Empire P, 298.

(٢) على حسون العثمانيون والبلقان ، ص ٢٤١ .

# الفصل الثالث

## ردود الفعل الأوربيّة على الوجود العثمانى فى أوربّا

١- الرأى الأوربى العام وآراء المؤرخين فى الدّولة العثمانية.

٢- الحملات التشهيرية بالدولة العثمانية.

٣- تضاؤل الوجود العثمانى فى أوربّا.

لقد كان لانتشار الإسلام بعد الفتوحات الإسلامية الأولى الأثر العظيم على نفوس أعدائه من الغربيين ، حيث أعتبروه خطراً يهدد مسيحيتهم ، وأستمر الرعب في نفوس الطيبيين يأخذ طريقه كلما تحقق للدولة الإسلامية إزدهار وتوسع . فما أن كان القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادي حتى شعر أعداء الإسلام بأن الأمجاد الإسلامية وصلت إلى عقر دارهم ، فبدءوا يحقدون على كل من يحمل لواء الإسلام ،وبدءوا كعادتهم يرون أن من واجبهم التصدي للفتح الإسلامي بالكلمة والسلاح على حد سواء . ولأن الدولة العثمانية هي التي كانت تحمل لواء الإسلام وتنشره في جنوب شرق أوربا ، فقد شعرت أوربا – وهي حاقدة – بأن الإسلام خطر عليها وعلى مسيحيتها ، وإن في كلمات الأسقف وليام كاش في كتابه ( النصرانية والإسلام ) أبلغ دليل على ذلك إذ يقول ( إن فرائص أوربا كانت ترتعد عندما يعلن الخليفة التركي الجهاد) ، ولهذا القول وزنه الكبير لاسيما وأن صاحبه من كبار رجال الكنيسة ، وقد استطرد كاش قوله : وينبغي لنا أن نعتبر بتاريخين هما : عام (١١٤هـ/٧٣٢م) عندما هزم شارل مارتل العرب في موقعة بواتيه ( بلاط الشهداء ) وعام (١٠٩٥هـ/١٦٨٣م) عندما رد يوحنا الثالث البولندي الجيوش التركية عن فينا ،وقد أتخذ الأتراك الهلال رمزاً لهم في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي باعتباره رمزاً دينياً وحربياً (١) ، ويذكر الأستاذ ردجواي: "أن الهلال هذا لاعلاقة له بالقمر، بل يمثل نابين من أجل الإنقضاض على الفريسة (أوربا) وهذا يمثل صورة واضحة لسياسة الدولة العثمانية في إخضاع الشعوب الأوربية ،فإذا رسمنا هلالاً على خريطة جغرافية فان أحد طرفيه يبدأ من جبال البرنس ويمر إنحناؤه عبر

---

(١) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، جـ ٥ ،ص ٦٤٦ – ٦٤٧ .

أسبانيا فشمالي إفريقيا فمصر وفلسطين وسورية والبسفور ، والطرف الآخر فى فينا ، إذاً لاستطعنا أن نرسم في أذهاننا صورةواضحة للمعنى المتمثل في المطامع الإسلامية ، وبذلك يكون ، أحد طرفي الهلال فيأسبانيا والآخر في النمسا ، ولقد عملت الجيوش الإسلامية لبلوغ ذلك اليوم الذي تلتقي فيه النقطتان في قلب أوربا" (١)

ومهما يكن في هذا التمثيل من البعد عن الحقيقة ، الا أنه يعطى صورة واضحة عن الشعور الأوربي العام تجاه العالم الإسلامي ، وامتداد الدولة العثمانية ممثلة الإسلام نحو أوربا ، وفي ذلك بيان لشعور الهلع والذعر والخوف الذي عاشته أوربا طوال تلك السنين ، كما أنه مما لاشك فيه أن الشعور الأوربي الديني كان عنيفاً ضد المسلمين ، والتعصب الديني لعب دوراً كبيراً في حركة تشويه الإسلام وسمعة العرب ، والتعمية على حضارتهم ، ومما لايتطرق إليه شك في أن الصهيونية والإستعمار تضافرت جهودهما مع التعصب الديني ، وبذلك تحزبت تلك القوى ضد العالم الإسلامي وأنبشت مخالبها فيه ، ولاتزال تعمل من أجل السيطرة والتآمر عليه بشتى الطرق والوسائل للوصول إلى أغراضها •

كذلك نرى أن الأوربيين نظروا للفتوحات العثمانية في أوربا على أنها فتوح إسلامية ، وتعمق ذلك الشعور في أذهانهم ، أن أي نصر عسكري تحققه الدولة العثمانية يمثل نصراً للإسلام وهزيمة للنصرانية فباسم الإسلام فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية عام ( ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م ) وأتخذها عاصمة بعد أن استبدل أسمها ( باسلام بول ) وأخذ بتنفيذ المشروعات الخاصة بالمدينة ، وكذلك باسم الإسلام أخذ يخطط وينظم للاستيلاء على روما مقر البابوية ، وبالفعل نزلت القوات العثمانية

(١) فيليب حتى ، موجز تاريخ الشرق الأدني ، ص ٢٣١ •

في أوترانتوا في مملكة نابولي عام ( ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م ) (١) وأسرت إحدى عشر ألفاً من سكانها، وأعتزم السلطان اتخاذها قاعدة للإنطلاق في شبه جزيرة إيطاليا ، للوصول الى روما ولكن المنية عاجلته قبل تنفيذ ذلك الحلم الرائع ، وبذلك تنفست أوربا الصعداء ، حين علمت بوفاته ، فأمر البابا أن تقام صلاة الشكر ثلاثة أيام (٢) .

أوغلت الجيوش الإسلامية العثمانية في أوربا حتى بلغت مشارف فينا ، وتصاعد العداء بين أوربا المسيحية والعثمانيين حكام الدولة الإسلامية ، فلم يكن عجيباً أن الأجيال المتعاقبة من الأوربيين الذين عاصروا الدولة العثمانية على امتداد تاريخها قد ربطت بين الإسلام والدولة العثمانية ، ورسخ في أذهان الأوربيين أنها الرمز الحي للإسلام، لذلك عندما كان أحد الأوربيين المسيحيين يعتنق الإسلام فلا يقول عنه الأوربيون أنه أصبح عثمانياً بل يقال عنه أنه أصبح مسلماً (٣) .

وهكذا أرتبطت الدولة العثمانية بالإسلام وأرتبط بها أرتباطاً وثيقاً ، وتصاعد العداء والحقد والكراهية بين الحكومات الأوربية ضد الدولة العثمانية حاملة لواء الإسلام .

لذلك فقد استيقظت الشعوب الأوربية لتجد نفسها لأول مرة تخضع لحاكم مسلم ،وعملت جاهدة لتصفية هذا الوجود الإسلامي العثماني في أراضيها وأسهمت معها دول أوربية أخرى ، لم يصل اليها الحكم الإسلامي ،جمع بينهم هدف واحد وغاية واحدة هي الإنتصار للمسيحية والقضاء على الإسلام، وتوزيع

---

(١) Bernard Lewis., The Emergence of Modern Turkey, P, 13.

(٢) Ibid., P, 13 .

(٣) Ibid., P, 13 .

ممتلكات الدولة العثمانية فيما بينهم ، وإنهاك قواها وتشتيت تركيزها في جهات شتى ، وذلك بتحريض رعاياها على الثورة في مقاطعاتها المختلفة ، وإمدادهم بالأسلحة والمال لأجل ذلك ، والفتك برعايا الدولة المسلمين ، وتعدهم بالتعويض فيما لو فشلت هذه الثورات ولم تحقق أغراضها .

تلك كانت مقدمة عن الإنطباع الأوربي العام عن الدولة العثمانية التي فتحت في أوربا باسم الإسلام ،وعملت على نشره ، وسنرى بعد ذلك في الصفحات التالية ، آراء المؤرخين الأوربيين في الدولة العثمانية ، وهم في هذا الموضوع ينقسمون إلى فئتين : الفئة الأولى وهي التي كتبت عن تقدم العثمانيين إلى أوربا ، وفتوحاتهم وانتصاراتهم ،وأسندت ذلك عن قصد إلى البطش والقوة والقهر والجوع ، أما الفئة الثانية فهي معتدلة وذكرت مايجب ذكره تجاه الدولة العثمانية ولو على مضض .

من أمثلة الفئة الأولى ماذكره هربرت فشر عن تقدم العثمانيين نحو أوربا حيث أورد : أن العالم الأوربي في تلك الفترة لم يكن قادراً على توحيد جهوده وصفوفه ، فقد ساده التفكك والإنقسام والنزاع والخصومة الشديدة بين الكنيستين الشرقية والغربية ، كل ذلك مكن العثمانيين من تثبيت أقدامهم وتوسيع رقعة بلادهم ، وتقدم فتوحاتهم باتجاه أوربا (١) .

والمؤرخ الآخر هو ربنسون الذى يؤيدقول زميله السابق، فيقول أن دول البلقان ذات التكوين الضعيف لم تستطيع الوقوف ضد قوة العثمانيين وبذلك أنتصر الأتراك في أرض المعركة ولم تصمد أمامهم تلك الدول (٢) ،كما

---

(١) هربرت فشر ، أصول التاريخ الأوربي ، ص ٣٧٤ .
(٢) Robinson, Op, Cit., PP, 100 - 101 .

ذكر بروكلمان أن وضع البلقان والنزاع المتوصل بين صغار الأمراء وتنازعهم على السلطة أدى إلى أن يتوجه السلطان مراد بن أورخان إلى البلقان، ويشن هجوماً على أولئك الأمراء ويتمكن من تحقيق الإنتصار عليهم (١) .

وهذا مؤلف آخر يحاول أن يصف العثمانيين بعدم تقدير الحضارة والإهتمام بها ، فيذكر أن العثمانيين لم يقيموا للحضارة الأوربية وزناً ولم يدركوا قيمتها حيث عاش العثماني غريباً في أوربا ، ليس له نصيب من عاداتها وتقاليدها ، ولاتتعدى نظرته إلى البشرية الاّ أنها لاتصلح الا للإسترقاق والعبودية والتبعية (٢) .

وهذه مؤلفة أخرى هي ماري ملزباتريك تصف الجيش الإنكشاري بأنه جيش الأرقاء لخدمة السلاطين وحمايتهم (٣) .

وهذا آخر يحاول التقليل من أهمية الفتوحات العثمانية في أوربا ويبرر الهزائم التي لحقت بهم في أوربا الي انهيار البنيان الإجتماعي حيث كان الفلاح يئن تحت الضرائب البيزنطية ، والصراع الكنسي الرهيب (٤) .

ولم تخل كتابات مؤرخي أوربا من التهكم والسخرية من طريقة الحياة ، والمعيشة العثمانية فيصف فشر البيت العثماني بأن الزائر الأوربي

---

(١) كارل بروكلمان ، الأتراك العثمانيون وحضارتهم ، ج ٣ ، ص ٢٣ .
(٢) فشر ، تاريخ أوربا في العصور الوسطي ، القسم الثاني ، ص ٤٦١ .
(٣) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٣ ؛ فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدني ، ص ٢٣١ .
(٤) Norman Itzkowitz, Op, Cit., P, 13 .

إذا رأى البيت العثماني خيل إليه كأنه رأى بيتاً مهجوراً من البيوت الملحقة بقصور الأغنياء في ريف إنجلترا، وكأن جماعة من المسافرين عثروا في طريقهم على هذا البيت فألفوه خالياً إلا من تراب الإهمال فأخذوا في تهيئته للإقامة به بضعة أيام (١).

ويستطرد فشر في وصفه للعثمانيين حيث يقول : إن خلقهم أمتاز بشيء غير قليل من الهيبة الممتزجة بوقار الطلعة وبأن تفكيرهم لايتعدى لزوميات الحكم الإمبراطوري مبادئ الأوليجاركية الإستئثارية، وهي المبادئ التي تعتمد على الرقيق وتنظر إلى البشرية المحيطة بها كأنها لاتصلح إلا للإسترقاق والعبودية (٢)، وجاء هذا الرأى متفقاً مع رأى المؤرخ الإنجليزى آرنولد توينبي حيث قال : " إن طاقاتهم الرعوية انتقلت نقلة فجائية من رعاة لقطعان إلى حكام إمبراطورية ومثل كل البشر فان الحلول التي استعانوا بها لمواجهة المشكلات التي استجدت عليهم كانت متأثرة بتجاربهم السابقة، فمازال عالقاً بتفكيرهم أنهم رعاة وكل مافي الأمر أن قطعانهم لم تعد من الماشية بل من البشر ولكي تظل هذه القطعان البشرية تحت سيطرتهم فقد أنتقوا ودربوا كلاباً ( الإنكشارية ) لحراستها وصادفوا متاعب أشد في تربيتها وتدريبها عن تلك التي صادفها أسلافهم الرعاة" (٣).

وهذا فشر أيضاً في وصفه للشخص التركي يذكر أنه كسولاً خاملاً، صلفاً غبياً، لايصلح للعمل في الصناعة والتجارة، لذلك رضي للمسيحيين بممارسة العمل في تلك المهن، وكان لايملك الثقافة الخاصة به فعاش

---

(١) فشر، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، القسم الثاني، ص ٣٦٠.

(٢) نفس المصدر السابق، القسم الثاني، ص ٤٦١.

(٣) Toynbee. A Study of History, The Osmanils, Part 3, P, 22 .

اليونانيون والبلغار والصرب تحت حكم عثماني متراخ غير منظم يمارسون شعائرهم الدينية ويحتفظون بعاداتهم ، وقد ميز الحكم العثماني في أوربا طغيانه وتساهله ، حيث أبدى الأتراك إهمالاً وعدم مبالاة بل واحتقار للمنازعات القائمة بين الكنائس المسيحية (١) •

وعن فتح العثمانيين للقسطنطينية ذكر عدد من مؤرخي الغرب ذلك الفتح وأفرغوا ما تكنه صدورهم من الكراهية والحقد ضد السلطان محمد الفاتح فعند فتحه للقسطنطينية عام ( ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م ) عمد فريق ممن كانوا محاصرين فيها إلى تسجيل وقائع الحصار وما أعقبه من دخول السلطان والجيش الى المدينة ، وأفعالهم فيها، في مقدمتهم (جورج فرانتزس) صديق الإمبراطور قسطنطين وأمين وصاحب مشورته وقد أسروا أهله بعد الفتح ثم أطلق سراحه بعد ذلك ، فاتجه إلى المورة ومنها إلى إيطاليا ، وكتب كتابه في تاريخ الدولة البيزنطية من (١٢٥٨ – ١٤٧٦م) وأورد فيه ما شهده من أحداث بنفسه لاسيما فتح القسطنطينية، وقد ضمن كتابه هذا أحقاده على العثمانيين وعلى رأسهم السلطان محمد الفاتح فتقول ما تقول على ما أملاه عليه حقده وتعصبه (٢) •

وهذا الكاردينال أيسدور الذي بعثه البابا للقسطنطينية لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية كان أول ما فعله بعد خروجه من القسطنطينية إلى إيطاليا أن استنفر الدول النصرانية إلى حرب العثمانيين وصب جام غضبه على السلطان محمد الفاتح ، وقال عنه أنه عبدالشيطان وابن أبليس ،ومثل

---

(١) فشر ، في أصول التاريخ الأوربي ، ص ٣٧٣ – ٣٧٤ •

(٢) سالم الرشيدي ، محمد الفاتح ، ص ١١ – ١٢ •

تلك الروح المتعصبة نجدها عند الكثير من موءرخي أوربا ، أمثال جيبون ، وبيوري،وهمر ، الذين أعترفوا أنفسهم بتعصيب موءرخي الغرب ولم يسلموا هم من ذلك التعصب (١) •

عمل كثير من موءرخي الغرب على إلصاق الكثير من الأعمال السيئة والتي لاتستقيم مع الدين الإسلامي ومع سلاطين آل عثمان كمسلمين كقول أحد موءرخي أوربا ( ثو ) حيث يورد أن السلطان محمد الفاتح لم يستطيع التخلص من تأثير الصدر الأعظم ، ولكنه أستطاع أن يمنع الخطر الملحوظ عليه من أخيه الأصغر، فقتله وهذا الأمر أصبح سنة لمن جاء بعده من السلاطين لسلامة الدولة والمحافظة عليها من النزاعات على الملك، (٢) يوءيد رأيه ذلك موءرخ آخر هو برنارد لويس ، حيث يقول:إن (٣) الأمراء الصغار بعد سن البلوغ يبعثون لحكم المقاطعات في الأناضول ، ثم بعد ظهور كفاءتهم يختار منهم ولياً للعهد، ولتجنب الصراع على تولية الحكم أتخذ العثمانيون ماعرف بنظام قتل الإخوة وكانت هذه القاعدة معمولاً بها منذ القدم، حيث أشار إليها الإمبراطور يوحنا السادس كقاعدة مقررة بتأييد دستوري من السلطان محمد الثاني وبتسجيلها في القوانين الأساسيةللدولة العثمانية (٤) •

لم يصدر مثل هذا القانون من السلطان محمد الفاتح ولا غيره من السلاطين العثمانيين ، فليس في الإسلام قانوناً يخول قتل الإخو ة بعضهم بعضاً حيث أورد ذلك على همت الآقسكي وهو ممن كان يعمل بالقضاء، وأكد أن ذلك لم يصدر عن السلطان محمد الفاتح أو غيره من السلاطين (٥) •

---

(١) سالم الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ١٢ — ١٤ •

(٢) Stanford, Op, Cit., P, 56 .

(٣) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ٦٩ •

(٤) Lewis Bernard, Istanbul, PP, 33 - 34.

(٥) على همت الآقسكي ،العاهل العثماني أبوالفتح السلطان محمدالثاني،ص ٩٩•

وهذا رأي مؤرخة أوربية في السلطان محمدالثاني حيث أوردت بأنه من أغرب الشخصيات في التاريخ ، فهو بطبيعته شرقي ،مستبد لايعرف شيئاً عن الروح الديمقراطية ، ورجل هذه أهواءه الشخصية لايطمئن الإنسان على رأسه إذا عاشره أو اشتغل معه فهو بكلمة واحدة قد يقطع الأعناق .. ثم تعود لتناقض نفسها فتقول وهو من ناحية أخرى رجل متعلم حريص ، بل والأدهى من هذا أنه كان له نفسية الشاعر ويعترف بأهمية العلوم والتربية (١) .

يحاول برنارد لويس أن يثير الحقد بين المسلمين بعضهم البعض فيذكر " ان حروب سليم الأول ضد جيرانه المسلمين بعد نصف قرن وضم الأراضي العربية في آسيا وأفريقيا إلى الامبراطورية العثمانية قد قوى ذلك التقليد الإمبراطوري الإسلامي " (٢) .

وحقيقة الأمر أن التقدم العثماني نحو المشرق العربي زمن السلطان سليم الأول في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي له عوامله وأسبابه المباشرة وغير المباشرة والتي أهمها الخطر الشيعي من ناحية الشرق ( الدولة الصفوية الشيعية في فارس ) ثم ضعف الدولة المملوكية عن مقاومة الغزو البرتغالي القادم من الجنوب والمستهدف الأمة الإسلامية ، والأماكن المقدسة واتحادها مع الشيعة ضد الدولة العثمانية السنية حيث لم تستهدف الدولة العثمانية من ضم البلاد العربية الإستعمار .

ويصف فيليب حتي ، نظام الحكم العثماني فيقول : إن نظام

---

(١) ماري ملزباتريك ، سلاطين آل عثمان ، ص ٢٤ .

(٢) برنارد لويس ، اسطنبول ، ص ٦٩ .

الحكم الإمبراطوري ، أخذ يتضح شيئاً فشيئاً حيث كان هذا النظام في جوهره ، بدأه سلطان من صلب عثمان ، فحسب هذا النظام كانت سلطة الدولة تنحصر في جماعة عسكرية تعرف بأصحاب السيف ، وتشمل الوزراء وحكام الولايات وقواد الجيش وضباطه ، ومهما بلغت رتبة الموظف في الحكومة ومهما سمت رتبته ، فإنه كان يظل عبداً تحت رحمة سيده السلطان وفي مقدوره أن يقتله ساعة مايشاء ، هذا عدا حق المصادرة التي كان يمارسها السلطان، وكان المجتمع الإنساني في هذه الأمبراطورية يتألف من مزيج من أديان ، ولغات وأعراق بشرية مختلفة ، مسلمين وأروام وأكراد وعرب ، وأرمن وسلاف ونصارى ويهود يربطهم جميعاً رباط غير طبيعي رباط السيف الذي كان يسلطه على أعناقهم الخلفاء العثمانيون (١) .

إن ما أورده آنفاً المؤرخ فيليب حتي ،أملاه عليه حقده وكراهيته للإسلام ، إذ لو صح ماذكره من تسلط الحكم وغلبة السيف وقهر أهالي البلاد المفتوحة لو صح أنها فتحت بالسيف لما بقى أحد منهم على دينه ولا كره الجميع ممن ذكرهم بالسيف على الدخول في الإسلام ،ولكن يترفع الإسلام عن ذلك القهر والظلم فقد ترك الحرية لكل من أراد أن يدخل في الإسلام أو أن يبقى على دينه .

واصل مؤرخو الغرب صب جام حقدهم على الدولة العثمانية ،فبدأوا يطلقوا عليها المسميات التي تنتقص منها ويشهرون بها ومن تلك الألقاب ، ماحدث في العصر الحديث عندما أطلق قيصر روسيا نيقولا الأول لقب ( الرجل المريض ) الذي لايرجي شفاؤه (٢) وعملت أوربا جاهدة للقضاء على الدولة

---

(١) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

(٢) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٧ .

العثمانية لاقتسامها وتحقيق مصالحها الإستعمارية .[1]

لقد كانت الدولة العثمانية مصدر رعب وقلق للعالم الأوربي نتيجة لما تمتعت به من القوة والتقدم الحربي والثقل السياسي خلال القرنين التاسع ، والعاشر الهجري ، الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وأصبحت دولة قوية يحسب لها في أوربا ألف حساب فلا غرو إن حسدها الحاسدون وتحزب ضدها المفرضون ، وحقد عليها الحاقدون .

أما الفئة الثانية والتي أبدت إعجابها بالدولة العثمانية ولو على مضض ، وأن لم يخل ذلك من الحسد فمنها ريتشارد نولز مؤرخ عصر اليزبث ملكة إنجلترا ( ١٥٥٨ – ١٦٠٣م ) حيث وصف الشعور الأوربي العام تجاه الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية ضد أوربا فكتب هذه العبارة معبرة عن إعجاب مشوب بالحقد ضد الدولة العثمانية ( إن الإمبراطورية العثمانية هي مصدر الرعب في العالم )[2].

وهذا توماس أرنولد في مؤلفه ( الدعوة إلى الإسلام ) يبدي رأيه في السماحة الدينية التي تمتع بها رعايا الدولة العثمانية من غير المسلمين فيقول .. حيث سارع الكثيرون من الإغريق والذين كانوا تابعين للدولة العثمانية في الولايات الأوربية سارعوا إلى الدخول في الإسلام ، وأعتبروا العثمانيين مخلصين لهم ، وأفضل من بني جلدتهم بخاصة الذين قد عانوا الكثير من الإضطهاد على أيديهم .[3]

---

(١) فيليب حتي ، موجز تاريخ الشرق الأدني ، ص ٢٤٠ .
(٢) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ،ص ١٥ .
(٣) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ١٧٢ .

وهذا مؤلف آخر يعترف بما حققه الإسلام للفلاحين في أوربا من العدل والأمن ، فيذكر رفلا لويس أن الفلاحين في ظل النظام الكنسي يعانون الكثير في جمع الضرائب ولكن عندما عرفوا النظام الإسلامي في الأموال وجدوا أن أخذ الجزية من غير المسلمين ، هو أرحم بكثير من نظام سادتهم السابقين ، وأن السماحة الدينية لدى العثمانيين أقوى ففضلوا نظام الإسلام في أخذ الجزية والضرائب على النظام البيزنطي الجائر كما تعرفوا على العدل الذي جاء به أولئك الفاتحون (١) ٠

كما يود فيشر أن الخليفة العثماني أمتاز في نظر الأوربيين بشيء غيرقليل من الهيبة والوقار، وهي صفات حمدها الأوربيون الذين خبروا العثمانيين عن كثب كما حمدوا ما اتصفت به الجيوش العثمانية من القصد في المأكل والمشرب والسرعة (٢) ٠

وهذا مؤرخ آخر يشيد بالمعاملة الحسنة التي أتبعتها الدولة العثمانية تجاه رعاياها ، وحتى تجاه الأجانب الذين كانوا يعيشون في ظل الدولة العثمانية ، إما كتجار أو زائرين ، فقد كان هؤلاء الأجانب يعيشون في الدولة ، وفق شروط خاصة ومعينة ، وقد حافظت الدولة على حقوقهم وكان لهم حق التجول في البلاد الإسلامية كزوار ، إذا لم يكن في ذلك ضرر بالمسلمين (٣) ٠

كما يذكر المؤرخ خالقو فوندبل عن حكم السلطان أورخان

---

(١) Raphael a Lewis. Everday Life In Ottman Turkey. PP, 180-182.

(٢) فيشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى ، القسم الثاني ،ص ٤٦١ ؛

(٣) Cohun, L'Introduction, a Ihistore de I'Asie, P,60.
Stanford Show, Op, Cit., P, 163.

فذكر " أن السلطان أورخان كان حليماً على الفقراء وأرباب الصناعة والعسكر وأنه تعامل مع النصارى أيضاً بالحلم حتى يجلبهم إليه "[(١)].

وهذا مؤرخ أوربي يشيد بأخلاق السلطان محمد الفاتح فيذكر أن سياسته كانت تتبع المنهج الإسلامي ، ومساعدة الشعب المغلوب على أمره حيث لم يأخذ منهم أملاكهم واكتفى بأخذ الجزية الشرعية نظير ماتقدمه الدولة من حماية لمن لم يسلم منهم[(٢)].

ويصف فولتير الفرنسي الشهير موقف المنتصر المسلم من المهزوم المسيحي بقوله : إن الأتراك لم يسيئوا معاملة المسيحيين كما نعتقد نحن، والذي يجب ملاحظته أن أمة من الأمم المسيحية لاتسمح أن يكون للمسلمين مسجد في بلادهم بخلاف الأتراك فإنهم سمحوا لليونانيين المقهورين بأن تكون لهم كنائسهم .. ومما يدل على أن السلطان محمد الفاتح كان عاقلاً حليماً تركه للنصارى المقهورين الحرية الدينية في انتخاب البطريق، ولما انتخبوه ثبته السلطان وسلمه عصا البطارقة وألبسه الخاتم حتى صرح ذلك البطريق عند ذلك بقوله : إني خجل مما لاقيته من التبجيل والحفاوة الأمر الذي لم يعمله النصارى مع أسلافي[(٣)].

ويذكر أيضاً عن السلطان سليمان القانوني أنه لم يكن هناك من السلاطين العثمانيين من هو مثله حيث حصل على العرش دون نزاع أو خلاف

---

(١) أحمد رفيق بيوك ، تاريخ عمومي ، المجلد ٦ ، ص ٣٤٢ .

(٢) Stanford Show , Op, Cit.,P, 87 .

(٣) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج ٥ ،ص ٦٥٥ .

داخلي ، فقد ترك له والده ملكاً واسعاً ، ودولة بعيدة عن النزاع السياسي في الشرق والغرب ،ففي الشرق زال حكم المماليك كما سكن الصفويون الشيعة،كما أنه ورث أسطولاً بحرياً قوياً تحدى به أعداءه براً وبحراً، وورث خلافة المسلمين عن والده سليم الأول ، ونال شرفاً وكرامة في أنظار العالم الإسلامي نظراً لفتوحاته في أوربا باسم الإسلام ، وكان له مصادر إقتصادية في مختلف أنحاء مملكته ، ولقب ( بالعظيم ) و ( القانوني ) لما وضعه من قوانين وأنظمة للدولة ،وترك شهرة فاقت جميع السلاطين من العثمانيين وقاد الجيوش للفتح في أكثر من ثلاث عشر غزوة ووصل في فتوحاته إلى أسوار فينا، كما أنفق عشر سنوات في ميدان الحرب ،من أجل نشر الإسلام ، وترك ملكاً كبيراً لمن جاء بعده.(١)

وقد طاب للمراقبين والسياسيين في غرب أوربا في القرن السادس عشر أن يتحدثوا عن شيخ الإسلام فوصفوه بأنه يشبه ( كاردينالاً عظيماً) وأن مركزه يفوق مركز البابا ، وقد ربطوا بذلك بين مركز شيخ الإسلام في اسطنبول والمركز الدولي الذي تتمتع به الدولة العثمانية بين دول العالم كقوة لايستهان بها ، وهذا أحد الباحثين الأنجليزوهو ريكوت سيربول (Ricaut, Sir, Paul)(٢) يتحدث عن شيخ الإسلام وعلو شأنه واتساع إختصاصاته وأهتمام السلطان العثماني باسترضائه وتنفيذ مايشير به عليه ، فأورد أن شيخ الإسلام هو الرئيس الفعلي للهيئة الإسلامية وهو المرجع الذي يرجع إليه في المسائل المختلف عليها من ناحية مدى مطابقتها لأحكام الشريعة الإسلامية(٣) ويذكر أن شيخ الإسلام يتمتع باحترام وتقدير من

---

(١) Stanford Show ., P, 87 .

(٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،ج ١، ص ٤١٦.

(٣) عبد الكريم رفيق ، العرب والعثمانيون ،ص ٥٢ .

السلطان العثماني ، وجميع العثمانيين ويقوم السلطان بتعيينه ، ويكون ضليعاً في علوم الشريعة الإسلامية وأصول الدين ، كما يكون معروفاً بفضائله مشهوراً باستقامته وسلوكه الحسن وإذا أصدر شيخ الإسلام أمراً أو بياناً [١] فلا يعترض السلطان على ذلك ، كذلك يطلب السلطان رأى شيخ الإسلام عند إعلان الحرب أو عقد صلح [٢] .

---

(١) عبدالكريم رفيق ، العرب والعثمانيون ، ص ٥٢ .

(٢) عبد العزيز الشناوى ،الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،ج١، ص ٤١٨ – ٤١٩ .

أما عن الحملات التشهيرية ضد الدولة العثمانية فقد عملت الدول الأوربية وروسيا من أجل تحطيم الدولة العثمانية والقضاء عليها بشتى الطرق الممكنة، وغير الممكنة، المشروعة وغير المشروعة من التآمر والحروب والتحريض وإثارة الفتن والإضطرابات في الولايات التي كانت تحت سلطانها ، فعملت على تحريضها على الثورة ، وإمدادها بما يلزم من الأموال ،والأسلحة ، والعتاد ، وتشتيت جهود الدولة في جبهات متعددة حتى تجهز عليها وتصل إلى مبتغاها ومرادها الا وهو القضاء عليهاوتقسيم ممتلكاتها فيما بين الدول الأوربية ، فتقضي بذلك على تقدم الإسلام نحو أوربا.

لم تكتف هذه الدول الأوربية بما قامت به ضد الدولة العثمانية ، من ممارسات عسكرية ، وإثارة الفتن في المناطق الخاضعة لحكم الدولة العثمانية بل أخذت تطلق الشائعات هنا وهناك للتشهير بها والتقليل من أهميتها وقوتها بهدف إضعافها ، فبدأت تطلق عليها المسميات اللاذعة مثل الرجل المريض الذي لايرجى شفاؤه، ومحاولة خلق فجوة بينها وبين الدول العربية الخاضعة لها بالقول بأن الدولة العثمانية عملت على عزلها عن العالم الخارجي ، والإتصال بالحضارة الأوربية ، كل ذلك من أجل التمهيد للإجهاز على الدولة حاملة لواء الإسلام الذي حمله رجال مخلصون من حكام الدولة العثمانية .

من هذه الحملات ماقيل أن السلطان سليم الأول بعد ضمه لمصر عام ( ٩٢٣هـ / ١٥١٧م ) أمر بترحيل أفواج كثيرة من صفوة علماء الفقه الإسلامي وأصوله، والصناع بحيث أفقد مصر أكثر من خمسين صنعة.(١)

(١) الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج ١ ،ص ٦٤ — ٦٥ .

إن هذه الثروة البشرية وترحيلها واقعة صحيحة أوردها ابن إياس[1] وكثير من المؤرخين وفي ذلك يقول : ( وفيه (أي عام ٩٢٧ هـ) قدم جماعة من إسطنبول ممن كان هناك من أهل مصر، وأشيع أن السلطان سليمان نادى في اسطنبول بأن جميع الأسرى من أهل مصر يرجعون إلى بلادهم ، وكل من تأخر شنق ... وفي رمضان سنة ٩٢٧ هـ أشيع أن السلطان سليمان نصره الله تعالى ، أعتق جميع الأسرى الذين كانوا باسطنبول من أهل مصر ولم يبق بها سوى أولاد السلاطين ..)[2]

إن هؤلاء الصناع وأرباب المهن والعلماء والموظفين ممن سبق أن رحلوا إلى إسطنبول إبان سيطرة السلطان سليم الأول لمصر عام ( ٩٢٣ هـ / ١٥١٧م ) لم يطل بهم المقام في إسطنبول كما ذكر ابن إياس حيث مكثوا باسطنبول ثلاث سنوات ، ثم أعيدوا إلى مصر في عهد السلطان سليمان القانوني عام ( ٩٢٧ هـ / ١٥٢٠ م ) وإن الثلاث سنوات لم تكن بالمدة الطويلة التي تشل حركة التقدم والتطور في أي بلد من البلدان ، وإن مثل هذا يحصل في كثير من الدول التي في طور التقدم حيث تستقدم الخبرة الأجنبية والأيدي المدربة للإستفادة منها في شتى الميادين من خبراء وفنيين ومهندسين إلى غير ذلك مما تحتاجه الدولة من خبرات ، ثم بعد أن يحدث الإكتفاء لدى الدولة المستقدمة لهؤلاء الخبراء يعودون إلى بلادهم ، فحرمان البلاد العربية من عمالها المهرة والقول بنقل أعداد منهم ، ماهي الا حملة تشهيرية بالدولة العثمانية أوردها المؤرخون الغربيون ليوغروا القلوب العربية في مصر والبلاد العربية وغيرها من

---

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج ٥ ، ص ٣٩٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٣٩٧ .

الأقاليم الخاضعة للدولة العثمانية ، وبذلك تحقق الدول الأوربية أغراضها .

أما الحملة الثانية التي أراد الأوربيون شنها ضد الدولة العثمانية فهي الإدعاء بأنها عملت على عزلة البلاد العربية التي دانت لحكمها ، وإن الأحداث الدولية التي سبقت الفتح العثماني ولحقته كفيلة بالرد على هذا الافتراء .

الدولة العثمانية ضمت بلاد الشام عام (٩٢٢ هـ / ١٥١٦م) بعد الإنتصار على المماليك في مرج دابق ، ثم سيطرت على مصر بعد إحراز النصر على طومان باي فى الريدانية عام ( ٩٢٣هـ/١٥١٧م ) (١) ، وفي نفس العام دخل الحجاز دخولاً سلمياً تحت الحكم العثماني ، ونهج هذا النهج أمراء المماليك الذين كانوا يسيطرون علي اليمن (٢) ،وسيطر العثمانيون على اليمن سيطرة تامة عام ( ٩٤٥ هـ / ١٥١٩ م ) (٣) .

وهكذا دخلت خلال عام وبعض عام أربعة أقاليم عربية تحت السيادة العثمانية ، وظهرت الدولة العثمانية لأول مرة دولة من دول البحر الأحمر (٤) . قبل دخول هذه الأقاليم الإسلامية السالفة الذكر تحت الحكم العثماني وقبل أن تصبح الدولة العثمانية من دول البحر الأحمر بدأ الغزو البرتغالي تحت ستار الكشوف الجغرافية ، وكانت تحملهم سفن مسلحة ،وتمكن

---

(١) الشيخ عبدالواسع بن يحيى اليماني ، تاريخ اليمن ، ص ٢١٧ .
(٢) إبن زنبل ، واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني،مخطوط رقم ٤٨، ص ١٤١ .
(٣) نفس المخطوط السابق ، رقم ٤٨ ، ص ١٤١ .
(٤) أحمدعبدالرحيم مصطفى ،في أصول التاريخ العثماني ،ص ٩٨ ـ ٩٩ .

البرتغاليون من السيطرة على الهند وساحلها الغربي سنة ( ٩٠٤ هـ /١٤٩٨م ) قبل وصول العثمانيين لتلك البلاد، وكان شعار هوءلاء المسيحيين الطيب أو المدفع (١) .

كان من أهداف البرتغاليين السيطرة على الهند،وشرق الجزيرة العربية وجنوبها ، والأقاليم المطلة على البحر الأحمر، والساحل الشرقي لإفريقية المطل على المحيط الهندي وجنوب شرق آسيا،وتطور الهدف البرتغالي إلى تكوين مراكز تجارية مسلحة، في احتكار تجارة الشرق وقد تمكنوا من إغلاق الطريقين التجاريين القديمين (٢) : أولهما طريق الخليج العربي والعراق ثم الشام ، أما الثاني عبر البحر الأحمر عن طريق السفن التي تتجه إلى السويس ثم تنقل البضائع على ظهور الإبل إلى القاهرة ومنها إلى الإسكندرية ورشيد ودمياط (٣) .

لذلك قررت الدولة العثمانية وضع خطة لحماية الولايات العربية الخاضعة لها ، وتتمثل هذه الخطة في اتخاذ عدن بوابة البحر الأحمر خط دفاع ، وقاعدة عسكرية لضرب المراكز البرتغالية في شرق الجزيرة العربية وللسيطرة على البحر الأحمر،زاد نشاط الترسانة البحرية في السويس في بناء السفن الحربية الجديدة بناءاً لأوامر السلطان سليمان القانوني حيث بعث بحملات بحرية (٤) منظمة من ميناء السويس إلى الخليج العربي لمواجهة الخطر

---

(١) على حسون ،تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٢ – ٦٣ .
(٢) Stanford Show, P, 83.
(٣) على حسون ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ٦٢ – ٦٣ ؛ محمد مصطفى صفوت ، إنجلترا وقناة السويس ، ١٨٥٤ – ١٩٥٦ م ، ص ٣ .
(٤) دائرة المعارف مادة ببرس ريس ؛ Subhi Labib, The era of Suleyman the Magnificent, P, 435 .

البرتغالي وسار على نهجه السلاطين العثمانيون حتى عام ( ٩٨٩هـ/١٥٥٨م)(١) وتنفيذاً لمخطط الدولة العثمانية العسكرية قررت الدولة كإجراء أمني داخلي وخارجي إغلاق البحر الأحمر في وجه السفن البرتغالية(٢)،وعمم هذا القرار على جميع السفن المسيحية ، فكان لايسمح لها بالإبحار في البحر الأحمر فيما وراء ثغر مخا جنوب ثغر الحديدة اليمني فتفرغ شحنتها ، ثم يعاد شحنها مرة أخرى على سفن إسلامية تجوب أنحاء البحر الأحمر وتتردد على موانيه(٣) .

ويكمن السبب وراء هذا المنع للسفن المسيحية هو وجود الأماكن المقدسة في الحجاز الذي يطل ساحله على البحر الأحمر ، وقد ظلت الدولة العثمانية حريصة على هذا المبدأ في إغلاق البحر الأحمر حتى القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي لتوفير الأمن والأمان للحرمين الشريفيين(٤) .

لو نظرنا إلى عزلة البلاد العربية نظرة واقعية لوجدنا أن الدولةالعثمانية كانت تحاول الإحتكاك بالعالم الخارجي عن طريق عقد المعاهدات التجارية التي أبرمتها مع الدول الأوربية لتنشيط الحركة التجارية والتبادل فيما بينها وبين الدول الأوربية ومن ذلك ماقام به السلطان محمد الفاتح بعد استيلائه على القسطنطينية عام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م )

---

(١) اسماعيل سرهنك ، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج ١ ،ص ٥٤٩ — ٥٥٠؛ تاريخ جودت ، ج ٣ ،ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٢) أحمد عبدالرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص ٩٧ .

(٣) أحمد عزت عبدالكريم وآخرون ،دراسات تاريخية ، ص ١٩١ .

(٤) فريدون بك ، منشآت الملوك والسلاطين ، ص ٢٣٩ .

شجع السلطان التجارة مع المدن الإيطالية ، فقد كانت التجارة في أيـــدي المسلمين حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وكانوا يشكلون أغلب التجار ويتعاملون مع أوربا دون وسطاء ، على الرغم من وجود الذميين الذين كانوا أكثر عدداً فيما يتصل بالتعامل مع دول أوربا وأكثر نشاطاً.(١)

وقد كان تشجيع السلاطين للإمتيازات الأجنبية داخل الدولـة العثمانية يستهدف تنشيط الحركة التجارية،(٢) ومن أمثلة تلك العلاقـات التجارية العلاقة التجارية بين روسيا والدولة العثمانية حيث وصـل إلى الدولة العثمانية أول سفير روسي إلى اسطنبول ( ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢م ) ومعه جملة من الهدايا للسلطان العثماني بايزيد الثاني ، ثم وصـل سفير آخر وعندها بدأت تتحقق المصالح الروسية ، إذ بمسعاه حصلـت روسيا على بعض الإمتيازات التجارية لصالحها.(٣)

وفي أثناء إقامة السلطان سليم الأول في مصر في الثانـي والعشرين من شهر محرم ( ٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م ) عقدت معاهدة بين الدولـة العثمانية وجمهورية البندقية، لتشجيع رعايا هذه الجمهورية علـى القدم إلى الإسكندرية بسفنهم وبضائعهم ومباشرة نشاطهم التجاري فـي جو من الطمأنينة،(٤) وقد كانت الدولةالعثمانية حتى عام(٩٧٧هـ/١٥٦٩ م ) ترتبط تجارياً بالبندقية التي أعطي لها الإمتياز بانتاج النسيـج في مانسيا المركز الوحيد للإنتاج .(٥)

---

(١) أحمد عزت عبدالكريم وآخرون ، دراسات تاريخية ، ص ٢٠٦ .

(٢) أحـمدعبدالرحيم مصطفى ،فى أصول التاريخ العثماني ،ص ١٣٢-١٣٣؛راشد البراوى ومحمدعليش ،التطورالإقتصادى في العصر الحديث،ص ٣٠،٣١.

(٣) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٤) أحمد عزت عبدالكريم ، دراسات تاريخية ، ص ٢٠٧ .

(٥) Norman , The Ottoman Empire , PP, 133 - 134 ؛ راشد البراوي ، التطور الإقتصادي في العصر الحديث ،ص ٣١ .

كذلك أفاد الفرنسيون من معاهدات الإمتيازالتي عقدوها مع السلطان سليمان القانوني ( ٩٤٣ هـ / ١٥٣٥ م ) ومن ذلك الوقت وهم يتاجرون في كثير من أنحاء الدولة العثمانية ووصلوا بتجارتهم إلى الشرق الأدني عن طريق غرفة التجارة بمرسيليا التي كانت تتركز فيها تجارة الشركة التركية والمغرب حيث كانت مرسيليا هي الميناء الذي كان يجري فيه الحجر الصحي على السفن من تلك الأنحاء (١) .

كذلك حصلت فرنسا على امتيازات تجارية آخرى في ١٨ أكتوبر عام (٩٧٨ هـ / ١٥٦٩ م ) وتشمل هذه الإمتيازات السماح بالنقل في كافة أنحاء الدولة ، وحصلت فرنسا بعد ذلك على مباني لها للسفارة في إسطنبول و الإسكندرية، وبيروت، وطرابلس، ولبنان ، وخصصت السفن الفرنسية لنقل الأقمشة من نورمندي إلى فرنسا ونقل القراطيس والمصنوعات المعدنية من ألمانيا وفي طريق العودة يحملون معهم الأقمشة من الصوف والقطن والحرير والعطور والبهارات (٢) .

وفي القرن السابع عشر الميلادي كان لفرنسا مجالاً كبيراً في تجارة الشرق الأدنى،حيث كانت لهاما يقارب من ألف سفينة تجارية وكانت الدول الأوربية الأخرى تتاجر تحت رآية العلم الفرنسي (٣) . وهذا ما أتينا على ذكره في موقف فرنسا من الدولة العثمانية .

كذلك حصلت بريطانيا على امتيازات تجارية داخل الدولة

---

(١) Roger, B. M., Suliman the Magnificent, PP,129-131

(٢) Norman, Op, Cit., P, 137.

(٣) Halil Inalick, Op, Cit., 137 .

العثمانية ففي عام ( ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م ) أعطى العثمانيون إمتيازات جديدة لبريطانيا وعادت العلاقات بين الدولتين مرة ثانية، حيث رأت الدولة العثمانية في ذلك منفعة لها وفي عام ( ٩٨٩ هـ / ١٥٨١ م ) تأسست الشركة بإذن من بريطانيا والحكومة العثمانية وقد خفضت الأسعار للبريطانيين إلى ٣ ٪ رغم أن الفرنسيين والآخريين من الأجانب كانوا يدفعون نسبة ٥ ٪ لذلك كان الهولنديون يتاجرون تحت العلم البريطاني إلى عام ( ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م ) حينما حصلوا هم أيضاً على امتيازات مغيرة (١) .

كان التجار البريطانيين يبيعون الأقمشة من الصوف بأسعار زهيده، ويصدرون الصلب والصفيح إلى الدولة العثمانية ، وقد كانت تلك الأشياء مهمة للدولة العثمانية ، وقد فتحت بريطانيا السفارات في كل من اسطنبول ، وحلب ، والإسكندرية (٢) .

مما سبق تجدر الإشارة إلى أنه لم تكن هناك عزلة بالنسبة للعالم العربي والدول العربية أو إبعادها عن الإتصال بالعالم الخارجي فعندما رأت الدولة العثمانية أن هناك خطراً يتهدد المقدسات الإسلامية نتيجة للغزو البرتغالي لجنوب الجزيرة العربية ، قامت الدولة العثمانية بإغلاق البحر الأحمر كإجراء أمني وقائي للمحافظة على الحرمين الشريفين والمقدسات الإسلامية .

لذلك فان هذه الحملة التشهيرية- حملة عزلة العالم العربي - مردودة كسابقتها، اعتماداً على الأحداث الدولية والمعاهدات والإتفاقيات

---

(١) Norman, Op, Cit., P, 137.

(٢) Ibid, P, 138 .

التي أبرمتها الحكومة العثمانية مع كثير من الدول الأوربية كما أسلفنا.

هذا إذا ما أضفنا أن اكتشاف رأس الرجاء الصالح كان له أثر عميق في كساد الأمور الإقتصادية العابرة عن طريق موانئ شرق البحر المتوسط وبخاصة مصر بصفتها ذات موقع استراتيجي متميز بين ثلاث قارات ، آسيا وأفريقيا وأوربا، لذلك فان ماقامت به الدولة العثمانية من منح الإمتيازات التجارية لفرنسا وماشابهها من الدول الأوربية الأخرى،ما هو إلا إحياء وتنشيط لحركة التجارة التي كانت منتعشة ومزدهرة قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح ، وقيام الدولة العثمانية بهذا العمل يدحض أي افتراء يقول بعزلة الولايات العربية عن العالم لذلك فان هذه الحملة مردودة كسابقتها.

لم تكتف الدول الأوربية بما الحقته بالدولة العثمانية من أضرار جسيمة ، وذلك باقتطاع الكثير من ممتلكاتها والسيطرة عليها بل عملت أيضاً على التشهير بها والنيل منها بشتى الوسائل،كما أشرنا سابقاً ، أما حملات التشهير بالدولة العثمانية فقد استمرت أوربا في انتهاج ذلك المسلك السيء حيث تمكنت بعد ذلك من تحقيق أهدافها الإستعمارية .

لم تكن الحملات التشهيرية السابقة كافية لأوربا لتكف عن الدولة العثمانية ولكننا نراهم في القرن التاسع عشر الميلادي يطلقون عدة مسميات على السلطان العثماني فهو المريض الذي لايرجى شفاؤه ،ورجل أوربا المريض.(١)

---

(١) جاك س. ريسلر ، الحضارة العربية ،ص ٣٧٦.

وكان إطلاق تلك المسميات في البداية على نطاق ضيق في المجال الدبلوماسي المغلق ولكن لم تمض سنوات قليلة حتى أذيعت تلك المسميات في الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي[(١)] لقد انتقلت تلك المسميات إلى الدول الأوربية ووقف عليها الرأي العام البريطاني واتخذت منها مادة للتشهير بالدولة العثمانية وسواء كان هذا التوجيه بإيعاز من الدول الأوربية وحكوماتها، أو جاءت من تفكيرهم السيء وحقدهم فقد كان الهدف الرئيسي منها هو التشهير بالدولة العثمانية متمثلة في السلطان العثماني ، والإعداد المسبق لدى الشعوب الأوربية بأن سقوطها ( الدولة العثمانية ) أصبح وشيكاً"[(٢)] وكان نيقولا الأول قيصر روسيا هو أول من صدرت عنه عبارة الرجل المريض ، نظراً لأطماعه التوسعية في أراضي الدولة العثمانية ، حيث وضع الخطط الكفيلة للإستيلاء على عاصمة الدولة العثمانية إسطنبول وتحويلها إلى عاصمة للأرثوذكسية المسيحية ،[(٣)] ولم يكن ذلك التصريح من قيصر روسيا وصديقه إبردين هو الأول من نوعه فقد سبق وأن أعلن رأياً يتفق مع ذلك التصريح حين قال : ( قيصر روسيا ) عام ( ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م ) ( ليس في استطاعتي أن أبعث الحياة في الموتى، إن الإمبراطورية العثمانية دولة ميتة ليس لدي ثقة في أن يستمر هذا الجسم العجوز محافظاً على الحياة ، إنه في انحلال من جميع النواحي )[(٤)].

واصلت روسيا وقياصرتها التشهير بالدولة العثمانية ، وأنها رجل مريض ، ففي عام ( ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م ) قبل حرب القرم صرح قيصر

---

(١) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ١٠٩ .
(٢) عبدالعزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ،ج ٢،ص ٨٣١.
(٣) محمد على البار ، المسلمون في الإتحاد السوفيتي ، ج ١ ،ص ٤٧ .
(٤) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج ٢ ،ص ٨٣١ .

روسيا في حديث له مع (سيرهاملتون سيمور )، وأقواله هذه تدور حول اعتقاده أن السلطان العثماني مريض للغاية ،وقد يلفظ أنفاسه في أي لحظة لذلك من الخير للسلام العالمي أن يفكر مليا في توزيع ممتلكاته قبل وفاته وكان تقسيمه لهذا الميراث بين روسيا وبريطانيا دون حرب (١)

وقد قصد الروس من ذلك إيجاد أسباب الشقاق لإعلان الحرب بحجة مقبولة لدى الدول ، وقد سافر السفير الروسي من عاصمة روسيا إلى اسطنبول عام ( ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م ) بعد أن اتصل ببريطانيا ووضعوا الخطط المشتركة لتقسيم الدولة العثمانية وعرض الروس على بريطانيا التساهل معهم إذا ساعدوهم ، وذلك باحتلال مصر وكريت ، ولكن السفير البريطاني لم يعط جوابا شافيا، وأجاب القيصر ، بأن الأولى معالجة الرجل المريض وتعهده حتى يتم شفاؤه ليعود إلى سابق قوته ، لأن موته يسبب إهدار الدماء الغزيرة حين القيام بتقسيم تركته (٢) ٠

إن ماقامت به إنجلترا وتحفظها في موقفها مع روسيا ومحافظتها على كيان الدولة العثمانية من الإنهيار لم يكن حباً لها ولا محافظة على ممتلكاتها ، بقدر خشيتها من الإمتداد الروسي وتقدمه في الدولة العثمانية لأن ذلك تهديداً لمصالحها في البحر المتوسط ومستعمراتها في الشرق الأدنى ٠

وقد أقنع الفرنسيون بريطانيا بضرورة مقاومة الخطر الروسي المهدد للمستعمرات الهندية ، وطريق مصر (٣) ٠

---

(١) سليم قبعن ، تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ،ج ١ ،ص ١٨ ٠

(٢) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ١٠٩ ٠

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٠٩ ٠

عندما أدرك الروس عدم إصغاء بريطانيا لمطالبهم المحـــوا للفرنسيين بالتساهل إزاء فلسطين ، ودعمهم إياهم لاحتلال فرنسا لتونس ، وبلاد المغرب ولكن الفرنسيين لم يعيروا أذاناً صاغية لذلك لأن اهتمامات نابليون الثالث كانت منصبة على محاولة إرجاع مجد فرنسا السابق فـــي آوربا كما كانت في عهد عمه نابليون الأول (١) ٠

أن إنجلترا رأت المحافظة على بقاء الدولة العثمانية ليس حباً فيها ، أو إنقاذاً لها مما لحقها من الضعف ولكن الذي حملها على الوقوف بجانبها وحمايتها هو المحافظة على المصالح البريطانيـــــة والحيلولة دون التوسع الروسي في الممالك العثمانية وعدم إفساح المجـــال لفرنسا لمنافستها ٠

فبريطانيا ظلت محافظة على سياستها تجاه الدولة العثمانية حتى عام ( ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٩ م )، ولكن هذه السياسة لم تلبث أن تغيـــرت إذ قامت بريطانيا باحتلال جزيرة قبرص عام ( ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٨م ) ثم تلى ذلك سيطرتها على مصر عام ( ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م ) في عهد وزارة جلادستون الثانية ، وبذلك تكون بريطانيا قد سايرت الدول الأوربية وعلى رأسهـــا روسيا وفرنسا في خطتهما التدميرية للدولة العثمانية (٢) ٠

إن تعبير الرجل المريض ، أو المريض الذي لايرجى شفـــاوءه (٣)

---

(١) على حسون ، العثمانيون والروس ، ص ١١٠ ٠

(٢) عبدالعزيز نوار ، التاريخ المعاصر لأوربا ، ص ٩٧ ، ٩٩ ٠

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٠٩٠

إنما هو تعبير سياسي ، للدلالة على ما أصاب الدولة العثمانية من ضعف سياسي وعسكري ، بلغا بالدولة حد الإضمحلال في القرن التاسع عشر الميلادي وهذا الضعف الذي انتاب الدولة ، كان للدول الأوربية الجانب الأكبر فيه والمسئولية العظمى (١) كما سنأتي على ذلك في الصفحات القادمة .

---

(١) الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٨٣٢ – ٨٣٤ .

ان تضاؤل الوجود العثماني في أوربا كان بسبب الحملات التشهيرية التي تحدثت عنها في الصفحات السابقة ، ثم عوامل الضعف الداخلية والخارجية ٠

أخذت عوامل الضعف التي انطوت عليها الدولة العثمانية تعمل عملها حيث نشبت الفتن والإضطرابات الداخلية والخارجية وذلك عندما بدأ نجم الدول الإستعمارية في الظهور، ونجم الدولة العثمانية في الأفول ٠

ومن تلك العوامل الداخلية التي أسهمت في ضعف الدولة العثمانية وتدهورها وفي مقدمتها عدم التمسك بالدين الإسلامي ٠

لقد اعتمدت الدولة العثمانية منذ تأسيسها على العلماء واتخذت من الشريعة الإسلامية منهجاً وطريقاً ونبراساً تهتدي به،فقد قرب السلطان عثمان موءسس الدولة العلماء والفقهاء إليه مثل الشيخ أدة بالي وهو شيخ جليل تفقه على علماء الشام وقرأ التفسير والحديث وكان السلطان يرجع في شئون الدولة الدينية (١) ٠

وقد سار سلاطين آل عثمان على هذا المنهج في تقريب العلماء والإعتماد عليهم في الدين وأمور القضاء وباقي شئون الدولة فهذا العامل الرئيسي – العامل الديني – عندما اعتمدت عليه الدولة عزت واتسعت وفتحت باسم الدين الإسلامي ،وعلت على الأمم ، ونشرت لا إله إلّا اللّه خفاقة في أصقاع جنوب شرق أوربا ، وكان هذا العامل عاملاً من عوامل

---

(١) طاشكبري ، الشقائق النعمانية ، مخطوط رقم ١٥٠٨ ،ص ٦ ٠

البناء والإزدهار للدولة إبان قوتها ، ولكن عندما بدأت الدولة في التدهور وتركت الإلتزام بالشريعة الإسلامية وأحكامها ، وأصبح العلماء أداة طيعة لتنفيذ أوامر السلاطين والأمراء حينئذ تبدل الحال ،وبدأت الضربات تنهال عليها من كل حدب وصوب ، وكان التنكيل الصليبي والتخريب لإسقاطها واقتسامها وانتشر الإسراف والتبذير والبذخ ،وأصبحت الدولة تنوء تحت ثقل وعبء كبير من سلاطين وأمراء اعتادوا الترف والإسراف .(١)

ومن تلك العوامل أيضاً اتساع رقعة الدولة العثمانية حيث حكمت الدولة العثمانية ولايات مختلفة الأديان والمذاهب والأجناس ، وحفظت نفوذها بحكمة وشدة ونشاط إبان قوتها وقوة سلاطينها الأوائل حتى عهد السلطان سليمان القانوني ، ولكن هذا التوازن لم يدم في عهد السلاطين الضعاف .(٢) الذين تولوا عرش السلطنة ، حيث لم يكونوا على قدر من الكفاءة والقدرة فأضاعوا جهود من قبلهم،وتقاعس البعض عن الخروج للحرب وقيادة الجيوش ،(٣) وتحجبوا في قصورهم وبذلك تمرد الإنكشارية (٤) الذين تعودا على الخروج للقتال والسلطان في مقدمتهم،وكان نتيجة هذا التحجب أن أصبح السلاطين في معزل عن معرفة حقائق وشئون الدولة وخصوصاً وأن الحاشية التي كانت تحيط بالسلطان كانت تعمل على الا يصل إلى مسمعه الا مايوافق أهواءها ،(٥) وإن ضعف السلاطين وعدم خروجهم للقتال أدى إلى سقوط هيبتهم لدى الجند الذين شعروا بقوتهم

---

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٢٤ .
(٢) السلطان عبدالحميد الثاني ، مذكرات السياسة ، ١٨٩١-١٩٠٨م ،ص ٧٨-٧٩.
(٣) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٠ - ٥٩٢ .
(٤) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ،ص ٢٣ .
(٥) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣ .

الذاتية فكانوا يرغمون السلاطين على زيادة مرتباتهم والمطالبة بالأعطيات وإذا منعت عنهم كان بإمكانهم عزل السلطان وتعيين آخر وقد أدى ذلك الترف الذي عاش فيه الإنكشارية إلى فقدانهم لصفاتهم الحربية التى تمتعوا بها (١).

كذلك نلاحظ أن هذا الجيش الإنكشاري الذي كان أحد الأسباب الرئيسية للفتوحات العثمانية في أوربا وعاملاً من عوامل النصر ابان قوة الدولة أصبح وبالاً عليها في قرونها الأخيرة ، فكان تمرد الإنكشارية سبباً في زعزعة سلطة الدولة وقدرتها الحربية وضعف حكم الدولة في المقاطعات التابعة لها (٢).

ومن تلك الأسباب الداخلية أيضاً إنتشار التزوير في أنحاء الدولة وبخاصة في الأمور الإدارية ، على الرغم من العقوبة الرادعة وهي القتل الا أن الرشوة انتشرت بين الكثير من الوزراء مما شجع على الخيانة والسرقات (٣).

وقد تفشت الرشوة بين الجند حيث أصبح ترفيع القواد وترقيتهم لايتبع الكفاءة الشخصية والجدارة ، بل بمقدار مايبذلونه من الرشوة للولاة وبطانة السلطان ، كذلك لم يدخل في الجيش من الإصلاحات مايمكنه من مجاراة الجيوش الأوربية من استخدام الآلات الجديدة الخاصة

---

(١) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٢ .

(٢) Enver Ziya , Op, Cit., Part 5, P, 7 .

(٣) Halil Inalick. P, 103 .

بالقتال[1] ، ولم يقتصر أمر الرشوة على الجند ، بل تعداه إلى الصدور العظام وهؤلاء الصدور العظام الذين كانوا يتولون الوزراة لم يكونوا بعيدين عن الشبهات : فهذا بلطه جي باشا الصدر الأعظم في عهد السلطان أحمد الثالث ( ١١١٥ - ١١٤٣ هـ / ١٧٠٣- ١٧٣٠ م )، تقاضى رشوة من بطرس الأكبر قيصر روسيا ( ١٠٩٣ - ١١٣٨ هـ / ١٦٨٢ - ١٧٢٥م) حيث ألقت عليه القبض الجيوش العثمانية وهو يسير جنوباً بمحازاة نهر بروث فلم يجد بداً من طلب الصلح ، واستجاب بلطه جي محمد باشا لطلب القيصر ، وعقد اتفاق أو سلم بروث في ٢٣ يوليو - تموز ( ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م ) ووافق القيصر على هدم القلاع المعترض على إقامتها والتنازل عن آزوف وعدم التدخل في شؤون القرم وبولندة وألا يعود بتعيين سفير في إسطنبول وعدم التآمر مع رعايا السلطان الأرثوذكس[2] .

ومن تلك الخيانات خيانة أحد القادة يوسف باشا في حكم السلطان محمود الثاني ( ١٢٢٤ - ١٢٥٥ هـ / ١٨٠٩ - ١٨٣٩ م ) وذلك بتسليمه مدينة وارنة الحصينة للروس الذين كانوا يحاصرونها والتجائه إلى بلادهم ومن ذلك خيانة أحمد باشا القبودان[3] العام للأسطول العثماني وذلك بتسليمه لمحمد علي باشا والي مصر الأسطول خلال الحرب التي نشبت بينه وبين الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد ( ١٢٥٥ - ١٢٧٨ هـ / ١٨٣٩ - ١٨٦١م )[4] .

---

(١) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٢ .
(٢) عبدالعزيز الشناوي ،الدولة العثمانية دولة مفترى عليها،ج ١ ،ص ٦١١
(٣) محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية ، ص ٢٢٧ .
(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٢٢١ ،٢٣٧ .

وان وجد هذا النوع داخل الدولة فقد وجد الصالحون منهم مثل أحمد جانبي الدفتردار في عهد السلطان أحمد الثاني وكذلك حاجي علي باشا، وحسين باشا عموجة زاده في عهد السلطان مصطفى الثاني الذي كاد يعيد للسلطنة مكانتها لولا المؤامرات ، وهذا كوبرلي حسين باشا في عهد السلطان مصطفى الثاني ( ١١٠٧ – ١١١٥هـ / ١٦٩٥–١٧٠٣م ) الذي تنحى عن الصدارة خوفاً من المكائد والشرور التي أخذت تحاك ضده ، ورامي محمد باشا في عهد السلطان السابق ، وكذلك داما حسن باشا في عهد السلطان أحمد الثالث حيث خلعه السلطان تحت ضغط أصحاب الغايات ، وحكيم زادة، في عهد السلطان محمود الأول حيث قام بالكثير من الإصلاحات فخافت روسيا منه وأفسدت مابينه وبين السلطان ، وهذا مصطفى باشا البرقدار ساعد السلطان محمود الثاني ( ١٢٢٤ – ١٢٢٥هـ / ١٨٠٩ – ١٨٣٩م) فقضى عليه الإنكشارية،والقائد ناظم باشا والي بغداد أهاج الإنجليز الشعب ضده لسياسته المتشددة ضدهم فعُزل في عهد السلطان محمد الخامس ( ١٣٢٧ – ١٣٣٧ هـ / ١٩٠٩ – ١٩١٨ م ) (١).

كذلك من أسباب الضعف الداخلي الزواج بالأجنبيات حيث بدأت هذه الظاهرة منذ الأيام الأولى لتأسيس الدولة العثمانية وبدأ بذلك السلطان أورخان بن عثمان الذي تمكن من السيطرة على الشطر الأسيوي وجاور الدولة البيزنطية حتى حسب له ألف حساب وأرتعدت فرائصها ، ثم استنجد بأورخان الأمبراطور جان باليولوج عام ( ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م ) ضد ملك الصرب وعرض أن يزوجه ابنته إذا قبل مساعدته ، فكان بذلك أورخان أول من تزوج بأجنبية ، ثم فشى ذلك فيمن بعده حيث تزوج مراد الأول ( ٧٦٢ – ٧٩٠ هـ / ١٣٦٠ – ١٣٨٨ م ) من ابنة

---

(١) تاريخ جودت باشا ، ج ١ ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

أمير البلغار ، بينما تزوج بايزيد الأول ( ٧٩٠ - ٨٠٦ هـ / ١٣٨٨ - ١٤٠٣ م ) من شقيقة الأمير اسطفان بن لازر ملك الصرب واسمها ( أوليفيرا ) ، وقد كان هذا الزواج في عهد المؤسسين الفاتحين ذا أسباب سياسية ، غير أن من أتى من بعدهم اقتصرت غاياتهم على اقتناء الحسناوات من الجواري والسراري ممن كن بلاء على الدولة حيث كان ذلك الزواج يؤدي إلى خلق عيون للدول الغربية في داخل الدولة العثمانية ، وكان من جراء ذلك مالحق الدولة من الهزائم المتلاحقة في أوربا .(١)

كذلك تعدد الزواج من الأجنبيات والسراري كان له أضراره الخطيرة على السلطنة حيث أدى ذلك إلى التنافس بين الأمهات من أجل تولية أبنائهن للحكم فضلاً عن التناحر بين الأخوة .(٢)

ومن أسباب الضعف الداخلي كذلك تنافر الأسرة المالكة ، فلقد كان آل عثمان في الفترة الأولى من حكمهم يسودهم التضامن والألفة وبلغ هذا التضامن إلى الحد الذي نرى فيه أن علاء الدين وهو بكر السلطان أورخان الأول يتنازل لأخيه مراد عن السلطنة مكتفياً بالوزارة ولكن سرعان ما تحول هذا الحنو والألفة إلى بغض وقساوة لامثيل لها في تاريخ الأسر المالكة فهذا السلطان يأمر بقتل ابنه لمجرد وشاية ، وذلك يعدم أخوته وأولادهم معهم ليكون في مأمن من أي طامع بالحكم إنها فظاعة وقسوة ، فهذا السلطان مراد الأول يقتل ابنه صادوجي لأنه ثار عليه مع صاحب إبن عاهل القسطنطينية ، والسلطان بايزيد الأول يقتل أخاه لأنه كان مهاباً فخاف منه ، وذلك محمد الأول بن بايزيد

---

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ١١ - ١٣ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٤ - ١٦ .

يقتل إخوته كافة ماعدا مصطفى الذي احتمى بامبراطور القسطنطينية ، والسلطان مراد الثاني قتل عمه مصطفى والحق به أخاه مصطفى ، بسبب التنازع على العرش ، وذلك محمد الفاتح قتل أخاه أحمد الرضيع (١) .

ولكن إذا أخذنا بهذا العامل كعامل من عوامل الضعف فقد ينطبق على السلاطين العثمانيين في العهود الأخيرة من تاريخ الدولة العثمانية، فهل هذا حقاً تاريخ الأسرة العثمانية قتل وإعدام ومؤامرة ومكائد، هذا يقتل وهذا يشنق، لاهم للسلطان الحاكم إلاّ التخلص من أفراد الأسرة واحد تلو الآخر، لا رحمة ولا شفقة تأخذه لا لكبير ولا صغير ورضيع ليس من المعقول أن يكون ذلك صحيحاً قد تكون هناك بعض الحوادث الفردية التي تخلص فيها السلاطين من الثائرين في فترة الحكم والتأسيس ولكن هذا لايعني أن يطلق ذلك ويعمم على جميع السلاطين فيكون بذلك بؤرة سوداء في تاريخ آل عثمان جميعاً .

يضاف إلى الأسباب الداخلية كثرة الأموال وتدفقها على الدولة من جراء الفتوحات التي غيرت الحياة الإجتماعية ، مما أدى إلى الترف وتبذير السلاطين (٢) فقد كان آل عثمان في بداية دولتهم شديدي التقشف والإقتصاد ، وعلى شيء كبير من البساطة في العيش ، شأن الشعوب التي هي قريبة عهد بالبداوة ، فلما توفي السلطان عثمان مؤسس الدولة لم يترك سوى ثوبين وفرس ، ولكن بعد ما انتصروا على البيزنطيين واستولوا على القسطنطينية كان من جملة ماتركه العثمانيون تقشفهم وذلك الإقتصاد في حياتهم ، حيث لم يمض عليهم جيل واحد في اسطنبول حتى عم البذخ والترف ، ولكن السلطنة في تلك الفترة لم تتأثر بهذا البذخ

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ، ص ١٥ – ١٦ .
(٢) محمود زيادة ، دراسات في التاريخ الإسلامي ، ص ٥٩٣ .

والترف والإسراف نظراً لاتساعها وكثرة فتوحاتهاشرقاً وغرباً[(١)]، ولكن ما أن شرعت الدولة في التدهور ، والإنحطاط ، وأخذ جيرانها الطامعون الحاقدون يشنون عليها الحرب المتواصلة ويثيرون الفتن والقلاقل في بلادهم الشاسعة حتى صارت تتأشر بهذا الإسراف والبذخ وتنوء تحت أثقال سلاطين وأمراء اعتادوا الترف والإسراف ،وموظفين خصوا أنفسهم بأعلى المرتبات ، ولم يجدوا مخرجاً من ذلك سوى مصادرة أموال الأغنياء وتخفيض مرتبات صغار الموظفين ، وتقليل رواتب الجند، مما أدى إلى شيوع الفوضى والإضطراب ، وبالتالي ، التدهور والزوال بسبب الأموال التي كانت تصرف من قبل السلاطين على قصورهم وأفراحهم وشئونهم الخاصة من لباس للسلطان ، وأسرته من الفرو وكل من يقوم على خدمة السلطان والحرم السلطاني وأولاده ، والمطابخ والوكلاء على خيم السلطان ، وثياب الخدم والإسطبلات والأعلاف واللحوم والمآكل ذلك كان يقدر بملايين الاقجاية ( عملة ذهبية ) هذا كله في الوقت الذي كانت فيه الدولة تنوء بحملتها، وخزانة الدولة شبه خاوية[(٢)] .

ليس السلاطين وحدهم الذين تقع عليهم التبعية في التدهور فهناك من أوكل إليه مهمة المحافظة على هذه المسئولية كالوزراء الذين أوكلت إليهم المهام والتبعية في الكثير من مجالات الحكم،وإن الحديث عن مفاسد الوزراء وجهلهم لايعمم على كل من أعتلى الوزارة،ولكن الغالبية العظمى من هؤلاء الوزراء كانوا سبباً من أسباب التدهور بجهلهم أو لأنانيتهم فالقرنين الأولين من تاريخ الدولة العثمانية الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين أزهى قرونها، ولكن في الفترة الثانية من تاريخ الدولة العثمانية حيث احتجب السلاطين في قصورهم وابتعدوا شيئاً

---

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ج ٢ ،ص ٢٤ — ٢٥

(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦ — ٢٨ .

فشيئاً عن إدارة شوءن الدولة كانت هذه فرصة سانحة للحاشية لتوزيع المناصب فيما بينهم وإسنادها إلى المقربين إليهم (١) •

قال جودت باشا كان منصب الصدارة لايسند إلاّ إلى الوزراء الذين يثبتون جدارتهم بالكفاءة والأخلاق أولئك الذين تولوا تباعا المناصب الكبرى ، وتدرجوا من إمارة السنجق (*) ،فإمارة الأمراء،فإمارة الأناضول فالروم إيلي ، غير أن حضرة السلطان سليم خان حاد عن هذه القاعدة الثمينة ووجه مقام الصدارة مباشرة إلى إبراهيم أغا ( خاص أوطة باش ) رئيس غرفته الخاصة ونظراً لأن السلطان سليم كان رأس الدولة وما الوكلاء إلاّ كالآلات بيده لم يظهر أي آثر سيءفي زمانه ، عن تولى الصدارة رجل غير أهل لها ، غير أن الضرر لم يلبث أن ظهر من بعد السلطان سليم حينما أخذ خلفاوءه يحتذون حذوه في تنصيب من يشاءو ن على الوزارات من الشبان الذين لم تسبق لهم تجارب ولم يعرفوا شيئاً من أصول الحكم وكان هوءلاء اعتزازاً منهم بما كسبوا من إقبال الحضرة الشاهانية يتصرفون بالأحكام على أهوائهم دون الرجوع إلى أهل المعرفة ودون الإستناد إلى قانون (٢) •

---

(١) محمد جميع بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ،ج ٢ ،ص ٣١ – ٣٢ •

(*) السنجق : هو الحاكم المدني لمركز إداري هو دون الولاية وفوق القضاء وكان السنجق متصرفيه أيضاً ، فقد كان العثمانيون يقسمون المراكز الإدارية إلى أربع مراتب الأولي هي : رتبة الوالي ومركزه الولاية ، والثانية رتبة المتصرف ومركزه المتصرفية أو السنجق، الثالثة رتبة القائممقام ومركز القضاء والرابعة رتبةمدير الناحية ومركزه الناحية • ( محمد فريد ، الدولة العلية ، ص ٢٢٦ ) •

(٢) تاريخ جودت باشا ،ج ١ ،ص ١٠٣ •

وكان إلى جانب العوامل الداخلية الكثير من العوامـــل الخارجية التي أسهمت إلى جانبها في ضعف الدولة وإنهاكها.

ومن العوامل الخارجية التي ساهمت في تدهور وضعف الدولـة العثمانية ظهور دولتين مجاورتين للدولة العثمانية وعلى قدر مـــن القوة هما الإمبراطورية النمساوية الهنغارية ثم روسيا، وذلك خـلال القرنين الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي (١) .

أما الإمبراطورية النمساوية فقد كانت تتوق للأخذ بالثـأر من الدولة العثمانية ، وما الحقته بها من ضربات موجعة ومتلاحقـة في فترة قوة الدولة ، وقد رأينا كيف أن الدولة العثمانية وصلـت في فتوحاتها إلى وسط أوربا ودقت أبواب فينا ( ١٥٢٩م ) وهددتهـا أكثر من مرة وكادت أن تقع في أيديهم .

وللنمسا العديد من المواقف العدائية من الدولةالعثمانية ومن ذلك حربها عام ( ٩٣٩ هـ / ١٥٣٢ م ) حيث اتحدت النمسا مع كل من أسبانياوالمانيا والبابوية ، ثم عقد الصلح قبل أن يتم النصـر لأي الفريقيـن وكان الموقف العدائي الثاني عندما حقق النمساويـون مع حلفائهم الألمان إنتصاراً على العثمانيين عام ( ١٠٧٤ هـ / ١٦٦٣م ) وتوالت تلك التحالفات النمساوية ضد الدولة العثمانية ، ففي عـام ( ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٣ م ) اتحدت النمسا وبولونيا في حرب برية انتصـر فيها العثمانيون وطاردوا الجيوش النمساوية وحلفاءها حتى حاصـروا فينا ، واهتزت أوربا وارتعدت لذلك الإنتصار وبادرت إلى نجـدة

---

(١) محمد جميل بيهم ، فلسفة التاريخ ، ج ٢ ، ص ٧١ .

النمسا فارتد العثمانيون عنها وخسروا معركتهم [(١)] وفي عام ( ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م ) اتحدت النمسا وبولونيا والبندقية ورهبان مالطة والبابا وروسيا ضد الدولة العثمانية وكانت حرب برية وبحرية هائلة استمرت إلى عام ( ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م ) إنتهت بانهزام العثمانيين وجلائهم عن المجر [(٢)] .

أما روسيا في الفترة ما بين ( ١٠٨٠ – ١١٣٨ هـ / ١٦٦٩ – ١٧٢٥ م ) كان يحكمها القيصر بطرس الأكبر ، وكانت روسيا إلى ذلك التاريخ تعتبر دولة شرقية ، ولكنها بعد ذلك أخذت تفتح أبوابها في وجه الحضارة الأوربية [(٣)] ومنها بدأ الصراع بينها وبين الدولة العثمانية حول حقوق التجارة الروسية في البحر الأسود [(٤)] الذي كان بحيرة عثمانية ، وقد أدى ذلك إلى حروب استمرت أكثر من مائتي عام ففي عام ( ١١٠٧ هـ / ١٦٩٥ م ) ، إعتدى الروس على بلاد القفقاس، فتمكن العثمانيون من صدهم . ولم يرتدعوا حيث عادوا سنة (١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م ) واعتدوا على بلاد القفقاس مرة أخرى مستغلين إنشغال الدولة العثمانية في حروبها مع بعض الدول الأوربية ولكن الدولة انتصرت عليهم وكاد العثمانيون يأسرون القيصر الروسي سنة ( ١١٢٣هـ/١٧١١م) [(٥)] .

ثم توالت التحالفات الروسية ضد الدولة العثمانية تباعاً

---

(١) محمد جميل بيهم ، مصدر سابق ، ج ٢ ،ص ٧٣ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٧٣ .
(٣) هربرت فشر، في أصول التاريخ الأوربي ، المجلد الأول ، ص ٢٧٥ .
(٤) فيليب حتي . موجز تاريخ الشرق الأدنى ، ص ٢٤ .
(٥) محمد جميل بيهم، فلسفة التاريخ العثماني ، ص ٧٥ .

ففي عام ( ١١٤٩ هـ / ١٧٣٦ م ) اتحدت روسيا مع النمسا ضد العثمانيين بسبب بولونيا، ولكن العثمانيين إنتصروا عليهم ، وفي عام ( ١١٨٢ هـ / ١٧٦٨ م ) إنتصر العثمانيون أيضاً ،ثم تجددت الحروب مرة أخرى عام ( ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤ م ) وانتصر الروس في هذه المرة (١) ، ووقعت معاهدة كوتشك كينارجي والتي بموجبها دفعت الدولة العثمانية ضريبة باهظة وسمحت بمرور السفن الروسية في المياه العثمانية، وحماية طائفة الأرثوذكس الذين هم من رعاية السلطان (٢) .

هذه الحروب التي خاضتها الدولة أنهكت قواها وشغلتها عن الإهتمام بالكثير من المهام العسكرية الأخرى ، وكانت من أسباب ضعف الدولة وتدهورها.

ومن الأسباب الخارجية الأخرى مساندة الدول الأوربية لدول البلقان الثائرة ضد الدولة العثمانية (٣) وكان ذلك الإتحاد الذي تم بين جميع الدول الأوربية ـ بعد انقضاء الحروب الدينية التي كانت بين الكاثوليك والبروتستانت ـ ضد الدولة العثمانية (٤) . كذلك من هذه العوامل ظهور طائفة من القواد العظام في المجر وبولندة واتحادهم جميعاً في الوقوف والتصدي للدولة العثمانية ، ومنعهم إياها من الوصول إلى وسط أوربا حيث كان هذا أحد الأسباب في انحسار المد الإسلامي نحو وسط أوربا (٥) .

---

(١) محمد جميل بيهم ، ص ٧٦ .
(٢) علي حسون ، العثمانيون والروس ، ص ٨٢ – ٨٤ .
(٣) هربرت فشر، في أصول التاريخ الأوربي ، المجلد الأول ، ص ٣٧٥ .
(٤) محمود زيادة ،دراسات في التاريخ الإسلامي ،ص ٥٨٩؛ ومصطفى حلمي، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ،ص ٥٨ .
(٥) موفق المرجة ،صحوة الرجل المريض ،ص ٤١ .

كذلك تقدم الدول الأوربية بمقتضى إحياء حركة العلوم في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي على إثر سقوط القسطنطينية ( ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م ) فقد تقدمت أوربا في العلوم والصناعة والتجارة والملاحة ونظام الحكم ، في حين جمدت الدولة العثمانية في أواخر عهدها ولم تلحق بركب التقدم (١) ٠

وهكذا عملت العوامل الداخلية والخارجية عملها في إضعاف الدولة والإجهاز عليها ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك تكالب الدول الأوربية على الدولة العثمانية زيادة في إنهاكها والإجهاز عليها والتعجيل في انهيارها، وذلك باقتطاع أملاكها وتوزيعها غنائم وأسلاب فيما بينها مما أدى في النهاية إلى انهيارها وسقوطها، وهنا بدأ التفكك في الحكومة والمجتمع وطريقة الحكم (٢) ٠

كانت الدولة العثمانية قبيل الحرب مع روسيا عام ( ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م ) تضم البلدان الآتية في أوربا وشبه جزيرة البلقان حتى الدانوب وأمارتي الأفلاق وبغدان ،وبسارابيا ، والمجر وترنسلفاينيا ، يودوليا، وجميع الشاطئ الشمالي للبحر الأسود بما في ذلك شبه جزيرة القرم وآسيا الصغرى وأرمينية وغربي كردستان ، والعراق والجزيرة الفراتية وسورية،والحجاز،والأحساء واليمن،وفي أفريقيا تضم كل من مصر وطرابلس ، وتونس ، والجزائر، ومن جزر البحر المتوسط ،جزيرة قبرص وكريت ، كما ضمت بلاد جورجيا وداغستان وأذربيجان (٣) ٠

---

(١) هربرت فشر ، في أصول التاريخ الأوربي ، المجلد الأول ، ص ٣٧٥ ٠

(٢) Robinson, Op, Cit., PP, 99 - 100 .

(٣) هاملتون،جب وهارولد بوون ،المجتمع الإسلامي ،ج ١ ،ص ٣١ — ٣٢٠

كل تلك المناطق السالفة الذكر كانت تحت السيادة العثمانية أبان قوة الدولة وعظمتها ، حيث بسطت نفوذها على تلك الدول في القارات الثلاثة آسيا وافريقيا وأوربا، ولكن بعد ذلك أخذت الدولة في الضعف وبدأت تفقد ممتلكاتها.

ومن ذلك الحين بدأت الدول الأوربية ترنو ببصرها نحو أملاك الدولة العثمانية وتنتهز كل فرصة للإنقضاض عليها، فهذه روسيا توجه نظرها وأطماعها نحو المضايق للخروج من عزلتها، وبريطانيا تود الوصول إلى الهند عبر أملاك الدولة العثمانية ووسيلتها إلى ذلك هو استعمار تلك البلاد ،أما النمسا والمجر عملت من أجل الوصول إلى أغراضها عن طريق إثارة دول البلقان والتحالف معها ضد الدولة العثمانية (١)، وهذه فرنسا عن طريق دورها كحامية للأقليات المسيحية في الشرق ، حيث استولت على كل من الجزائر وتونس سنة ( ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١ م ) وأقصيت تركيا عن البحر المتوسط ، وساندت إنجلترا فرنسا في الدور الإستعماري حيث احتلت كل من قبرص ثم مصر سنة ( ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م ) وشاركت إيطاليا أخواتها في هذا المضمار حيث وجهت أنظارها نحو شمال إفريقيا واستولت على طرابلس سنة ( ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ) (٢) ومن ثم برقة وجزر الدوريكاينز وبذلك عزلت تركيا عن البحر المتوسط الشرقي (٣) وسبق ذلك فقدان الدولة العثمانية للدول الخاضعة لها في أروبا حيث استولت البندقية على المورة سنة ( ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م ) (٤)، وفي نفس العام تنازلت الدولة العثمانية عن المجر (٥) وفي سنة ( ١١٣١هـ / ١٧١٨م ) تخلصت ألبانيا

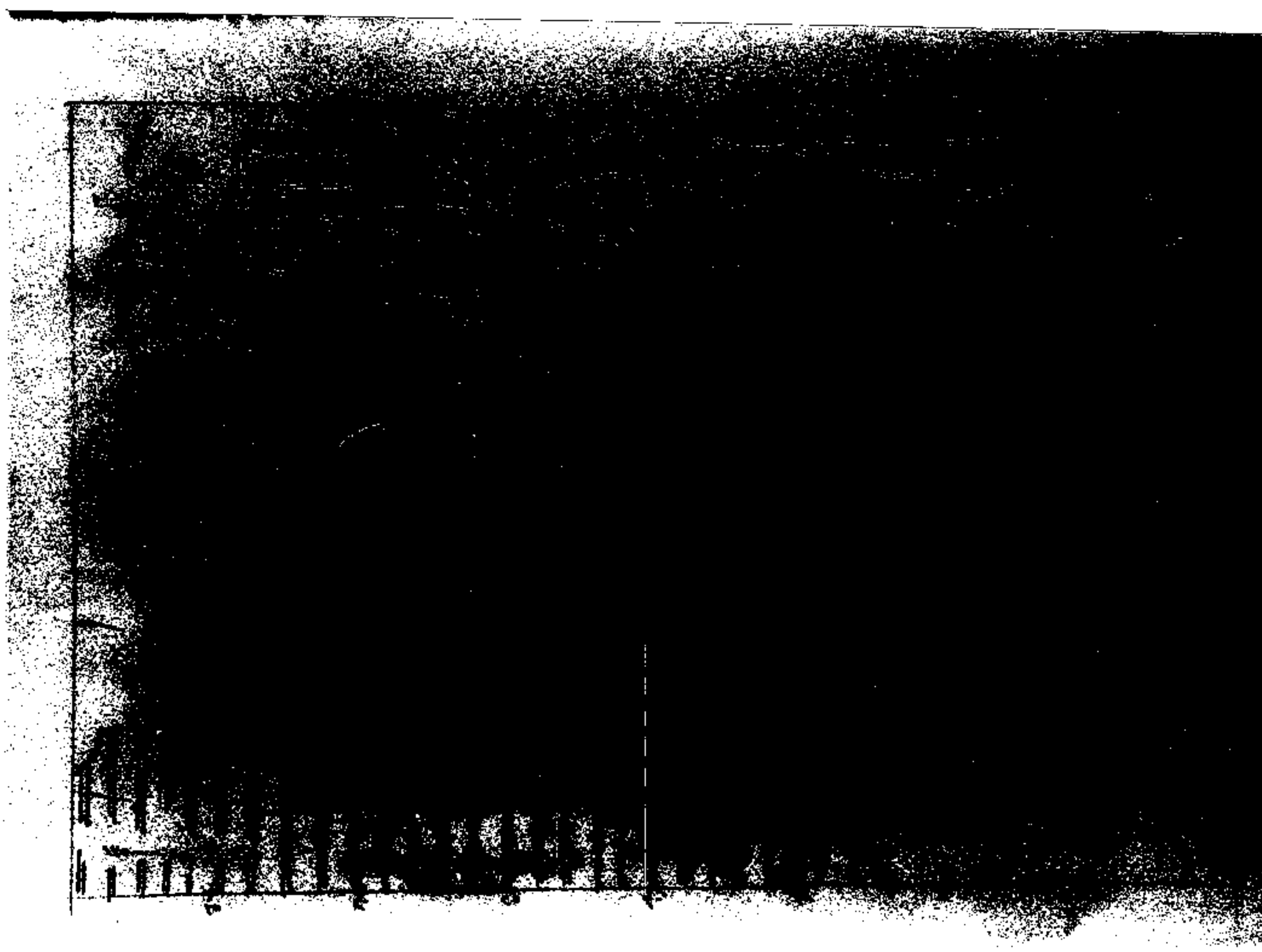
(١) سليم قبعن ، تاريخ الحروب العثمانية الايطالية ، ص ١٨ .
(٢) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٧ .
(٣) على حسون، العثمانيون والروس ، ص ٥١ .
(٤) هاملتون جب ، المجتمع الإسلامي ، ج ١ ،ص ٣٢ - ٣٣ .
(٥) محمدفوءاد شكري ،الصراع بين البرجوازية والاقطاع (١٧٨٩-١٨٣٨م) . المجلد ٢،ص ٧٩ - ٨١ .

وولاشيا ، والهرسك ، من الحكم العثماني ، تلى ذلك في سنة ( ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م ) وبعد موقعة نافارين فقدت الدولة العثمانية اليونان للأبد ومعها الصرب وملدافيا.[1] ( أنظر الخريطة ص ١٧٨ ) .

رأينا كيف بدأ العد التنازلي للدولة العثمانية وفقدانها لممتلكاتها الواحدة تلو الأخرى نتيجة لعوامل داخلية وخارجية مضافاً إليها النظرة الإستعمارية الحاقدة لأملاك الدولة العثمانية والإستيلاء على تلك المناطق ، مما أدى في النهاية إلى ضعف الدولة وسقوطها واقتسام أراضيها أسلاباً وغنائم لصليبي أوربا.

---

(١) جاك س ، الحضارة العربية ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .



# الخاتمة

١٤٠٩ هـ

## الخاتمـــــة :

لقد رأينا في سياق هذه الدراسة أن الدولة العثمانيــــة اعتمدت منذ نشأتها وتأسيسها على يد السلطان عثمان على الدين الإسلامي، واتخذت من الشريعة الإسلامية نبراساً ودستوراً لها، كما أن فتوحاتهـــا وجهادها في أوربا كانت باسم الإسلام مما أدى إلى نشر الإسلام في أوربـا وخاصة في أقاليمها الجنوبية الشرقية .

وبنظرة عامة على محتويات هذه الدراسة أود الإشارة إلى أنني توصلت إلى النتائج الموجزة التالية :-

* أثبتت الدراسة أن الأتراك العثمانيين على الرغم من أنهم لم يكونـوا من العرب الآ أنهم أسلموا وحسن إسلامهم ، وكانت فتوحاتهم من أجـل الإسلام وبأسم الإسلام .

* كما برهنت الدراسة أن الموقف العربي الإسلامي كان موءيداً للموقـــف العثماني في نشر الإسلام يدل علي ذلك أنه عندما فتح العثمانيــــون القسطنطينية قام سلاطين مصر بإرسال المبعوثين للسلطان محمد الفاتـــح مهنئين مستبشرين ، وأقيمت الزينات أياماً في القاهرة إبتهاجـــاً بهذا النصر للإسلام والمسلمين .

* برهنت الدراسة أن انتشار الإسلام في جنوب شرق أوربا ، كان بواسطـة التجار المسلمين الذين ارتادوا تلك المناطق ، بالإضافة لدور القبيلـــة الذهبية ، ومن ثم الفتوحات العثمانية لتلك المنطقة والعمل على نشـــر الإسلام، وتدعيمه ببناء المساجد والجوامع ، في جنوب شرق أوربا .

* وضحت الحقائق التاريخية أن الإنتصارات التي حققتها الدولة العثمانية في أوربا لم تكسبها بسبب ضعف شعوب البلقان كما أدعى الأوربيون بل يرجع ذلك إلى قوة الإيمان والرغبة القوية عندالمسلمين في نشر الإسلام والجهاد من أجل رفع رآية التوحيد إلى أبعد نقطة ممكنة ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

* كما أثبتت الدراسة ، أن الدولة العثمانية عندما وصلت في فتوحاتها إلى فينا ، وتمكنت من وضع النظم الكفيلة بتنظيم شؤون تلك الشعوب ، مما أدى إلى دخول الكثير من أهلها في الأسلام والدليل على ذلك وجود الأقليات الإسلامية ، في جنوب شرق أوربا إلى وقتنا الحاضر ، كما عملت الدولة على تعبيد الطرق ، وبناء المستشفيات ، والمدارس في البلاد المفتوحة •

* برهنت الدراسة على أن السياسة التي اتخذتها الدولة العثمانية تجاه رعاياها في جنوب شرق أوربا المتصفة بالسماحة الدينية ـ أدت إلى اعتناق الكثير للإسلام وجعلت الإسلام ينتشر انتشاراً كبيراً بين تلك الشعوب لما يتمتع به الإسلام من الرحمة والرأفة ، والعدل والمساواة ، التي لم تعهدها تلك الشعوب الا في عهد الدولة العثمانية •

* كما أثبتت الدراسة أن المواقف الأوربية ( الصليبية ) من الدولة العثمانية ـ سواء كانت تلك المواقف فردية أم على المستوى الدولي ـ استهدفت القضاء على الإسلام في شخص الدولة العثمانية ، حاملة لواء الإسلام ، والتي كانت تفتح المناطق الأوربية باسمه •

* والذي يهمنا في هذه الدراسة ، أنه على الرغم مما حدث للدولة العثمانية من الضعف والتفكك ، الذي تسببت فيه الدول الأوربية ، فان الدولة العثمانية أسهمت في نشر الإسلام في جنوب شرق أوربا وأصبح الآذان يرفع على المآذن في مناطق متعددة ، من أقاليم جنوب شرق أوربا ، يشهد على ذلك الآثار الإسلامية الموجودة هناك من مساجد وجوامع ٠

* وأخيراً وصل البحث إلى حقيقة هي أن العالم الأوربي بصفة عامة لايحلو له أن يرى انتشار الإسلام يأخذ طريقة في مناطقهم ومن ذلك رأينا في سياق البحث مواقفهم المختلفة من عسكرية وغير عسكرية ، كل ذلك لتحاشي الفتح الإسلامي وضرب أي جهة تتبنى نشره والجهاد في سبيله ٠

# الملاحق

## عناويـن الملاحـــق

**ملحـــق رقم (١)**

صورة عن نشرة الفتح الملكي لحضرة مراد خان غازي التي أرسلت إلى الممالك المحروسـة والتي تحتوي نصر قوس اوه وهزيمـة حاكم العرب .

**ملحق رقم (٢)**

صورة عن الرسالة الملكيـة التي كتبت من دار أبو الفتح والمغازي السلطان محمد خان غازي إلى عزيز مصر ليرسل إلى شريف مكة المكرمـــة وذلك في شأن فتح استانبول وجوبـه .

**ملحـق رقم (٣)**

صورة عن نشرة الفتح الملكية المختصة لمدينة بلغراد التي صـدرت وأرسلـت إلى الممالك المحروسـة .

**ملحق رقـم (٤)**

وثيقة رقم (٩) صفحة (٨٩) حكم رقم (٣٣١) بتاريرخ ٢٤ شوال ٩٧٧ هـ ، وذلك بشأن مساعدة الدولة العثمانيـة لمسلمي الأندلس .

الملحق رقم (١)

صورة عن نشرة فتح الملكى السلطان حضرة مراد خان غازي التي أرسلت إلى الممالك المحروسة والتي تحتوي نصرقوس اوه وهـــزم مـــراد خـان غـــازي حاكـم صرب مـــع خمســـين نفـــر

الحمد لله الذي يستحق الحمد والشكر وهو الرزاق على الإطلاق ومفتح الابواب الذي منح لواء السعادة أن يترفرف في أوج العالم بواسطة السلاطين ودمر بلاد الكفار وأعداء المسلمين برماحهم رسهامهم وجعل أصنامهم هبـــاءً منثوراً ومزقهم شر ممزق والحمد لله الذي فرض الجهاد على المسلميــــن ( يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التــــوراة والإنجيل والقرآن ) وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :( من غـــز غزوة فى سبيل الله أدى إلى الله جميع طاعته ) وأخبر الله إن الذيـــن يجاهدون فـى سبيله هم الفائزون ( الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهـــم ربهم برحمـة منه ورضوان وجنات ولهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم )(و قال رسوله الكريم ): ( لايجد شهيد من ألم القتل إلاكمس القرصة )وهم أحياء عندربهم يرزقون ) ( ولاتحسبن الذين قتلوا فـــي سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم اللـــه من فضله )( من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا حرمه الله على النار ) وهذا الحديث يشير أنهم لاتحرقهم النار ٠

وحينما وصل الخطاب الملكي الرفيع إعلموا أن المعركة قد بدأت فى عام ٧٩١ فى شهر شعبان فى ميدان قوس اوه ٠ وأخبر أن أحزاب المشركيـــن

عليهم لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين جرحوا مسلمين وقطعوا أيديهم وعلى حسب الآية (وعسى أن تكرهوا شيئاً فهو خير لكم ) جهز المسلمون أنفسهم بعد صلاة الصبح للقتال وعين يلدرم بايزيد في جانب الأيمن وبعده أمير الأمراء : وأمير روم ايلى تمرقاش باشا وكذلك أورنوس بك وطورجه بلبان ولالاشاهين وعيسى بك وبخشى بك ومستجاب ضوباس ، وفي الجانب الأيسر يعقوب بك وبجنسه أمير أمراء أناطولي مارجه باشا وابنه بك صوباشى والوزير نظير على باشا يسر اللّه له مايشاء وكل منهم أخذ مكانه على رأس الجنود وكذلك جهز الجيش فى ميدان القتال مهيئاً للشهادة فى سبيل اللّه كانوا يقفون كسد منيع أمام العدو ومعهم الجيش الإنكشاري كذلك . وقبل ابتداء الحرب قاموا بالمال وتنظيم الجيش ثم الوزير الأعظم على باشا دخل ميدان القتال وهو على حصانه فبدأ يحارب قوادهم ورؤسائهم ومنهم بوركيل بعناية اللّه استطاع أن يغلب عليه ويقطع رأسه وبعدذلك بدأ الفرار فى صفوف الأعداء وبعد ذلك جاء إبني يلدرم خان وساعدهم فى القتال وهزم أحزاب الأعداء وقطع رأس إبن ولاس وهو من رؤساء الأعداء فبدأ الفرح والسرور فى صفوف المسلمين حيث أنهم غلبوا الكفار . وجنود الكفار بدأو يهربوا أمام قوات المسلمين ( كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ) . والمسلمون حمدوا اللّه ،وشكروه حق شكره لانهم يعرفون بأن هذا النصر من الله ( الحمدلله الذى هدانا لهذا وماكنالنهتدى لولا أن هدانا الله ).

و اما شهداء المسلمين فهم فى جنات نعيم خالدين فيها يرزقون بنعم الله وبعد أنتهاء الحرب بدؤا في توزيع الغنائم بين جنود المسلمين

ثم شرعوا فى الرجوع إلى الخيمة الملكية وحينئذ كتب هذا الخطاب ( فتح نامه ) وأرسل إلى الممالك المحروسة • ولابد أن تقوم بفرح الفتح وتظهروا السرور حينما يصل إليكم هذا الخطاب •

وقد كتب هذا فى شهر شعبان عام٧٩١هـ بموقع قوس اوه •

فراز اند و دست کرده چنانچه آیین امانت داریست سر بمهر بتدبیر دلپذیر حشا فهنت
ابراز کرد • درهنگام باز نمودنش نسایم ختامه مسك بمشام انس وجان رسیده • دماغ
همکنانرا مبخر ومعطر ساخت وجواهر الحکایات نفیسه اش که دال بود بر شعله افروزی
شمع دولت آن نور چراغ سعادت و فیروزی بجای کوهر شبچراغ درة التاج اکلیل
کامکاری نموده هر نقطش چو در ثمین بجای کوشواره در کوش خرد کشیده شد ومعانی
نفیسه اش را چون روح ثانی ممد حیات جسمانی انکاشته تشنهٔ آب خضر وتمونهٔ جام
جم پنداشت وچون مشعر بود بتسلط واستیلاء آن ملاذ اسلام بر قلاع وبلاد کثیره
از ممالك اعدای سقر مقر بد اندام وانتقام کشانیء فرمانیان بد سرانجام سپارش ملك علام
ادا نموده کفت ❊ بیت ❊ چو بر تافت تابع ز متبوع روی ❊ یقین شد بدیه بلا مرك پوی ❊
مع هذا در باب عفو وامان آن انکه شایستهٔ لطف واحسان شاهانست بجای آورده اند
جزاکم الله خیر جزاء امید که همواره اعدا سرنکون ومخالفان زار وزبون کشته
چون مهر منیر غالب کیر باشند باقی حالات را از رسول مشار الیه استخبار فرموده علی
التعاقب فرستادهٔ این مخلص قدیم نیز بصوب صواب نما متوجه شناسد ان شاء الله تعالی
حق جل وعلا وجود شریف خداوندی را در اوج عزت ممهد داشته دولت بکام وکیتی
غلام باد بمحمد وآله وصحبه الامجاد      بیورت اوجان

---

﴾ خنتکار سلطان مراد خان غازی حضرتلری بلطفه الباری قوس اوه صحراسنده ﴿
﴾ ضرب حاکنی اقرانی اولان التی نفر پاشا ایله یوزدقد نصکره وقوعبولان نصرتی حاوی ﴿
﴾ ممالك محروسهٔ شاهانه یه یازمش اولدیغی فتحنامهٔ همایونك صورتیدر ﴿

---

تیمنا بذکره الاعلی ولله الاسماء الحسنی ﴾ قل اللهم مالك الملك تؤتی الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بیدك الخیر انك علی کل شیء قدیر ﴿ حمد بی غایه
وشکر بی نهایه اول کریم وهاب ومفتح ابواب وغالب علی الاطلاق ورازق خلیقهٔ آفاق
جنابنه لایق وسزادر که اوای سعادت اقتناسی سلاطین اسلام مداری طراز صبح جهان
افروزکبی مشارقدن مغاربه مطرز ومعلی قیلوب وسنجاغ مهر درخشانی اوج رفعت
وفیروزیدن اباعد واقاربه ارسال والقا ایدوب عسکر انجم مآثر سپهر مقادیر اهل دینك
مطاعن رماح وسهام شهاب ارتسامن اعدای شیاطین نهاد رجو میچون برق خاطف
ماندی ظلمت هیجای دیجور آثارده روان ویران ایلدی واجساد آتشی نژاد عبدهٔ عبدهٔ
اصنام کفار خاکسار رجیم مقام خذلهم الله ودمرهم اوزرلرینه جهادی ارباب اسلامه
فرض ولازم قیلدی ومعرکهٔ قتالده ضرب وحرب ایدوب ﴾ یقاتلون فی سبیل الله
فیقتلون ویقتلون وعدا علیه حقا فی التوریة والانجیل والقرآن ﴿ مضمون سعادت
مشحوننه مظهر دوشنلری ﴾ من غزا غزوة فی سبیل الله ادی الی الله جمیع طاعته ﴿ حدیث
شریفیله مغتنم ایدوب ﴾ الذین آمنوا وهاجروا وجاهدوا فی سبیل الله باموالهم وانفسهم
اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون یبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات
لهم فیها نعیم مقیم خالدین فیها ابدا ان الله عنده اجر عظیم ﴿ آیت کریمه سیله درجات
عظیمه یه نائل قیلوب وفی سبیل الله شهید اولنلره اشارت بشارت حدیث شریف
حضرت رسالت ﴾ لا یجد شهید من الم القتل الا کمس القرصة ﴿ سهولتندن استنامت
واستراحت نصیب ایلیوب و فرمان حیاتبخش ﴾ ولا تحسبن الذین قتلوا فی سبیل الله

امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتيهم الله من فضله ﴾ تحقيقندن عمر ابدى
وبقای سرمدی مرزوق ایدوب ﴿ من قاتل لیکون کلمة الله هی العلیا حرمه الله علی
النار ﴾ حديث منيفى اوزره برات براءت عذاب جحيم احسان بيوردى لهذا اقضى قضاة
المسلمين اولى ولاة الموحدين حجة الحق على الخلق اجمعين وارث علوم الانبياء والمرسلين
المختص بمزيد عناية الملك المعين الحاكم العدل بقضاء بروسه دامت فضائله كما طابت شمائله
توقيع رفيع همايون واصل اولیجق معلوم اوله که سنه احدى وتسعين وسبعمائه شعباننك
اون دردى واقع اولان دوشنبه کونی قوس اوه صحراسنده اعدای خاكساراله معركهٔ غزاده
صفوف قتال مهيا قيلنوب محاربه يه آغاز نده ايكن اتفاق اعدا جانبندن نوعا تعويق
ملاحظه اولنغين الخير مااختاره الله اوزره توقف اولنوب لكن طرفيندن قرا وللر
چيقوب غفلت اوزره اوناغله بوجانبدن ايچه بلبان شيرژيان وبرغزانكی ارخنا زيرك
قراولنه طوتنوب وايكی نفر براردللرى كيلن باشلرله مغرب نمازينه قريب ايدى كه ركاب
همايون اوكنه الى بغلو ايرشدروب نكرنسار قلدقدن صكره خبر آندی كه احزاب
مشركين عليهم لعاين الله والملائكة والناس اجمعين اسلام عسكرينه شبخون تدارکن
كورمشكن يوركيل نام بان شايد حاضر شكار يمزى كيجه ايله قاچوروب الدن
چقاره وز ديو كبر وعجله توقف ايتدرمش وبو خصوصك اصغاسندن ﴿ عسى ان تكرهوا
شيئا فهو خير لكم ﴾ فحواسيله قلوب مؤمنينه نوعا تسلى بولنوب وبالجمله نماز ونياز قيلنوب
درگاه كريم كارسازدن استدعای فتح وظفر اولنوب اجابتى اميديله اول كيجه صبحه دك
هركسنه اقدامى ركاب اهتمامدن ايرميوب ديده يه خواب غفلت حرام وحسام خون
آشام فرق فرق اعدانك قطعنه نيامدن خارج بى صبر وآرام ايدى كه مادر ايام الليل
حبلى منطوقه سى اوزره براتون باشلو عنصر لطيف توليد ايدوب آباء افلاك اسم پاكن
مهر بلند اختر وخورشيد برج ظفر اطلاق ايدوب وبالجمله لشكر اسلام فريضهٔ
صبحدن صكره پياده وسوار اعلام نصرت نكارك يمين ويسارنده الاى الاى وفوج فوج
وفرقه فرقه ايريشوب آداب وخضوع وانقياد اله حاضر اولوب طرز ديلر وترتيب صفوفه
شروع قيلنوب صاغ قولده فرزند ارجمند دولتيار وقائمقام سلطنت شعار المؤيد
من عند الله الملك المنان اوغلم يلدرم بايزيد خان ادام الله تعالى ايام عزه واقباله تعيين
قيلنوب واندن اشاغه امير الامراء الكرام روم ايلى بكلربكيسى تمرتاش پاشا دام اقباله
وامراء كرامدن اورنوس بك وايچه بلبان وطورجه بلبان ولالا شاهين وعيسى بك
ويخشى بك ومستجاب صوباشى وصول قولده فرزند سعادتمند عاقبتدار اوغلم يعقوب بك
طال بقاه مقرر قيلنوب واندن ايچه امير الامراء الكرام اناطولى بكلربكيسى صاروجه
پاشا قوشوندى لشكريله وقسطمونى وجيد ومنتشا وتكه بك زاده لرى وكرميان
سپاهيلريله اينه بك صوباشى وقره مقبل طوروب وذات همايونم جسد ده روح كبى قلب
سپاهى يه كيروب ووزير لا نظير على پاشا يسر الله له مايشاء مقدمة الجيش مراسمن يرينه
كتوروب كيتورمكه تقبل ايدوب على وارشهادت ميدانتده سبقى اختيار ايدوب
مهيا ايدى ويكيچرى اغاسى محمد اغا عرصهٔ سطرنجده شاه اوكنده پياده
طوردكى يرين بكليوب فرزين بندلك منصوبه سنه استحكام ويروب وايكى بيك نفر
تيرانداز زردخى طوس واشكبوس جنكنه معادل قبضهٔ كماندن پنجهٔ زرين منفك ايتميوب
خدنك جان ستانى دشمنه حواله ايتمك اوزره طوررلردى مقابله دن دخى مادة الفساد اولان

لارى اولوب ارمودن و ياغى اولوب ويوسنه حرالى واويد اولوب واذلاق ولشكروس و بلغار
وارنبود و چه وله بالرين جناحين مكسورينه الوب بويدى نفر اعداى خاكسارك
باشبوغلريله يدى باشلو اژدرها كبى زمرۀ اسلام قصدينه باش بركدوب
جمله آهن پوش وتيغ بردوش پربرحركته كلوب آهنك جنك وجدال وآغاز حرب وقتال
ايلدبلر درحال بوجانبدن آتش غيرت اشتعال بولوب اولا وزير اعظم على پاشا ميدانه آت
صالوب اعدادن شبخون تدبيرين منع ايدوب قراوللرى اولان بوركيل ايله جنك وجدال
ايتديكنده بعنايةالله تعالى مزبورلك باشن كسوب ركاب همايون اوكنه سرنكون
راقدقده اعلام نصرت انجام فتح وظفر اهتزازايله خرامه باشلیوب ويوبر كوس حربى
ونقاره وطبل چالنوب وبورى وسورنا صداسى فلك اطلسه پيوسته اولوب صاغ
وصولدن صواش واوغراشه باشلنوب وطوپ وتفنكلر اتيلوب هوا تيرباراندن نهان وزمين
خون يلاندن رنك ارغوان ماننداولوب كثرت غباردن شمس تابان كورنميوب هر يكادن
قاوشمه ودوندرشمه ظهور بولوب آخرالامر اعدانك الاى نكبت نماسى غلبه شكننده
قلب همايونه هجوم قلشيكن اوغلم يمين الدوله يلدرم خان دام ايام عمره واقباله اطرافنده اولان
عساكر منصوره ايله مدافعه لرينه اقدام تام واهتمام تمام مبذول ومصروف قيلوب سيل روان
ودرياى بيكران كبى اوزرلرينه يوريش ايتدكده رجع القهقرى حزب اعدانك يوزى عكسنه
دونوب ولاس اوغلنك باشى كسلوب سنجاق معكوس وبيراق مكسور يله سم سمند مستمنده
خاكسار براغيلوب وعبرة لاولى الابصار نوك سنانه طاقيلوب انك قتلى اشتهار بولیجق
توابع شيطنت ما ثرى ﴿كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾ مشار اليه اوغلمك
سطوت قهر قهرما نيسندن متفرق وپريشان ومنكسر وكريزان اولوب اولياى
دولت منصور واعداى حضرت مقهور اولديلر ﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى
لولا ان هدانا الله﴾ بو بابده لسان دل وجان وناطقۀ محمدت بيان سپاس وشكرانه مداومت
كوستروب يولده اشلقده بولنان وضيع وشريفه يوللو يولنجه رعايتلر قيلنوب شهداى
مسلمين رحمةالله عليهم اجمعين حضرتلرينه تسليم اولنمغله ملائكۀ اعلاى عليين دن ﴿ادخلوها
بسلام آمنين﴾ خطاب مسرت آيتله فردوس برينه دعوت اولنوب ﴿خالدين فيها ابدا﴾
خلعتيله سرافراز ﴿لهم فيها نعيم﴾ نعمتيله مغتنم وممتاز اولديلر وبرقاچ كون اول منازل
متبركده اقامت اولنوب اساراى اعدا وغنايم بى انتها كليا جمع وتقسيم اولنوب واوتاغ همايون
عودته آغاز قيلوب تخت بخته توجه اولندقده بو فتحنامۀ همايون يازيلوب ارسال اولندى
كركدر كه وصول بولدقده مراسم بشارت قانون قديم اوزره يرينه كتوريلوب
عمدة الاقران سنان چاوش زيد قدره ايله اطراف واكنافه اخبار مسرت آثارى شايع ايدوب
دوام دولت ابد پيوندم ادعيه سنه اشتغال كوستره سز وبوندن غيرى الده خاصه خرج امينيله
كوريله جك مهمات ميرى ايچون حكم شريفم دركيسه كوندرلمشدر اوقويوب كمال
بصيرت اوزره تدارك كوره سز شويله بيله سز علامت شريفه اعتماد قيله سز تحريرا فى اواسط
شهر شعبان المعظم سنه احدى وتسعين وسبعمائه بيورت قوس اوه

---

﴿جنتمكان سلطان مراد خان غازى حضرتلرينك شهادتلرى وقوعيله نعش رحمت﴾
﴿نقشلرينك كوندرلديكى مبين يلدرم بايزيد خان حضرتلرى طرفندن بروسه﴾
﴿قاضيسيله خاصه خرج امينى سليمان بكه اصدار وارسال بيورلمش اولان﴾
﴿فرمان همايونك صورتيدر﴾

فكانها ثعبان له سبع رؤس من قلاعها المشهورة اوتلك القلل سبع رواسى شامخات حصينة رفيعة مهياة بامر الله عز وجل لمقر الخلافة الاسلامية ومرزوقة لنا بتقدير الحكم السبحانية ولاشك انها سلطان البلاد والاخريان من جنبيها يمينا وشمالا كخادمين فى طرق السلطان فلما توجهنا وعزمنا عليها هجم علينا الكفار المملوة فيها خارجا وداخلا وحاربوا معنا فقام المحاربة بيننا وبينهم قريب شهرين بعد ابائهم عن اعطاء الجزية الشرعية ثم عجزوا عن القتال وهربوا من الجدال فازدحم اهل الاسلام وجاهد كل من المجاهدين عن البر والبحر حق الجهاد فقربوا من السور وسعد جم كثير من الكماة الموحدين فوق منافذ جدرانها المندرسة من المنجنيق والعرادة فدخلوا فى نفس هذه البلدة المتبركة المنورة بقدوم الموحدين بالتكبير والتهليل يوم الثلثا والعشرين من شهر جمادى الاولى فقطع فى مبداء الاول رأس رأس هذه الملاعين اعنى التكفور والعين اولحق بجهنم مع سائر المقتولين من المشركين فضربوا دؤرهم وكسر واصليباتهم واغاروا خزائنهم واموالهم واسروا ذراريهم وصبيانهم وجعلوا معابدهم القسيسية مساجد الامة المحمدية وجمع الملة الاحدية وطهرت تلك المواضع عن الارجاس الرهبانية والانجاس النصرانية ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ وامابقية السيوف فعفونا عنهم وقطعنا عليهم الجزية السنوية سعيا لبيت المال فبما تشرف منابر الخطب بشرف القابنا العلية الباهرة وتزين وجوه الدراهم والدنانير المسكوكة بزينة اسمائنا الجلية الظاهرة جهزنا الى خدمتكم الشريفة فخر المقربين وزين حجاج الحرمين خواجة حاجى محمد الزيتونى حفظه الله فى الذهاب والاياب ورزقه الوصول والمعاودة بالخير والصواب لتبليغ الرسالة وترسيل البشارة فالمأمول من مقر عزكم الشريفة ان يبشر بقدوم هذه المسرة العظمى والموهبة الكبرى مع سكان الحرمين الشريفين والعلماء والسادات المهتدين والزهاد والعباد الصالحين والمشايخ الامجاد الواصلين والائمة الاخيار المتقين والصغار والكبار اجمعين المتمسكين باذيال سرادقات بيت الله الحرام التى كعروة الوثقى لاانفصام والمشرفين بزمزم والمقام والمعتكفين فى قرب جوار رسول الله عليه التحية والسلام واعين لدوام دولتنا فى العرفات متضرعين من الله نصرتنا افاض الله علينا بركاتهم ورفع درجاتهم بالنبى النبيه وآله وذويه وبعثنا مع المشار اليه هدية لكم خاصة الفى فلورى من الذهب الخالص التام الوزن والعيار المأخوذ من تلك الغنيمة وسبعة الاف فلورى آخر للفقراء منها الفان للسادات والنقباء والالف للخدام المخصوصة بالحرمين والباقى للمتمكنين المحتاجين فى المكة المعظمة والمدينة المكرمة زادهما الله شرفا فالمرجو منكم التقسيم بينهم بمقتضى احتياجهم وفقرهم واشعار كيفية السير الينا وتحصيل الدعاء منهم لنا دائما باللطف والاحسان ان شاء الله تعالى والله يحفظكم ويبقيكم بالسعادة الابدية والسيادة السرمدية الى يوم الدين آمين يارب العالمين وصلى الله على خاتم الانبياء والمرسلين وآله وصحبه اجمعين

---

﴿ جنتمكان ابو الفتح سلطان محمد خان غازى حضرتلرى دركاهندن استانبول فتحنه دائر مكة ﴾
﴿ مكرمه شريفنه كوندرلك اوزره عزيز مصره كوندرلمش اولان نامهٔ همايونك صورتيدر ﴾

---

اعز الله تعالى انصار المقر الكريم العالى الكبيرى العالمى العادلى المجاهدى المرابطى الغياثى المهدى المشيدى الزعيمى الظهيرى الناصرى معز الاسلام والمسلمين ناصر الغزاة

ذخر المجاهدين ملجأ الفقراء والمساكين زعيم جيوش الموحدين ممهد الدول مشيد الممالك حامي الثغور الاسلامية غياث الملة المحمدية ملك الملوك والسلاطين عضد امير المؤمنين وهنا بهذا الفتح الذي جاء الاطناب في بلاغته وجيزا وابتهل كل موحد به واعلن بسورة الفتح وتلا ﴿ وينصرك الله نصرا عزيزا ﴾ لازالت وجوه النصر ترى في مرآة صفحه وثمرات النصر تجتنى من اغصان رماحه وفروض الجهاد بسيوفه المسنونة في كل وقت تقام وبلاده الاسلامية محروسة بالجناب المحمدي عليه السلام وهمزات عوامله بصدور الكفار موصولة والسن سيوفه بثغور بلادهم من رشف ارحاق دمائهم مبلولة وهمم ابطاله منتظمة في نصرة دين الله كالعقد النظيم ﴿ وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ ولابرحت عزماته تحلى من اعداء الاسلام المقاعد وتحل منهم المعاقد وتحلوا عليهم مواقف الحرب مستقرة المواقد وتطلع في سماء النقع من سيوفه نجوما وقادة وتشهد على الكفار في محضر الغزو وما يعجز وكيف وذاك الموطن محل الشهادة فيعود بحمد الله ما سالك خلف الكفار برا الا ﴿ قالوا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ ولا خاض عباب بحرا ﴿ لا اتخذ سبيله في البحر عجبا ﴾ اصدرنا هذه المفاوضة الى المقر الكريم معربة عما نحن منطوون عليه من التهاني بهذا الفتح الذي وضح على جبين الصباح بشره ورجح على ميزان الكواكب قدره ونخصه بسلام يتأرج عرفا ويبتهج وصفا ويكاد يمازج النسيم لطفا وثناء وجلل ملابس الاكرام واصفى واعذب موارد الوداد واصفى قد اتخذ نفحات المسك طليعه واجل رداء المسك تفويفه وترشيعه وانتشر به بناء الحب الذي استودعه من الصدور الرسائل يحفظ الله هذه الوديعة ونبدي لعلمه الكريم ورود كتابه الكريم وخطابه الذي ازرى بالدر النظيم على يد المجلس السامي الاميري الكبيري الاوحدي الاكملي المؤتمني المقربي الجمالي يوسف القابوني الناصري احسن الله وفادته ويسر الى المقر الكريم اعادته فاكرمناه حين قابلناه ورفعنا محله لدينا وثنا واستنشقنا المسك لما فضضناه وابتهجنا ابتهاج الظمآن بورود وروده ونظرنا منه الى احسن من برود ارض اذا حل الندى ازرار وروده فشممنا مخايل النصر من سطوره ونزهنا النواظر في رياض منظومه ومنثوره وتلمحنا من خطه وخطابه ما هو ازهى من زهر الخمايل عند مر النسيم ووجدناه مشتملا على انواع البراعة محا وشي الرقيم محتويا على بديع الالفاظ التي سحبت ذيل البلاغة على سحبان في الزمن القديم متضمنا بما من الله به ويسره على المقر الكريم من هذه النصرة على اهل الكفر والعناد وبلوغه من ارغام اعداء الله ورسوله بني الاصفر اقصى المراد وانتهينا الى ما اشار اليه من مسيرة على القسطنطينية العظمى بعساكره الاسلامية وجنوده المحمدية وانهم احدقوا بها فكانوا لها اصفادا وزلزلوا ارضها بجيا دخيل وقفت صابرة فكانت اوتادا وانه ارسل اليها في البحر جواري كالاعلام وبدا ما في اللج سوار كانها معلقة بالايام ورماها بفرسان من البر واقدم على منازلها بمن اطاع الله وبره وخطبها بكر امتنعت واطالت في التجني فترفعت فلما تحققت عظم امرها في النفوس ورأت كثرة ما اتى اليها من نثار الرؤس ضجت الى الاحصان بعد النشوز وعلمت ان الامتناع من قبول الاحسان لا يجوز فامكنت زمامها من يد خاطبها وامتعته على رغم انف مراقبها وانشد لسان الحال * شعر * خطبتها بكرا وما امهرتها * الا القنا وقواضبا وفوارسا * من كانت السمر العوالي مهره * جليت له بيض الحصون عرايسا * الله اكبر ما جنيت ثمارها * الا وكان ابوك قبلك غارسا * هذه كلها بغرايم لم يشبها في الحرب نكول ولا تقصير فكان بحمد الله جمعه جمع سلامة وجمع الاعداء

جمع تكثير فاخذهم احد القرى وهى ظالمة واعلمهم ان السيوف الاسلامية لم تترك لهم بقوة الله يدا فى الحروب مبسوطة ولا رجلا فى المواقف قائمة فزلزل بعون اقدامهم ونكس اعلامهم وقابل العد و بصدره وقابل حتى افنى جديد بيضه وسمره وهبت نسمات النصر على جيوشه فقيل يا خيل الله اركبى و بايد النصر اكتبى وقام الحرب على ساق واضحى كل من الاعداء الى حتفه بساق وشجرت سيوفهم الاغماد واقسمت انها لا تقر الا فى الرؤس والاسنة اسرعت والت انها لا تروى ظماؤها الا من دماء النفوس والسهام قد التزمت انها لا تلج كانها الا من النحور ولا تعوض عن جنا بالقسى بحبا با الاضلع الا نز فعها لا تحل الا فى الصدور والدروع قد لزمت الابطال قائلة لا تفارق الابدان حتى تتلى سورة الفتح المبين والجياد حرمت وطئ الارض وقالت لفرسانها لا انطاء الا جثة القتلى ورؤس الملحدين فعند ذلك اثبت سيفه الناصر الحق لانه القاضى فى ذلك المجال ونفذت منهما مه لاجل تصميمه فلم تمهل حتى اخذت دين الاجال وهو سال * شعر * الله اكبر هذا النصر والظفر * هذا هو الفتح لا ان يزعم البشر * فطهر الله منهم تلك الديار وسلوا عند ما ايقنوا بالدمار وصارت بحمد الله نجوم الضلال افلة ومواطن الكفر بالاسلام اهلة وعن الاذان يعرب حيث كان الناقوس يضرب واصوات حماتكم الاسلامية بالتكبير والتوحيد بها عالية فقد فهمنا ذلك وحمدنا الله تعالى وقابلنا هذه البشارة بتكرار الشكر لله الذى جعل جيوش الاسلام حيث سلكت ملكت واين نحت من بلاد اسرت وفتحت فلله الحمد الذى ايدكم بنصره وجعل مهابة جيوشكم فى قلوب الكفرة تقوم مقام هزيمة العدو وحصره وظفركم على حزب المشركين الذين زعزع هيبتكم دانيهم وقاصيهم وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وسدد سهم رأيكم الذى دل على هلاك العدى سرعة نفاذه ووعدكم مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وحكمكم فى بلاد العدى لتنشر وابها المهابة وتطؤها واورثكم ارضهم وديارهم وارضا لم تطؤها ولقد ايدتم هذا الدين الاحمدى الذى وضح به طريق النجاة واستنار وفزتم بقوله عليه الصلوة والسلام ما اغبرت قدما عبد فى سبيل الله فتمسه النار وقوله صلى الله عليه وسلم ان الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض رواه البخارى ومسلم رضى الله عنهما فله الحمد على ما انعم به عليكم من الغزوات التى سطرت اجورها فى صحايفكم وصحايف اسلافكم الكرام وصار خبرها غرة فى جبهة الدهر وحسنة فى صحيفة الايام ولقد انشد شاعر حضرتنا * شعر * كذا فليكن فى الله جل العزايم * والا فلا تجفو بجفون الصوارم * كانك البحر اخضم جيادها * اذا ما تهادت موجه المتلاطم * تحط بمنصور اللواء مظفر * له النصر والتأييد عبد وخادم * فيا ناصر الاسلام يامن بغزوة * على الكفر ايام الزمان مواسم * نحن بفتح سار فى الارض ذكره * سرى الغيث يحدوه الصبا والنعايم * فعند ذلك امرنا باعلان البشاير واظهار الزينة والسرور بممالكنا الشريفة لما من الله به من هذه النصرة وامددناكم بصالح الدعاء مع تضاعف المسرة واضحى المسلمون مستبشرين بهذه النعمة التى تسر بل كل واحد منها باهى لباس وتلا كل منهم ذلك من فضل الله علينا والناس وجهزنا امينكم مفخر الحجاج والزوار زين الدين حاجى محمد الزيتونى زاد الله تقواه وبسرعناه مع الافلورى ات المسكوكة بالسكة الجيدة الجديدة السلطانية المنبعثة الى شريف المكة المكرمة وفقراء الحرمين الشريفين مع القافلة المصرية فالمرجو من الله ان يصل الى المقصود وبالخير

سيعود ان شاء الله تعالى واما ما اشار اليه الكريم من سروره وابتهاجه بجلوسنا على سرير ملكنا الشريف واذعان جميع الرعايا لطاعتنا وامرنا المنيف من المشروق والشريف وانه اخذ بالحظ الوافر من هذه البشرى التى خصت الاسلام وعمت امة سيدنا محمد عليه الصلوة والسلام وانه امدنا بدعائه ان الله يشد ازر سلطاننا ويشيده ويجعل الوية ملكنا الشريف مسبلة على مقامنا ويخلده وما اشار اليه من انه عاقبة هذه الغزوة الشريفة عن المكاتبة والابتداء بالمخاطبة لتحقق بخواطرنا الشريفة تأكيد اسباب الوداد وتصحيح علل الاتحاد فقد فهمنا ذلك ونحقق ان المحبة لنا من هذا البيت الكريم مستديمة والمودة بيننا وبينه كالاسلاف الكرام مستمية وقد تواردت الخواطر منا ومنكم على عقود المحبة بجميل الاعتقاد وتأكد المودة بعزيز الخلوص والوداد واما الهدية التى شرفنا بارسالها فقد وصلت وبالاقبال قوبلت وشكرنا صدق محبة مهديها واثنينا على جميل موالاته التى لم تزل فى ملاء ملكنا بنديها وقواعدنا المجلس السامى الجمالى قاصدكم المشار اليه بعد ان عومل بمزيد الاكرام ووافر الاحسان وغرر الاحترام وارسلنا معه احد امرائنا واعز اخصائنا المجلس السامى الاميرى الكبيرى الذخرى المؤتمنى الاخصى الاكملى المقربى الارحدى السيفى برونق الاشرفى ادام الله سعادته وكتب سلامته بما على يده من كتابنا الشريف وخطابنا المنيف والهدايا والتحف التى تؤكد اسباب الوداد وجميل المصافات والاتحاد وحملناه من السلام للمقر الكريم ما يتبسم ثغر الدهر عند ادائه ويسفر وجه البشر عند ابدائه وسيحيط علمكم الوسيع بما حملناه من ذلك فتحف بتجهيز رسله واخباره السارة من هناك والله تعالى يمده باعزازه وانصاره ويخلد نعمه عليه بدوام ليله ونهاره بمنه وكرمه كتب فى اواخر شهر ذى القعدة الحرام سنه سبع وخمسين وثمانمائة الهجرة النبويه على واضعها السلام

﴿شريف مشار اليه طرفندن همايون متبركه ايله برابر كلش اولان جوابنامه نك صورتيدر﴾

يقبل الارض فى حضرت السلطانى المخدومى المظفرى المنصورى المجاهدى المرابطى الاعظمى المؤيدى المشيدى العونى الغوثى النصيرى الناصرى معين الاسلام والمسلمين سلطان الملوك والسلاطين نور عيون المجاهدين نور حدايق لطف الله فى الارضين قهرمان الماء والطين محيى الشريعة المحمدية منجى الملة الاحمدية الفايق على اسلافه فى الغزو والجهاد المباهى بين اقرانه بالفتوح وتسخير البلاد الذى يفتخر بعهده الشريف السوابق واللواحق من آل عثمان المشرف بتشريف ﴿ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ﴾ لازالت اوليائه منصورة واعدائه مقهورة وحصون الخصماء بصلابته مفتوحة ونواحى بلدانهم وديارهم بمهابته مضبوطة وما برحت نواصى احباء دولته فى غداة غزواته مبيضة وشفاههم ضاحكة مستبشرة ووجوه المشركين عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وعساكره المنصورة مؤيدة من عند الله العزيز المجيب واعلام نصره منتشرة بكتايب * نصر من الله وفتح قريب * ما قرت الغبراء قرارها ودارت الخضراء ادوارها بالنبى النبيه وآله وذويه وبعد يبدى لعلمه العالى اعلاه الله وادامه بالدولة الابدية والسعادة السرمدية ان مشرفتكم الشريفة ومبشرتكم المنيفة وردت الى المخلص الداعى بالاخلاص ومحبه المباهى بالاختصاص على يد فخر الزوار وزين الحجاج خواجه حاجى محمد الزيتونى زاد الله تقواه وجعل اخريه خيرا من اوليه فى احسن الاوقات واطيب الساعات فاستقبلناها بالتعظيم وقبلناها بالاجلال والتكريم وفتحناها بكمال الادب وقرأناها مقابل الكعبة المعظمة

بين

بين اهل الحجاز وابنـاء العرب فرأينا فيها من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين وشاهدنا
من خفا وبهـا ظهور معجزة رسـول الله خاتم النبيين وماهى الافتح القسطنطينية العظمى
وتوابعها التى متـانة حصنها مشهورة بين الانام وحصانة سورها معروفة عنـد الخواص
والعوام وحمدنا الله تعـالى بتيسير ذلك الامر العسير وتحصيل ذلك المهم الخطير حمـدا يوافى
نعمه وشـكرا يكافى كرمه على ان ادائها فريضة مشكلة واحصاءها خارج عن الطـاقة
البشرية مقرين بالعذر والتقصير راجين الاعانة منه فى طاعته انه على ذلك قدير حسب ماورد
فى الاخبـار من الاخبار الاخيار ان اعتراف العبـد بقصور خدمته لمولاه عنـد الغفلة سهوا
اومن عدم الاقتـدار سعيا معدود من احسن العبـادات والقبول موقوف على رضائه حال
التضرع فى الخلوات اللهم يا رب الكعبـة والعرفات ويا نور الارض والسمـوات انصر
من نصر الدين واحفظ من حفظ المسلمين واكتب السلامة على كافة الغزاة وعامة المجاهدين
والحـاج والمسافرين فى برك وبحرك يارب العالمين وفرحنـا بها نهاية المسرة وبشـنا بذلك
غاية البشاشة وابتهجنا من احيـاء مراسم آبائكم العظام والسلوك بمسالك اجدادكم الكرام
روح الله ارواحهم وجعل اعلى غرف الجنـان مكانهم فى اظهار المحبـة لسكان الاراضى
المقـدسة من الفراق الاسلامية عملا بمدلول والحب يتوارث واهدائكم لنا ولسائر السادات
والفقراء والصلحاء والعلماء المسرورين بما قال رسول الله عليه وسلم خيار امتى قوم يضحكون
جهرا من سعة رحمـة ربهم ويبكون سرا خوف عذاب ربهم بالغـداة والعشى فى البيوت
الطيبة يدعون بالسنتهم رغبـا ورهبا ويسألون بايديهم خفضا ورفعا مؤنتهم على الناس
خفيفـة وعلى انفسـهم كثيرة الحديث تسعة الاف افلوريات الجديدة بالسكة المحمدية
من انفـال تلك البلدة العظيمة المعينة تقسيمهـا فى مراسلتكم اللطيفة فعملنـا بحسب
الاشـارة الشريفـة فقبض كل واحد من المستحقين كل القبض وقال النـاظرون
عليهـا النرجس الاصفر خير من الابيض وامتـلأت اكف الفقراء من الذهب الاصفر
فصـاروا كطالبى الاكسـير الواصلين الى الكبريت الاحمر واعين لكم بخلوص الجنـان
راجـين قبوله من الله الملك المنـان كما قال عليه السلام دعاء المحسن اليـه للمحسن لايرد
حامدين لله عـلى انعمه فى الايام وساعاتها عملا بما قال عليه السلام الحمد على النعمـة امان
من زوالهـا والمسؤل من فضل الله الكامل ان ينـالكم خير الدارين العـاجل والاجل
كما نقل عن النبى صـلى الله عليه وسلم جنة عـدن فى السماء العليا لا يدخلهـا الا نبى
اوصـديق اوامام عادل اخر الحديث والملتمس من جنـابكم السـامى ان يحيط علمكم على
احوال فقراء هـذه الديار بالاصـل والفرع ويزيد لطفكم على الضعفـاء للتمكين بواد
غير ذى زرع ابتغاء لمرضـات الله يوم معاده كما قال عليه السـلام خصلتان ليس فوقهما
شئ من الخير الايمـان بالله والنفع لعبـاده وبعثنا مع الحاجى زين الدين المشـار اليه قدوة
الصلحـاء والمتورعين مولانا نجم الدين السـيوطى زاد الله تقواه لينوب منابنـا فى تقبيـل
سدتكم السـنية وتلثيم عتبتكم العلية وتحفنا الخـدمتكم برقع باب المكة المعظمـة والاقمشة
الهندية المتنوعة سـبع طقوزات وعشرين شـاشاة المبلولة بماء زمزم ورأس رمكة معلمة
طـائرة فى الهوى كحمامة الحرم فالمرجو من نواب ابوابكم العالية الانعـام بالقبول والعذر
عند كرام الناس مقبول ادامكم الله وابدكم بالدولة القاهرة والسلطنة الباهرة الى يوم الدين آمين

﴿ جنتمكان ابو الفتح سلطان محمد خان غازى حضرتلرى دركاهندن خواجه كرعى الشاميله ﴾
﴿ ايران شاهى جهانشاه ميرزايه استانبولك فتحى تبشيريله كوندرلمش اولان نامه همايونك صورتيدر ﴾

## ملحق رقم (٣)

صـــورة عن نشرة فتح بلغراد والتي أرسلت إلى قضاه الممالك المحروسه

مفاخر القضاة والحكام ومعادن الفضائل والكلام والمختصون بمزيد عناية الملك العلام ياقضاتي لممالك المحروسة حينما وصل إليكم هذا الأمر تفكروا في مضمون هذه الآية ( قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ) .

والصلاة على عبدك الجميل الشفيع المشفع يوم التذليل والتبجيل وعلى جنده الذين مثلهم في التوارة والإنجيل ، أن تضعوا أقدامكم في طريق الشريعة الإسلامية بموجب أمره (فاستقم كما أمرت) . وعلى مضمون آيه (ولئن شكرتم لأزيدنكم) علينا الشكر على النعمة التي منحنا وعلينا كذلك التمسك بأمر اللّه تعالى ( قاتلوا المشركين كافة ) لكي نسقط الوجوب عن كافة المسلمين لأن من قاتلنا فيتوجب القتال على الجميع والله يساعد من قاتل لأجله كما قال اللّه تعالى:( والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ) إنه دولتنا قد شيعت من آذاهم إلى الهزائم ولم تكن بقاياهم الآنتيجة العفو والتسامح من أسلافنا إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكراً للقدرة . وهذا نتيجة لعفو الملك ومن لم يشكر العبد لم يشكر اللّه . ولكن إن مالخولباي من شدة غفلته وبلادته لم يحسب حساباً جيداً فظن أن العالم خالي من الأبطال ، ولم يرعاقبته وأوقدنار الفتنة والفتنة نائمة لعن اللّه من أيقظها وهو لم يفكر في هذا.

وحينما بدأت الفتنة أرسلنا عليهم فرهاد باشا ليقطع دابراهم ( ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ) فيحنما تحرك جيش فردها باشا وهو

مركب من عساكر أناطولي فهاجم الجيش العدو ، والعدو لم يتحمل القتال لمدة طويلة فبدؤوا يفروا من ميدان القتال (حمر مستنفرة فرت من قسورة ) ولكن لم يستطيعوا أن يتخلصوا من الموت (إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ) وجهز الجيش من عساكر روم أيلي ، فوصل الجيش إلى موقع القتال فى زمن يسير ، وكان على رأس الجيش من يسمى أحمد باشا وقد فتحوا قلعة ( بكوردلان ) وكذلك تسمى بقلعة (باطوب) وتمكن الجيش في موقع ساحل نهر صاوه فجعلوا هذا الموقع معسكراً لهم وفتح قلعة بلغراد كان أصعب من كل شئ ولهذه القلعة أهمية كبيرة ، ولفتح هذه القلعة قد أرسل وزير أعظم بير محمد باشا حيث أنه كان رجلاً عاقلاً وقائداً عظيماً ليس له مثيل في العالم . ونهبوا وسلبوا ماكان موجوداً حول نهر صاوة وذلك حول قلعة بلغراد ( كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ) وأصبحوا مهزومين أمام قوة محمد باشا . كأنهم (كأن لم يكن شيئاً مذكوراً ) وبعدما حصلوا على الغنائم من أموال ونساء وغير ذلك بدأوا يتحركوا نحو قلعة بلغراد . فأرسل الوزير مصطفى باشا لفتح القلعة فهاجموا بالمدفعيات ودارت المعركة بينهما فرجموا القلعة بالمدفعيات كرجم الشياطين وجعلوا عاليها سافلها ، ولم يكن لهم مفر ( أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ) (كل نفس ذائقة الموت ) وأخيراً بعض منهم قد ندموا والتجؤوا إلى صفوفنا ( فتصبحوا على مافعلتم نادمين ) ( من يهدي اللّه فهو المهدي) وبعضهم لم يلحقوا بنا ( من يضلل اللّه فلا هادي له ) وأعرضوا عن الإسلام وقبلوا أن يدفعوا الجزية وطلبوا الأمان ، وبعضهم كان يظهر من

سيماهم أنهم من العصاة والأشقياء ،فقتلوا وأرسلوا إلى نار جنهم وصفارهم قد أرسلوا إلى دار الإسلام حيث أن كل مولود يولد على فطرة الإسلام . وأما شيوخهم وعجائزهم لم يقتلوا إنما أرسلوا إلى وسط بلاد المسلمين . وذلل ملكهم وجمع أمرائهم للاستفادة منهم وأرسلوا إلى دار الحكومة .

تحريراً فى أواخر شهر رمضان المبارك سنة سبع وعشرين وتسعمائة بورت قصبة بلغراد .

قلب قوناغنه احمد پاشایه بروجه استعجال کله سز دیوبنشه آدم کتمشیدی بوکون کلوب اردویه ملاقی اولدی یوم الاثنین فی ٥ توقف یوم الثلثا فی ٦ توقف یوم الاربعا فی ٧ یوم الخمیس فی ٨ قبالو قریه سنه که دربند در یوم الجمعه فی ٩ سمزجه قریه سنه یوم الاحد فی ١٠ تفسن چرمن قوناغنه یوم الاثنین فی ١١ شهر ادرنه یوم الثلثا فی ١٢ توقف سعادتله شکاره سوار اولدیلر یوم الاربعا فی ١٣ بابا اسکیسی قوناغنه یوم السبت فی ١٥ قارشدران قریه سنه یوم الجمعه فی ١٦ عربلو قریه سی قوناغنه یوم السبت فی ١٧ سلوری قوناغنه دولتلو خداوندکار قوناغنه کلدکده برمقدار آرام ایدوب بعده ذایغه بنوب مدینهٔ استانبوله روانه اولوب سعادتله سرای عامره یه وصول بولدی

﴿ ممالك محروسه قاضیلرینه کوندریلان بلغراد فتحنامه سی صورتیدر ﴾

مفاخر القضاة والحكام معادن الفضائل والكلام المخصوص بمزید عنایة الملك العلام ممالك محروسهم قاضیلری زیدت فضائلهم توقیع رفیع همایون واصل اولیجق معلوم اوله که چون آیت وافیة الهدایهٔ ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتی الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ وكلمهٔ واضحة الدلالهٔ تفتح القلاع وتطفی نارها وتضع الحرب وتعطل دارها فی الاجراح من وراء نار ولا مجارة وتبحر عن الاوجاع من دون غسل ولا عصارة مضمون بیاوب والصلاة علی عبدك الجلیل الشفیع المشفع یوم التذلیل والتبجیل وعلی جنده الذین مثلهم فی التوراة ومثلهم فی الانجیل هر تاجدار که برحسب ﴿ فاستقم كما امرت ﴾ قدم همتن جادهٔ شریعتده راست قویوب ﴿ اجیبوا داعی الله ﴾ مقتضاسنجه اجابت دعوات رحمانی سبب ظلال غفران وامتثال اوامر یزدانی موجب زوال عصیان بیله لاجرم بمقتضای فحوای ﴿ لئن شكرتم لازیدنكم ﴾ الایه سایهٔ دولتی عامهٔ رعایا وسایبان حشمتی کافهٔ برایا اوزرینه ممدود اولوب عکس سم سمند کیتی نوردندن صور اقدار کامرانی وپرتو علم عالم اراسندن مثال شموس شادمانی ظهور ایدوب ناصیهٔ سعادت نماسنده نور نصرت واضح وچهرهٔ دولت افزاسنده ستارهٔ رفعت لایح اولور فلذلك چون فحوای کشورکشای ﴿ قاتلوا المشركین كافة ﴾ الایه صدر نشینان سریر ﴿ انا جعلناك خلیفة فی الارض ﴾ شاننده شامل بل عامهٔ متشبثان دامن ملت احد وکافهٔ متمسکان عروهٔ وثقای شریعت محمدی بابنده متناول اولوب بناء علی هذا ذمم مسلمیندن بالطول والعرض ازالهٔ واجب واسقاط فرض ایتمك ایچون رکاب همت وعنان عزیمت غزو وجهاد جانبنه مصروف طوتمق امرنده حرکات فکریه ایله تتبع طوایف ارباب ضلال ایدیجك برموجب ﴿ والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا ﴾ الایه مرشدان فتوحات غیبیه ومنهمان فیوضات لاریبیه انکروس مأیوس که اباعن جد غدای شیر دولت وطعمهٔ شمشیر رفعت اثرلك اعصاب وعظام ولحوم اعضای عقوبت انجاملرندن پرورده اولمشدر اثر طرفنه راست ایدوب اما سابقا سردار سرکشان کروه اشقیا جانبردی باغی که جماعهٔ بقایای شمشیردن جها نکیر مزایدی اذا قدرت علی عدوك فاجعل العفو شكرا للقدرة موجبنجه تربیت عفو شاهی ایله نشو ونما بولمشیکن من لم یشكر العبد لم یشكر الله مضموننden غفلت کوستروب وسوسهٔ شیطانیه اعوجاج جبلتنه تقویت ایتمکله کاسهٔ دماغی شرور وغرورden مملو اولوب بیابان غفلتده تخیل ایتدوکی مالخولیای فاسده سی ﴿ کسراب بقیعة یحسبه الظمآن ماء ﴾ الایه قبیلندن واقع اولوب غایت عادت ونهایت بلادتندن غروب آفتاب مولد طلوع دیکر وظهور ظلمت معدنور آخر اوله جغنی فهم ایتیوب ملکی حفظهٔ ملتدن خالی خیال ایدوب

كفتى ترازوى كلمات حكمت مقاماتنده غلط ايتمك سببى ايله ﴿ انجمه من عمل الشيطان ﴾ دامنه تشبث مقامنده ﴿ الفرصة تمر مر السحاب ﴾ كريبانـنه متعلق اولدوغى اجلدن ﴿ الفتنة نائمة لعن الله من ايقظها ﴾ خواسيله عمل ايدوب اثارت غبار فتنه وايقاد نار فساد ايتمكه مباشرت ايديجك ﴿ ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ﴾ الايه مقتضاسنجه كلزار عالمى انك خار وجودندن تجريد ودامن جهانى نجاست عينندن تطهير ايتمك واجب اولديغى سببدن بندكان دركاهمزدن بعضيسى ايله اناطولى عسكرينه افتخار الوزراء الكرام وزير صاحب تدبير نصرت بشير دولت مشير فرهاد پاشا كه خلق شيرين شاه عادل هراسيله دلاورلك ميدانى ميانلرنده سودا زده قهر اعداى دولت اولدقده خسروان كره وقار ردلاوران خصم شكار مقابله سنده پايدار ولق قبيل محالاتدندر تللنك لشكر مذكوره سردار ايدوب هدم اساس ارباب عدوان وقمع عرق اصحاب عصيان ايتمك قصدينـه متوجه اولنجق عند تقابل الصفين زمرهٔ جمهور باغيان معركهٔ قتالده بار كران كرزينـه تحمل ايده ميوب ﴿ كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ﴾ الايه جادهٔ فرار اختيار ايتدكلرنده منشور نجاتلرينـه طغراى ﴿ ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ﴾ الايه چكيلوب غزاى واجب الاذعانك رأس پرأسى عتبهٔ عليه مه كلدى ولشكر مذكور شيرزن عساكر نصرت شعارمه ملحق اولمدين ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ الايه مقتضاسنجه ترتيب عساكر كران بى كران وجمع جيوش مالامال وفراوان ايتمك سوزن عتبهٔ عليه مده حاضر بولنان خاص قوللرم ايله مجرد روم ايلى عسكرين غزا نيتنه تكميل ايدوب چون امواج يم وياسيل عرم تلال ودهان وشرائع امصاردن كذر قلوب مدت يسيره ده مسافهٔ كثيره قطع ايدوب دار كفاره مشترك سرحده قريب موضعدن روم ايلى عسكرينى سرلشكرى احمد پاشا ايله كه شهسوار معركهٔ سربازى وسررشتهٔ سلسلهٔ سرفراز يدر كوندروب بكر ردلان ديمكله معروف قلعه باطوب وتفنك ايله جنك خسروانى ايله فتح ايدوب عقبنجه اردوى همايون لشكر مذكوره ملحق اولوب كنار نهر صاوه كه ❊ بيت ❊ اكر جمع اولنسه فرات ايله نيل ❊ مهابتده اولمز بو نهره عديل ❊ اطراف وجوانب نهر مذكور مخيم اردوى لشكر منصور واقع اولوب مدتى چند براى عبور از نهر مزبور وضع قنطره امرينه اشتغال كوستريلوب ❊ بيت ❊ بو نهر ايله بو يلدن اولور نشان ❊ سمايله اوسنده كى كهكشان ❊ وبلغراد نام قلعه كه پاى اساسى پنجه كيرساق سمك وقلهٔ قلهسى پابوس فرقدان فلك ركوشى رازدار اسرار اهل سما ومنع بناسى سركوب پايهٔ سرير عنبرسا اولوب قوت دست انسان بل زوربازوى امكانله دائرهٔ تصرف ابناى زمانده واقع اولمسى خرط قتاددن اصعب وخرق معتاددن ابعد ايدى لكن همت شهريار سعادت شعاره عون ربانى دستگير اولوب كيفيت تحصيلنده خارجدن ظهير ظاهر اولمدين اول سور معمور محصور وقلعهٔ محتاط محاط اولمق ايچون مقدما افتخار الوزراء العظام وزير اعظم پير محمد پاشا كه حامل تدابير جماهير انام وكامل مصالح اكابر واصاغر بنى آدم مرآت جمال قوانين عثمانى كنجينهٔ درر معارف ومعانى دل مشكل كشاسى فلك تاسع كبى واسع وطبع عالم آراسى عقل عاشر كبى خاضر درواررب كاحاطة الهالة على القمر احاطه واحصار ايتدى ﴿ وبين بحرين عجيبين بل بحرين مهيبين ﴾ طونه ايله صاوه مابينلرنده سر واقع اولان سرم اطه سى كه معمورهٔ ديار عالك كفارندر از سر تا پا مرة بعد اخرى نهب وغارت اولنوب ﴿ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ﴾ الايه انلرك باينده ظهور بولوب اطهٔ مزبورده واقع قلاع ورسوم محل كلاغ وبوم واقع اولوب ﴿ كان لم يكن شيئا

مذكورا

مذكورا ﴾ الايه قلنـدى وافراد عسـاكر منصوره دن هرفرد تفحـات كلزار امانى ونسايم
غنـاء فراوانى وغلامان غلمان نهرشت وكنيز كان رشـك حور بهشت ماحصـل ازمين
وبسـار ظهور خيول بال رهكذار مور ومار ارزاق بيشمـار واموال مالا مال كفـار ايله مملو
اولوب خندان وفرحان اولدقدنصكره عنـان عزيمت كيتى نورد وبرق رفتـار بلغراد طرفنه
معطوف قلنوب قلعهٔ مزبوره نك هرطرفى رخنهٔ دخول وثقبهٔ وصول قلنوب اول هجومده
واروش قلعه فتح اولنوب بعـده مدبر امور احوال جهان ومربئ اهـالئ زمين وزمان
صـاحب العز والتمكـين مرغم انوف المتردين وزيرم مصطفى پاشا قلعهٔ مزبوره ده پايدار
اولوب روز وشب كاه عقول عقلايه عقال امور صعبـه ده كره كشـاى عقد اشـكال اولوب
❊ بيت ❊ آفتـاب رأى اوكر سايه بر چرخ افكنـد ❊ ماه را عار آيد از خورشـيد كردن
اقتباس ❊ كاه مجمرهٔ طوب وتفنـكله عطر دماغ داورى وكرد كرد معركه ضرب وحربى
توتياى بصر بهادرى ايدوب ❊ بيت ❊ فيك مشـام كسى خوش كند ببوى مراد ❊ كه خاك
معركه باشـد عبير عنبراو ❊ كفرهٔ مذكوره انواع مكرله كروه اسـلامى دفع ايتمك قصد
ايتـدكلرنجه پاشـاى مشار اليه توابعيله ﴿ كأنهم بنيـان مرصوص ﴾ الايه جادهٔ همتنده
ثابت قـدم اولوب زلازل طوب وتفنـك كفار دن متحرك ومتزلزل اولميوب كما كان افكار
صائبه سى مقتضاسنجه مواضع متعـدده دن طوب وتفنك اچون مترسـلر وضع ايدوب اصل
قلعـه نك دخى ﴿ فجعلنا عاليها سـافلها ﴾ موجبنجـه بعض ديوارن بدسـتيارئ طوب
مسـاوئ روى زمين قلنوب وقـلعه لرينك بعضيسنى طوب لقساملة تخريب وبعضى شرارهٔ
آتش انتقـامله تحريق قيلوب چند روز طرفيـندن متوالى ومتتابع صـاعقـهاى طوب وتفنك
وشرارهاى آتش بى درنكله جوانب ست جهـات بل همه اجزاى جو كائنـات چون كرهٔ
جبادين آتشين اولوب شرارهاى طوب وتفنك جهـانى قاپلايوب باعث زلزله وسبب ولولهٔ
زمين وزمان واقع اولدى وعسـاكر منصوره دن يكيچرى طائفه سى كه پلنـك افكنان كوه
داورى وصف شـكنان ميدان بهـادرى وشيران بيشـهٔ شجاعت ونهنكان بحر جـلادتدر
برق وار اول قلعهٔ آسمان اسـاسك برج وباروسنه عروج ايدوب ﴿ رجوما للشياطين ﴾ الايه
اول طائفهٔ طاغيه نك حيـاتلرين خاكـستر ايدوب وياخود سمند وار طبقات هوادن كرهٔ ناره
صعود ايدوب بازوى بازى تيز منقار پنجه كير نخجيرهاى كفار واقع اولوب برسبيل ﴿ اينما تكونوا
يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشـيدة ﴾ الايه هيچ وجهله اول حصن حصين وحصار
متينه تحصنلرى مفيد اولميوب ناصيهٔ حياتلرينه رقم ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ الايه چكيلوب
حفظ ثمود وعصمت ثمروده ارتحال ايتديلر واهل اسـلامدن قتيل اولان شهدا ﴿ ما عنـدكم
ينفد وما عنـد الله باق ﴾ الايه ملاحظه سيله ﴿ فى مقعد صـدق عند مليك مقتدر ﴾ الايه
دار جنـان وجوار رحمانده مقارن سـاكنان خلد برين ومشاهد شـاهدان اعيان حور العين
واقع اولـوب ﴿ كل نفس بمـا كسـب رهينة ﴾ الايه فحواى ان لله ملكا يسوق الاهـل
الى الاهل هرفريق شـاننده صـادر اولدى وطرفيندن هنوز قيـد حيـاته مقيـد اولنلر
ما بيننده مصـادمات كـثيره واقع اولدقدنصكره صـدق مضمون ﴿ لا يسـتطيعون
حيلة ولا يهتدون سـبيلا ﴾ اول مردهٔ ملاعين حقنده واقع اولـوب وبعـد اليتيا والتى
كندو نفوس خبيثه لرنده قوت مقـاومت وقدرت مدافعت فهم ايتميجك بموجب ﴿ فتصبحوا
على مافعلتم نادمين ﴾ كفرهٔ مذكوره نك صيت وصـدا وصولت وصـلابت اصلنـدن
بعضيسى من نجا برأسه فقد ربح مسلكنه سلوك ايدوب ﴿ من يهدى الله فهو المهتدى ﴾

الایه موجبنجه ورطهٔ هلاك كفردن نجات بولوب نفحات كلزار اسلامله دماغ قلبی معطر ورشحات باران ایمانله چهره‌لرین منور قیلوب وبعضیسی ﴿ من یضلل الله فلا هادی له ﴾ مقتضاسنجه قبول اسلامدن اعراض ایدوب جزیه قبول ایتمك اوزره طلب امان دامننه تشبث ایدوب لكن بوطائفه‌نك بعضیسی ﴿ یعرف المجرمون بسیماهم ﴾ الایه دلالتی ایله فراست مرآتنده الشقی شقی فی بطن امه زمره‌سندن اولمسی معلوم اولدوغی اجلدن ﴿ والذین كفروا اولیاؤهم الطاغوت ﴾ موجبنجه اول مرجع مردهٔ طاغیان اولان سركرده‌لری طرفنه الحاق اولنوب بعضیسی كل مولود یولد علی فطرة الاسلام مقتضاسنجه الشقی قدیسعد ملاحظه اولنوب داراسلامه كوندرلدی واكرچه تیغ خون آشام سینه كینه خواه خدام عتبهٔ علیهٔ عثمانیه بر اعدای عاد عناد ودشمنان ثمود نهادك تشنه اعناق اعدای اصحاب دین واغراق دشمنان ارباب یقین مقطوع ونغیلدی فاما قاعدهٔ شرع مصطفی وقانون طریقت اصحاب صفا ماء عیون ارباب بیضا واقع اولوب امر طلب امان قتل اصحاب عدوانه جمع اولنمین ائمهٔ علماء دین تجویز ایتمدكلری اجلدن اول زمرهٔ بحریه رخصت وامان ویریلوب رسم ولایت اسلامیه یه سورلدی واصل قاعده اكرمه اول جمع سركشتكان بادیهٔ ضلالت ومرجع كمرهان وادیٔ غوایت قرال مغرورك سرنكون ومكسور اولمسی ایدی فاما بر موجب ﴿ وشاورهم فی الامر ﴾ بودیارك امراء نامدار وكبرای كامكاراریله‌دن تفحص اولندقده وقت طفاردر ان شاء الله وقت وسعتده فرصت كوزدیلوب انتقام بهجت انتظام صورت اتمام بوله بو اجلدن ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ﴾ موجبنجه عنان عزیمت برق رفتار جهت استراحت لشكر منصور وتشریف مدت مشكور ایچون طرف داراخلافه معطوف ومنصرف قلندی تحریرا فی اواخر شهر رمضان المبارك سنه سبع وعشرین وتسعمئة بیورت قصبهٔ بلغراد

﴿ ذوالقدر حاكمی علی بكه كوندریلان بلغراد فتحنامه سی صورتیدر ﴾

جناب امارتمآب ایالت نصاب سعادت انتساب حاوی محاسن الشیم مالك نواصی الامم سالك اقاصی الهمم حائز قصبات السبق فی مضمار الحكم والحكم الفائز بالقدح المعلی من قداح المجد الاتم والعز الاشم والنجدات والكرم المختص بعنایة الملك البـاری والی ولایت ذوالقدر علی دام اقباله وزاد اجلاله دعوات صافیات پادشاهانه اتحافندن صكره اعلام اولنان اولدركه چون آیهٔ وافیهٔ الهدایة ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتی الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ﴾ وكلمهٔ واضحة الدلالة عریبه وتقمع القلاع وتطفی نارها وتصنع الحرب وتعضل دارها فترحل فی الاجراح من دراء نار ولاجاره وتجر عن الارجاع من دون عسل ولاعصاره مضمونندن نصرت الهیٔ ازلی وفرصت نامتناهی لم یزلی ایدوكی درجهٔ وضوحه ایرشوب والصلوة علی عبدك الجلیل الشفیع المشفع یوم التذلیل والتجلیل وعلی جنده ﴿ الذین مثلهم فی التوریة ومثلهم فی الانجیل ﴾ الایه دیو هر تاجدارکه برحسب ﴿ فاستقم كما امرت ﴾ الایه قدم همتی جادهٔ شریعتده راست قیوب ﴿ اجیبوا داعی الله ﴾ مقتضاسنجه اجابت دعوات رحمان سبب ظلال غفران وامتثال اوامر یزدانی موجب زوال عصیان بیله لاجرم بر مقتضای فحوای ﴿ لئن شكرتم لازیدنكم ﴾ الایه سایهٔ دولتی عامهٔ رعایا وسایبان حشمتی كافهٔ برایا اوزرینه ممدود اولنوب عكس سم سمندكتی نوردندن صور اقتدار كامرانی وپرتو علم عالم اراسندن مثال شموس شادمانی ظهور ایدوب ناصیهٔ سعادت نماسنده نور نصرت واضح وچهرهٔ دولت

افراسنده

ملحـــق رقـم (٤)

مهمة دفتری رقم (٩) صفحـة ٨٩ حكم رقم (٢٣١) بتـاريخ ٢٤ شوال ٩٧٧ م

أعطـى الى خليل جاوش فى ١٠ ذى القعـــدة .

حكم إلى أهالــى الأندلـــس .

وصل الى آستانة سعادتنا عرض حالكم الذي جاء فيه بأن الكفار أصابهم الدمار وجعل الضلالة لهم شعار قد سلبوكم أسلحتكم ومنعوكم من تحــدث العربية ، وأنهم يتعرضون لنشائكم ،ويمارسون كل أنواع الظلم والتعـدي عليكم . وتعلمون أنه يوجد حاليا لديكم ٢٠ ألف رجل مسلح كما أن هنـــاك ١٠٠ ألف رجل قادر على حمل السلاح ، وعلمنا باستلامكم مقداراً من الســلاح من الجزائر وأن ذلك قد ربط على قلوبكم وتمكنتم بذلك من تكبيد الكفـــار العديد من الخسائر فالحمد لله على نصر اهل السلام ، ويكتب لهم الفـــوز على الكفار جعل الضلالة لهم شعار .

وقد عرض بالتفصيل كل ماجاء في حالكم من تحريرات وتقريرات علـــى سرير سعادتنا ،وأحاط علمي الشريف الملوكي وشمل كل مايتعلق باحوالكـــم وأخباركم وأن أنظاري منصرفة دائماً نحوكم ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة من ممالكي المحروسة والتي كانت على العهد والأمان منذ أجدادي العظـــام أنار الله براهينهم الا أنهم نقضوا تلك العهود واخذوا بالتعدي على التجار وأهل الإسلام والمسافرين ، بحراً لطواف بيت الله الحرام وزيارة تربة حضـــرة سيد الأنام عليـه أفضل الصلاة والسلام بخلوص النية وصفاء الطوية وبذلـــك فأنهم مصرون على العصيان والطغيان لذا فبعد التوكل والإعتماد على علوعناية الحق سبحانـة وتعالى والتوسل والإسناد إلى المعجزات الكثيرة البركـــات لفخر الموجودات صلوات الله عليه وسلامه ، وكذلك بالإستمداد بالأرواح الطاهرة لسائر الصحابة الكرام عليهم رضوان الله تعالى أجمعين فقد استقرت نيتـــي الملوكية على فتح وتسخير الجزيرة المزبورة في الربيع الأخير القـــادم ونضرع إلى عبـة حضرة الحق جل وعلا أن ييسر لنافتح وتسخير تلك الجزيـــرة وأن يبسط أيدينا عليها حتى تأهل بأهل الاسلام كما كانت عليه وكى تقام فيها شعائر الشرع الشريف وحتى يأمن التجار ويسلموا في غدوهم ورواحهم وينصرفوا للدعاء وثبات ومجد رفعة الدولة وبما أن الوضع على هذا الحال فإن إرسال الأسطول الهمايوني المظفر لحمايتكم سيتأخر ريثما يتم إيصال المراكـــب

للعساكر المنصورة للجزيرة المزبورة وسيتم ذلك إثر إنهاء الأسطول لمهمتة بعناية الحق وقد أرسل أمري الهمايوني الموكد إلى أمير أمراء الجزائر الذي تتجة أنظارة وافئدتة نحوكم لإرسال النجدة والمعونة لكم إما بإرسال العساكر المظفرة أو بأرسال العدة والعتاد ، وبموجب أمري الشريف فإن أمير أمراء الجزائر سيكون خير معين وظهير لكم ٠

كما أننا نتوخى من خلال حميتكم الإسلامية المتأصلة في جبلتكم عدم التراخي عن إظهار غيرتكم على الدين المتين فلتظهروا أنواع اقدامكم وأصناف إهتمامكم في الحرب والقتال والجداول ضد الكفار الأذلاء والمأمول الا يضن علماء وصلحاء وسائر أهل الإسلام في تلك الديار بالدعاء ليل نهار بتيسير الفتح والنصر للغزوة المظفرة ولا تتوانوا عن إعلامنا باستمرار عن أحوال وأوضاع تلك الديار ٠

[illegible]

| 9 | [illegible] |
| --- | --- |
| 89 | |

مهمة دفتري رقم 9 ص 89 حكم رقم 239 بتاريخ 24/10/977 ه

# ثبت المصادر والمراجع

## أولا : الوثائــــق

- مهمة دفتري رقم ٩ صفحة ٧٧ حكم رقم ٢٠٤ ، بتاريخ ٢٣ شـــوال سنة ٩٧٧ هـ ، الأرشيــف العثماني .

- مهمة دفتري رقم ٩ صفحة ٨٩ حكم رقم ٢٣١ ، بتاريخ ٢٤ شـــوال سنة ٩٧٧ هـ ، الأرشيــف العثماني .

- مهمة دفترى رقم ١٤ صفحة ٢٠٠ ، حكم رقم ٢٨٤ ، بتاريخ ٣ صفــر سنة ٩٧٩ هـ ، الأرشيــف العثمانى .

- وثيقة رقم ٣٦٢٥ سياسة روسيا الخارجية ج ١٢ ، ٣٢٩ صفحة باللغــة الروسية موسكــو : ١٩٢٨م . ( دار الوثائق القومية ببغداد ) .

## ثانيا : المخطوطات

(١) ابن زنبل : أحمد بن علي .
آخر المماليك واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني مخطوط تحت رقم ٤٨ بدار الكتب المصرية .

(٢) البكري : محمد بن أبي السرور .
عيون الأخبار ونزهة الأبصار مخطوط بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٧٢ باسم تاريخ ، يتكون من ٢٠٣ صفحة هذا المخطوط مكون من تسعة عشر بابا من بدأ الخليقة إلى أبناء ملوك العرب والفرس واليونان والروم ، وذكر الرسول صلى الله عليه وسلم والأمويين والعباسيين والبويهيون والسلاجقة والفاطميون والأيوبيين والأتراك والجراكسةالى خروج السلطان الغوري إلي مقابلة السلطان سليم .

———— : المنح الرحمانية في تاريخ الدولة العثمانية مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ١٩٢٢ تاريخ يقع في ١٩٣ صفحة .

(٣) جودت :
تاريخ جودت باشا . مخطوط مصور تحت رقم ١٣٢٨ / ١٣٢٦ المكتبة السليمانية ، اسطنبول .

(٤) السيوطـــي : جلال الدين عبدالرحمن .
نظم العقيان في أعيان الأعيان ، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١١ تاريخ تيمور مصور علـــى ميكروفيلم .

(٥) العينـــي : محمد بن أحمد بن موسى بن أحمد ( ٧٦٢ - ٨٥٥ هـ ).
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، المعروف بتاريخ العيني ، ٢٣ جزء ، ٦٩٠ مجلد تحت رقم ١٥٨٤ دار الكتب القاهرة .

(٦) زاده : طاشكبـــري .
الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانيـــة مخطوط تحت رقم ١٥٠٨ تاريخ تيمور مصور فـــي ٢٥٢ صفحة بدار الكتب الصمرية .

(٧) موللـــي : أحمد جـــواد .
الدورة النيرة في بيان ماجرى حين أغارت علـــى الجزائر جنوس الكفرة ، مخطوط رقم ٩٧٥١ بالمتحـــف البريطاني ، باللغة العثمانية في ٥٢ ورقة ، جمـــاد الأولى سنة ثمانيةوتسعين ومائة وألف .

(٨) المقدســـي: مرعى بن يوسف ( المتوفي ١٣٠٢ هـ ) .
نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفـــاء والسلاطين ، مخطوط تحت رقم ٢٢٦٩ تاريخ مصور علـــى ميكرو فيلم بدار الكتب المصرية .

(٩) مؤلف مجهول :

تقليد نبوط إعانة الجرجي في حروب الدولة العثمانية مع اليونان . لغة عثمانية . مخطوط تحت رقم ٢٦٥٣ تاريخ تيمور . مصور على ميكروفيلم بدار الكتب المصرية .

## ثالثا : الكتب المطبوعـة


(١) إبن الأثير : الكامل فى التاريخ . الطبعة الثالثة . بيـروت : دار الكتاب العربي . ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م .

(٢) إبن اياس : محمد بن أحمـد .
بدائع الزهور في وقائع الدهور . الطبعة الأولـي.
المانيا : دار فرنتشتانيو . ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢م .

(٣) إبن أيوب : السلطان الموئيد عماد الدين بن الأفضل نور الديـن على بن جمال الدين .
تقويم البلدان . طبعة مدينة باريس : بدار الطباعة السلطانية . ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م .

(٤) إبن حنبـل : أحمـد .
المسند وبهامشه كنز العمال في سنن الأقـوال والأفعال . المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.

(٥) إبن خلدون : عبدالرحمـن .
المقدمة . الطبعة الرابعة : بيروت دار القلـم .
١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

(٦) إبن سعـد :
الطبقات الكبرى . بيروت : دار صادر للطباعـة .
١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧م .

(٧) إبن عرشـاه : أحمد بن محمد بن عبدالله .
عجائب المقدور في نوائب تيمور. القاهرة : دار نافع
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

(٨) إبن فضــلان : أحمد بن راشد بن حماد .
رسالة إبن فضلان فى وصف الرحلة إلى بلاد التـــرك والخزرو الروس الصقالبـة . سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م . تحقيق د. سامي الدهان . دمشق : المجتمع العلمـي ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩م .

(٩) إبن كثيـر :
البداية والنهاية في التاريخ . الطبعة الأولـى . القاهرة : دار الفكر العربى ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣م.

(١٠) إبراهيم أفندي: ( الطبيب الأول للعساكر الشاهانية ) .
مصباح الساري ونزهة القاري . الطبعة الأولـى . بيروت . مطبعة إبراهيم أفندي . ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م .

(١١) الألوسـي : أبو الثناء شهاب الدين محمود أفندي .
نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول . ليس هنـاك معلومات نشر ، موجود بمكتبة الحرم المكي .

(١٢) أرسـلان : شكيـب .
حاضر العالم الإسلامي . القاهرة : مطبعة الحلبـي . ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م .

(١٣) أرنولـد : تومـاس .
الدعوة إلى الإسلام . بحث في تاريخ نشر القصيـدة الإسلامية . الطبعة الثالثة . القاهرة : مطبعـة الشبكشـي بالأزهر . ترجمة : حسن إبراهيـم حسن وآخرون .

(١٤) إسماعيـــل : عادل اسماعيل وآميل خـــوري •
السياسة الدولية في الشرق العربى • طبعـــــــة
بيروت • ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م •

(١٥) آغلــــو : سليمـــان مــــلا •
جامع السليمانية إنشاوءه وخصائصه • طبعـــــــة
جوشكـــون آوفست • إسطنبـــول •

(١٦) أنيــــس : محمـــد •
الدولة العثمانية والشرق العربي • من ١٥١٤ – ١٩١٤م
القاهرة • طبعة مكتبة الأنجلو المصريـة • ١٤٠١هـ/
١٩٨١م •

(١٧) أومــــان :
الإمبراطورية البيزنطية • بيروت : دار الفكر العربى
١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣م •

(١٨) باتريـــك : مارى ملـــز•
سلاطين آل عثمان الخمسة • ترجمة حنا عضن • بيـروت :
دار صادر • ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣م •

(١٩) البــــار : محمد علـــي •
المسلمون في الإتحاد السوفيتي عبر التاريخ • المطبعة
الأولى • جدة : دار الشروق • ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م •

(٢٠) بجـــوي :
تاريخ بجوي • كتاب فى جزئين • اسطنبول: ١٤٠٠ هـ /
١٩٨٠م •

(٢١) البحـــراوي : محمد عبداللطيف .
حركة الإصلاح العثماني في عصر السلطان محمود الثاني
١٨٠٨ – ١٨٣٩ م . الطبعة الأولى ، القاهرة : دار
التراث . ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .

(٢٢) البخـاري : أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي .
التاريخ الكبير . بيروت : دار الكتب العلمية .

(٢٣) بروكلمـان: كـــارل .
الأتراك العثمانيون وحضارتهم . الطبعة الثانيـــة .
ترجمة نبيه أمين فارس ، ثلاثة أجزاء : بيـــروت
دار العلم للملايين . ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥م .

(٢٤) بـــــردي : جمال الدين أبي المحاسن يوسف تغـرى .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . خمســـة
أجزاء تحقيق : جمال الدين الشيال وفهيم شلتـــوت
القاهرة : ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م .

(٢٥) بيهـــم : محمد جميـــل .
فلسفة التاريخ العثماني أسباب إنحطاط الإمبراطوريـة
العثمانية وزوالها . طبعة عام : ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

(٢٦) بيشـــون : جـــان .
بواعث الحرب العالمية الأولى . ترجمة محمد عـــزت .
بيروت . مطبعة الكشاف .

(٢٧) الثقفـــي : يوسـف علـــى .
دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغـــرب
على مر العصور . الطبعة الأولى : مطبعة الصفـــا .
١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨م .

(٢٨) جاويـــش : سليمـان خليـــل .
التحفة السنية فى تاريخ القسطنطينية .
ثلاثة أجزاء. بيروت : دار صادر ١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧م .

(٢٩) الجبرتـي : عبدالرحمـــن .
عجائب الآثار فى التراجم والأخبار . الطبعة الأولـي ،
القاهرة : البيان العربي ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م .

(٣٠) جـــب : هاملتون وبورن هارولد .
المجتمع الإسلامي والعرب . ترجمة أحمد عبدالرحيـم
مصطفى وأحمد عزت عبدالكريم . جزءان . القاهـرة :
دار المعارف .

(٣١) الجنـدى : أنـــور .
الإسلام وحركة التاريخ . القاهرة : مطبعة الرسالـة
١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م .

(٣٢) جـودة : أحمـد حسـن .
المصالح البريطانية في الكويت حتى عام ١٩٣٩ م .
ترجمة حسن على النجار . بغداد: مطبعة الإرشـــاد.
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .

(٣٣) جيبـــــون : إدوارد .
إضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطهاترجمـــــة محمد على أبو درة ، فى ثلاثة أجزاء . القاهــــرة : دار الكتب .

(٣٤) حتـــــى : فيليـــب .
موجز تاريخ الشرق الأدني . ترجمة آنيس فريحـــــة . بيروت مطبعة دار الثقافة .

(٣٥) حســـون : علـــى .
تاريخ الدولة العثمانية . الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب الإسلامي . ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

______ : العثمانيون والروس . الطبعة الأولى . بيـــــروت ، المكتب الإسلامـــي . ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

______ : العثمانيون والبلقان . الطبعة الثانية ، بيـــروت ، المكتب الاسلامي . ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م .

(٣٦) الحصـــري : ساطـــع .
البلاد العربية والدولة العثمانية . الطبعـــــة الثالثة . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٦٥م .
يوم ميسلون : دار الإتحاد . بيروت .

(٣٧) حقـــــي : إحســـان .
المسلمون أمام التحدي العالمي : الطبعة الخامسة . بيروت . موءسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .

(٣٨) حلمـــي : مصطفـــــى .
الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانيـــة .
دراسة حول كتاب " النكير على منكري النعمة مـــن
الدين والخلافة والنعمة " الطبعة الأولـــــى .
الإسكندرية : دار الدعوة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

(٣٩) حليـــم : على بــك .
التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية . الطبعة
الأولى . القاهرة : ديوان عموم الأوقاف ١٣٢٣ هـ /
١٩٠٥ م .

(٤٠) حمـــادة : محمد عابــد .
تاريخ الشرق والغرب من منتصف القرن التاسع عشـر
حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . الطبعة الثانية .
دمشق : دار اليقظة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦م .

(٤١) خير اللّه أفندي :
تاريخي . الطبعة الأولى . إسطنبول : مطبعة سنــده
١٢٩٢ هـ / ١٨٧٥ م .

(٤٢) دحـــلان : أحمد زينـــي .
الفتوحات الإسلامية . القاهرة : مطبعة محمد مصطفى
١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥م .

ـــــــــــ : خلاصة الكلام في أمراء بلد اللّه الحرام . جزءان،
الطبعة الأولى . المطبعة الخيرية بمصر المحمية :
١٣٠٥ هـ / ١٨٨٧ م .

(٤٣) الدسـوقي : محمد كمال ٠
تاريخ أوربا الحديث ، القاهرة : ١٣٩٩ هـ /١٩٧٩م٠
ـــــــ: الدولة العثمانية والمسألة الشرقية، القاهـرة :
مطبعة دار الثقافة ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م ٠
ـــــــ : تاريخ أوربا الحديث ، القاهرة : ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ٠

(٤٤) دقـــاق : باســـل
تركيا بين جبارين ٠ القاهرة : منشورات دار المكشوف

(٤٥) الديراوي : محمـــد ٠
الحرب العالمية الأولى ،عرض مصور ، الطبعةالثانية :
بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م٠

(٤٦) الرفاعـــي: عبدالرحمـــن ٠
عصر إسماعيل ، جزءان ،القاهرة : مطبعة النهضـــة ،
١٣٥١ هـ / ١٩٣٢م ٠

(٤٧) الرفاعـــي : عبد العزيـــز ٠
قضية الجلاء عن مصر بين سنتي ١٨٨٢ – ١٩٠٧ م ٠
القاهرة ، دار القلم ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م ٠

(٤٨) رفعـــت : إبراهيـــم ٠
مرآة الحرمين ، جزءان ، طبعة بـــدون ٠ بيـــروت :
دار المعرفـــة ٠

(٤٩) رفيـــق : أحمـــد بيوك ٠
تاريخي عمومي إسطنبول ٠ مطبعة إبراهيم حليمـــي،
١٣٢٨ هـ /١٩١٠م ٠

(٥٠) راســـم : أحمـــد .
رسملي وخريطةلي عثمانلي تاريخي . الطبعة الأولى .
إسطنبول : صاحب وناشري إقبال كتبخانة شمس مطبعة
سي ، محفوظ بالمكتبة السليمانية ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠م.

(٥١) رســـتم: أســـد .
الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم
مع العرب . الطبعة الأولى ، بيروت ، دار المكشوف ،
١٣٣٧م / ١٩٥٦م .

(٥٢) ريسلـــر : جـــاك ســـي .
الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبدون ، مراجعة
د. أحمد الأهواني . القاهرة : الدار المصرية
للتأليف والترجمة .

(٥٣) الزركلـــي : خير الديـــن .
شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ثمانية
مجلدات . الطبعة الثانية . بيروت : دار العلم
للملايين . ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

(٥٤) زكـــي : عبدالرحمـــن .
المسلمون في العالم اليوم آسيا الإسلامية- ٣- القاهرة :
دار النضية ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م .

(٥٥) زيـــادة: محمود محمـــد .
دراسات في التاريخ الإسلامي من العصر العباسي إلى قبيل
العصر الحاضر، القاهرة: مطبعة التأليف ،١٣٨٨-١٣٨٩هـ/
١٩٦٨ - ١٩٦٩م .

(٥٦) السبكـي : آمـال .
أوربا في القرن التاسع عشر فرنسا في مائة عام
الطبعة الأولى . جدة : عالم المعرفة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

(٥٧) السخاوي:
الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة الحرم
المكى الشريف ليس هناك معلومات للطبعة وسنة
الطبع ومكان الطبع .

(٥٨) سرهنك : إسماعيل .
حقائق الأخبار عن دول البحار . الطبعة الأولى .
جزءان . القاهرة : ١٣١٢ هـ / ١٩٨٤م .

(٥٩) سلانيك :
تاريخ سلانيك ، القسطنطينية : المطبعة العامرة ،
دور سيده ختام أولمدر في رجب ١٢٨١ هـ / ١٨٦٤م.

(٦٠) سليمان : أحمد السعيد .
تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة . القاهرة :
دار المعارف ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

(٦١) شاكر : محمود .
العالم الإسلامي . الطبعة الثالثة . بيروت . المكتب
الإسلامي . ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .

ـــــــ : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية . الطبعة الثالثة ،
بيروت المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

(٦٢) شكـــري : محمد فـــؤاد .
مصرفي مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠١ – ١٨١١ م .
القاهرة ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م .

ـــــــ : بناء دولة مصر محمد على . القاهرة : ١٣٩٧ هـ / ١٩٤٨م .

(٦٣) الشناوي : عبدالعزيـــز .
الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليهـــا .
ثلاثة أجزاء ، القاهرة : مطبعة جامعة القاهـــرة ،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م .

(٦٤) شلـــبي : أحمـــد .
موسوعة التاريخ الإسلامي : الطبعة الثالثة ،القاهرة :
مطبعة مكتبة النهضة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

(٦٥) الشيـــخ : رأفـــت .
تاريخ العرب الحديث . القاهرة : دار الثقافـــة ،
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م .

(٦٦) شينيـــي : ل . ج .
تاريخ العالم العربى . ترجمة محي الدين حفني ناصف
مراجعة على أدهم . القاهرة دار النهضة .

(٦٧) عاشـــور : سعيد عبدالفتاح .
أوربا العصور الوسطي ، القاهرة : مكتبة الانجلـــو
١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م .

ـــــــ : الحركة الصليبية . القاهرة :مكتبة الأنجلو ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

(٦٨) عبد الجبار : عبد الله .
الغزو الفكري في العالم العربي . الطبعة الثالثة ،
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م .

(٦٩) العسلي : بسام .
الفاتح القائد ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار
النفائس . ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م .

______ : القانوني القائد ، الطبعة الأولى ، بيروت دار
النفائس ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م .

(٧٠) عسه : أحمد .
معجزة فوق الرمال . الطبعة الثالثة ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

(٧١) عطا : زبيده .
الترك في العصور الوسطي وسلاجقة الروم والعثمانيون
بيروت : دار الفكر العربى .

(٧٢) العظم : حقي .
تاريخ حروب الدولة العثمانية مع اليونان ،
الطبعة الأولى ، القاهرة : مطبعة الترقي ،
١٣١٩ هـ / ١٩٠٢ م .

(٧٣) عمر : عمر عبد العزيز .
تاريخ المشرق العربي ( ١٥١٦ - ١٩٢٢م ) بيروت :
دار النهضة العربية للطباعة والنشر .

______ : دراسات في التاريخ العربى الحديث والمعاصر . بيروت:
١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م .

(٧٤) عنـــان : عبدالله •
مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام• ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م

(٧٥) أبو غنيمة: زيـــاد•
جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك• الطبعة الأولى • عمان : دار الفرقان للطباعة والنشر • ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م •

(٧٦) فـــاروق : طه زاده عمر•
تاريخ أبو الفاروق • سبعة أجزاء • اسطنبـــول : مطبعة الآمدى ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧م •

(٧٧) فريدون بك : أحمـــد •
منشآت الملوك والسلاطين • إسطنبول المكتبـــة السليمانية ، أوائل شهر جمادي الآخرة لسنـــة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧م •

(٧٨) فشـــر : هربرت •
أصول التاريخ الأوربي الحديث من النهضة الأوربيـــة حتى الثورة الفرنسية• ترجمة عصمت راشد وأحمـــد عبدالرحيم ، مراجعة أحمد عزت ، القاهـــرة : دار المعارف ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢م •

ـــــــ : تاريخ أوربـــا العصور الوسطـي ، ترجمـــة السيد الباز العرينـــى ، الطبعة الثانيـــة ، القاهرة : دار المعارف•

(٧٩) فهمــي : عبدالسلام عبد العزيز .
السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهــر الروم ، ٨٣٣ — ٨٨٦ هـ / ١٤٢٩ — ١٤٨١ م ، الطبعة الأولى ، دمشق : دار العلم ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥م .

(٨٠) قبعــن : سليــم .
تاريخ الحروب العثمانية الإيطالية ، القاهــرة : مطبعة التقــدم .

(٨١) الافسكــي : على عمــت .
العاهل العثماني أبو الفتح محمد العثمانــي ، فاتح القسطنطينية وحياته العدلية ، القاهــرة : مطبعة السعادة ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣م .

(٨٢) كامل باشا :
تاريخ سياسي دولت علية عثمانية . ثلاثة أجزاء فــي مجلد واحد ، إسطنبول : مطبعة أحمد إحســان ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م .

(٨٣) كوبــرلــي : محمد فوءاد .
قيام الدولة العثمانية . ترجمة أحمد السعيــد سليمان ، و أحمد عزت عبدالكريم . القاهــرة : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر . ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .

(٨٤) لبيــب : حسيــن .
تاريخ الأتراك العثمانيين . ترجمة حسين لبيــب ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب .

(٨٥) المحامي : محمد فريدبك .
تاريخ الدولة العلية العثمانية . الطبعة الأولى والثانية . بيروت : دار النفائس ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(٨٦) المرجة : موفق بني .
صحوة الرجل المريض . السلطان عبدالحميد الثاني الكويت : دار الكويت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م .

(٨٧) مسلم :
صحيح مسلم بشرح النووى . ثمانية عشر جزء. القاهرة المطبعة المصرية ومكتباتها.

(٨٨) المصري : حسين مجيب .
صلات العرب والفرس والترك . دراسة تاريخية أدبية ، القاهرة ، مكتبة الإنجلو المصرية ،١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

(٨٩) مصطفى : أحمد عبدالرحيم .
أصول التاريخ العثماني . الطبعة الأولى بيروت:دار الشروق ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م .

(٩٠) الميداني : عبدالرحمن حبنكة .
أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الإستشراق ، الإستعمار ، دمشق : دار القلم .

(٩١) مؤنس : حسين .
أطلس تاريخ الإسلام – الطبعة الأولى ،القاهرة، الزهراء للأعلام العربي ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(٩٢) ناتنج : أنتوني ، ولويل شاماس ·
لورانس لغز الجزيرة العربية · بيروت موءسسة المعارف ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م ·

(٩٣) نشانجي: محمد باشا ·
سير أنبياي عظام وآحوال خلفاء كرام إسطنبول : الدار العامر ، ١٢٩٠ هـ / ١٨٣٧م ·

(٩٤) نعيما :
تاريخ نعيما · القسطنطينية : المطبعة العامرة ، ١١٤٧ هـ / ١٧٣٤ م ·

(٩٥) النهراولي : قطب الدين ·
الإعلام بأعلام بيت الله الحرام · مكتبة الحرم المكي · ليس هناك معلومات نشر عن الطبعة والمطبعة ومكان الطبع وسنته ·

(٩٦) نوار : عبدالعزيز سليمان ·
الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون ـ الفرس مسلمو الهند · بيروت : دار النهضة العربية ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م·

ــــــــــ: تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق · بيروت ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م·

ــــــــــ: التاريخ المعاصر لأوربا من الحروب البروسية الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية ١٨٧١ ـ ١٩٤٥م · القاهرة ·

(٩٧) هونكة : زيجفريد ·
شمس العرب تسطع على الغرب ، أثر الحضارة العربية في أوربا · بيروت: المكتب التجارى للطباعة والتوزيع ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٩م·

(٩٨) اليمانـــي : عبدالواسع بن يحي الواسعـي •

تـاريخ اليمن المسمىٰ فرجة الهموم والحزن في حــوادث وتـاريخ اليمن • الطبعة الثالثة ، الدار اليمنيـــة للطباعة والنشر ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧م •

ـــــــــــ: السلطان عبدالحميد الثاني مذكراتي السياسيـــة ١٨٩١ – ١٩٠٨ م ، الطبعة الخامسة • بيروت : موٴسسة الرسالة ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م•

(٩٩) مجهـــول: تاريخ تيمور لنك إسطنبول : المكتبة السليمانيـــة ليس هناك أي معلومات عن الطبعة والمطبعة وسنـــة الطبـع •

## رابعا : رسائل جامعيــــة

باكـــــــــور : عمــــر .
حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين .
رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامـي مـن
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى .

رضـــــــوان : نبيل عبد الحـــــي .
الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية بعـــــد
افتتاح قناة السويس ( ١٢٨٦-١٣٢٦ هـ /١٨٦٩-١٩٠٨م )
جدة : الطبعة الأولى ، مطبوعات تهامة — ١٤٠٣ هـ —
١٩٨٣م .

شعـــــــوط : المنتصر بالله إبراهيـــم .
جهاد العثمانيين ضد الدولة البيزنطية حتى فتـــــح
القسطنطينية ( ٧٥٥ — ٨٥٧ هـ / ١٣٥٤ — ١٤٥٣ م ) ،
رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامـــــي
١٣٩٩-١٤٠٠ هـ / ١٩٧٩-١٩٨٠م ، جامعة أم القرى .

صيرفـــــــي : نـــــوال .
النفوذ البرتغالي في الخليج العربي ، رسالة لنيـــل
درجة الماجستير ، مطبوعات دار الملك عبدالعزيـــز
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م ، جامعة أم القرى .

## خامســـا : الدوريـــــات

### أ ـ المجـــلات

ـ التميمـــي : عبد العزيز ٠
إسطنبول جسر بين الحضارات عمره ( ٥٠٠ عام ) مجلة عالم السعودية ٠ العدد الأول ٠ المجلد الثامـــن ٠ ينـاير ١٩٨٩م٠

ـ زيـــــادة : محمد مصطفـــى ٠
نهاية السلاطين المماليك في مصر٠ المجلة التاريخية المصرية ٠ العدد الأول ، المجلد الرابع ، مايـــو ١٩٥١م ٠

ـ الصفصـــافي : أحمد المرســـي ٠
الدولة العثمانية والولايات العربية ـ مجلـــــة الدارة ٠ العدد الرابع ، السنة الثامنة ، رجـــب ١٤٠٣ هـ / ابريل ١٩٨٣م ٠

ـ عبدالبخيـــت : نـــوري ٠
روسيا ومشروع سكة حديد بغداد ٠ مجلة المـــؤرخ العربي ، العدد الخامس عشر ٠ ١٩٨٠م ٠

## ب ـ الصحـــــف

ـ جريدة أخبار العالم الإسلامـــي :
العدد ٩٢١ الإثنين في ٢٥ رجب ١٤٠٥ هـ الموافـــق ٥ إبريل مقال عن محنة المسلمين في بلغاريـــا ، إعداد الشيخ بابكر درويـــش .

ـ جريـــدة المسلمـــون :
العدد الثالث والثلاثون ، السبت من ٧ ـ ١٣ محـــرم ١٤٠٦ هـ / ٢٢ ـ ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥م ، مقال ـ صفحات من دفتر ذكرياتي بمكتبة الشيخ محمد محمـــــود الصـــواف .

ـ الشـــرق الأوســـــط :
يوم الأحد ٢٨ / ٧ / ١٩٨٥م ( مقال سورية فـــــي القرن العشرين ، قلم نصوح بابيل ) .

ـ جريدة النـــــدوة :
عدد ٩٠٨٧ الثلاثاء ١٨ جماد الأولى ١٤٠٩ هـ ، مقـــال بعنوان تطور نظرة المسلمين إلى آوربا ، بقلـــــم د . خالد زيـــادة .

## سادسا : المصادر الانجليزيـــة :

- Burke. Wilkinson,

Francis in All His Glory, New York : Farrar, Straus and Giroux, 1st, Ed., 1972 .

- Cahun : L. N.,

L'introducation al'Histoiredel, Asie, 1896 .

- Enver Ziya Karal ,

Osmanli Tariki, Ankara : 1983.

- Fischer Steplen ágalali,

Ottoman Imperalism and German Protestantism, 1521 - 1525, Cambridge Harvard University , Press 1959 .

- Halil Inalick ,

The Ottoman Empire and the Classical Age, 1300 - 1600, Translated by, Norman Itchowetz and Golin Imber , London, Weidenfeid and Nicolson, 1973 .

- Ismail Hakki ,

Osmanli Tarihi , Vol 16, Ankara, Turk Tarih Kurumu Basimei, 1983.

- Itzkouitz Norman :

The Ottoman Empire and Islamic tradtion , New York , Alfred , A. Knopf prince University , 1972 .

- Lewis Bernard ,

Istanbul and the Civilization of the ottoman Empire, Norman , University of Oklahoma Press.

- ---------------,

The Emergence of Modern Turkey London, Press, 1966.

- Lewis Raphaela,

Everyday Life in Ottoman Turky, B. 1. Batsford Ltd London G.P. Pulman , New York .

- Roger B. M. ,

Suleiman the Magnificent 1520 - 1566, Cambridge : Harvard University , 1944.

- Robinson J. Stewart ,

The Tradtional Near East, Prince Hall , Inc., Aspedrum Book Englwood Gliffs , N. J. .

- Shaw Stanford J ,

History of the Ottoman Empire and Modern Turky 1280 - 1808 Cambridge University, Press, 1976.

- Seton - Watson, Hagh,

The Russian Empire , Oxford at the darendon Press, London, 1967 .

- Toynbee Arnold ,

A study of History , Vol. 3., Oxford University Press, 1935.

# مُحتويات البحث

## محتويـــــات البحـث

محتويات البحــــث